الجمهوريـــة الجزائريـــة الديمقراطيـــة الشعبيـــة
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعـة باجي مختـار- عنابـة

BADJI MOKHTAR-ANNABA-UNIVERSITY
UNIVERSITE BADJI MOKHTAR – ANNABA

كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم اللغة العربية وآدابها

الموسم الجامعي: 2011/2010

مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير

– شعبة: علوم اللسان – تخصص: علوم اللسان

مفاهيم لسانيات النص وتحليل الخطاب في دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني

"دراسة في ضوء علم المصطلح"

– للطالبة: سمية إبرير

– مدير المذكّرة: أ.د. الشريف بوشحدان – الرتبة: أستاذ التعليم العالي– المؤسسة: جامعة باجي مختار–عنابة

أمـــام اللّجنـــة

	الاسم واللقب	الرتبة	المؤسسة
الرئيس	أ.د. محمد كراكبي	أستاذ التعليم العالي	جامعة باجي مختار– عنابة
مشرف ومقرر	أ.د الشريف بوشحدان	أستاذ التعليم العالي	جامعة باجي مختار– عنابة
الفاحصون	د. رشيد شعلال	أستاذ محاضر "أ"	جامعة قالمة
	د. خليفة صحراوي	أستاذ محاضر "أ"	جامعة باجي مختار– عنابة

الجمهوريـــة الجزائريـــة الديمقراطيـــة الشعبيـــة
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعـة باجي مختـار- عنابـة

BADJI MOKHTAR-ANNABA-UNIVERSITY
UNIVERSITE BADJI MOKHTAR – ANNABA

Faculté des Lettres, Sciences Humaines et Sociales
Département des langues et Littérature Arabe

Année 2010/2011

Mémoire Présentée en vue de l'obtention du diplôme de Magister

- **Option : Littérature comparée**

- Par : Ilhem Chader

- Directeur de thèse Dr–**Grade:**Professeur–**Etablissement:** U.B.M.A

	Nom et Prénom	Grade	Etablissement
Président			Univ.-Annaba
Directeur			Univ.-Annaba
Examinateurs			Univ.-Annaba
			Univ.-Annaba

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاَحَ ما اِسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللهِ.
عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيهِ أُنِيبُ﴾

صدق الله العظيم (هود: 88)

شكر

- الحمد لله كثيرًا، والشكر لله جزيلاً، الذي كتب لي الحياة، حتّى أنجز هذا العمل.
- أتقدم بأخلص الشكر إلى أستاذي ومشرفي الفاضل الدكتور الشريف بوشحدان الذي وجهني وأرشدني خير توجيه وإرشاد، ومدى بحثي هذا بأفكاره المنيرة، منذ أن كان بذرة إلى أن أثمر، شكرا أستاذي الكريم.

الإهداء

- إلى وطني الجزائر.
- إلى من استمد منه قوتي ونجاحي، إلى من دفعني ويدفعني إلى النجاح، إلى من أنار لي الطريق، وفتح لي الآفاق واسعة نحو سبيل النجاح، بإرشاداته وتعليماته وأفكاره، وكتبه، وصبره، إلى من خصص لي جزءًا كبيرًا من وقته الثمين، إلى من جعلني أرغب في الطموح وأحب النجاح وأسعى إليه إلى من يجيد ممارسة فنّ الأبوة، إلى والدي وأستاذي وقدوتي بشير إبرير حفظك الله لي يا والدي العزيز.
- إلى الشمعة التي من خلالها أرى النور، إلى من الجنة تحت أقدامها، إلى نبع الحنان والأمان، إلى سر نجاحي إلى: والدتي الغالية حفظكِ الله لي يا أمي العزيزة.
- إلى أخواتي العزيزات، حبيبات قلبي، وزهرات حياتي، من سندي في الحياة: خولة، كوثر، عزّة، هادية.
- إلى عائلتي
- إلى كل صديقاتي وزملائي.
- إلى من قد يعنيه عملي هذا.

إلى كل هؤلاء أهدي هذا العمل.

الملخص

ملخص البحث:

يتمثل الهدف الرئيسي من هذا البحث الموسوم بـ: "مفاهيم لسانيات النّص وتحليل الخطاب في دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني. دراسة في ضوء علم المصطلح". في إنجاز قراءة في كتاب دلائل الإعجاز باعتباره مدونة لغوية متجذرة في التراث اللغوي العربي من خلال التركيز على ثلاثة عناصر؛ أولها: الجانب المعرفي ويتعلق بالمرجعيات الفكرية التي تأسس عليها خطاب عبد القاهر الجرجاني، كما تبرزه المصطلحات التي وظفها في الدلائل وعلاقتها بالأسس والسياقات التي أحاطت بولادة المصطلح، وثانيها العنصر المنهجي، ويتعلق بممارسة التحليل وطرائقه وإجراءاته، بالنسبة للقضايا اللسانية الكامنة في الدلائل، انطلاقا من الوعي بالجهاز المصطلحي والمفاهيمي الذي تميز به عبد القاهر الجرجاني في كتابه المذكور، في ضوء ما أفرزه البحث اللساني النّصي وكذا تحليل الخطاب، وثالثها العنصر اللغوي: ويتعلق بما يميز كتاب دلائل الإعجاز من لغة بيانية جذابة، قوامها مصطلحات ميزت أبوابه وفصوله نستشف من خلال قراءتها الأسس النظرية والمنهجية التي انطلق منها عبد القاهر الجرجاني بما يحقق هوية المصطلح اللغوية مع العلم أنّ هناك ترابط بين هذه العناصر الثلاثة.

يقوم هذا البحث على الفصول الآتية: الفصل الأول موسوم بـ: "الدرس اللساني العربي المعاصر وإشكالية المصطلح" حاولنا فيه التعريف بعلم المصطلح وتطور البحث فيه عند علماء العرب القدامى والمحدثين، مركزين على التداخل المفهومي بين لسانيات النص وتحليل الخطاب وهي مشكلة يعاني منها البحث اللساني العربي.

أما الفصل الثاني فعنوانه: "المنظومة المفهومية لمصطلحات لسانيات النّص في "دلائل الإعجاز" نحاول تقديم وصف علمي لكتاب عبد القاهر الجرجاني باعتباره مدونة البحث، ثم نقوم بعملية استقرائية للمصطلحات التي نراها تتقاطع مع مصطلحات لسانيات النص، خاصة أن كتاب الدلائل يزخر بكم هائل من المصطلحات المنتمية إلى حقل لسانيات النّص.

أما الفصل الثالث فعنوانه: "المنظومة المفهومية لمصطلحات تحليل الخطاب" وسنتبع فيها الخطوات نفسها التي اتبعناها في الفصل السابق، بالإضافة إلى التطرق لأهم نقاط التقاطع بين مفاهيم تحليل الخطاب ومصطلحاته عند الغربين، وبين ما هو موجود عند العلماء العرب القدامى من خلال كتاب "الدلائل".

بالإضافة إلى ذلك، يحتوي البحث على مقدمة، وخاتمة التي ضمناها جملة من النتائج.

Résumé :

L'intitulé de notre recherche est « Les concepts de la linguistique textuelle et l'analyse du discours dans l'œuvre de ABDELKHAHER EL DJORDJANI « DALAIL EL AIDJAZE » -Etude de base sur la terminologie.

L'objectif majeur de cette recherche est de réaliser un lecture profonde dans « DALAIL EL AIDJAZE » tant que corpus de langue intégré dans le patrimoine linguistique arabe. Cette étude se base sur trois éléments :

1- Le domaine connetif, autrement dit les références de pensée qui ont permis à ELDJRDJANI de bâtir son discours bien défini par les termes utilisés dans l'œuvre et sa relation avec les différents concepts qui ont mené à la naissance du « TERME ».
2- L'élément méthodologique qui concerne l'analyse, les procédés, et son application par rapport au domaine linguistique dans l'œuvre citée, et ce à partir de la prise de conscience du terme et du concept dans ELDJORDANI s'est distinguée dans son œuvre.
3- L'élément du linguistique qui est le facteur direct et riche par ses termes dans les différentes parties de l'œuvre ce qui a permis a ELDJORDANI de bâtir les éléments théorique et mithodologique de son travail.

D'autre part on peut signaler que notre recherche, à travers ses trois parties n'a pas manqué de préciser les efforts des chercheurs arabes et occidentaux dans tout ce qui a relation avec les difficultés de la terminologie, aussi les termes du discours, de la linguistique textuelle toujours à partir du coppus « DALAIL EL AIDJAZE »

المقدمة:

البحث في التراث عامة، وفي دلائل الإعجاز بخاصة، أمر تنوعت فيه الدراسات على اختلاف التخصصات، فقد تناوله بالدراسة والبحث: النحاة، واللغويون، وعلماء الأصول والمعاجم وفلاسفة اللغة والبلاغيون والنقاد... وعلماء النص المحدثون، كل من زاويته، مستثمرين إياه في أبحاثهم المختلفة. ومن هنا وقع اختياري على كتاب عبد القاهر الجرجاني، **دلائل الإعجاز في علم المعاني** ، ليكون مدونة للبحث، وسمته ب: " **مفاهيم لسانيات النص وتحليل الخطاب في دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني: دراسة في ضوء علم المصطلح**".

فقد تبين لي بعد قراءتي له، ثراؤه الكبير في المفاهيم والمصطلحات التي تميزه عن غيره، وتمنحه خصوصيته المعرفية، وهويته اللغوية، وبخاصة فيما يتعلق بلسانيات النص وتحليل الخطاب، بالنسبة للدرس اللساني الحديث.

فقد ركزت الدراسات اللسانية النصية على ما يجعل النص نصا، فوضعت بذلك عناصر النصية التي إذا توفرت في النص حقق نصيته. أما تحليل الخطاب فقد ركز دراسته حول العملية التواصلية بين المرسل والمرسل إليه وما يدور حولهما من رسالة يتفقان عليها معا، حسب المقامات التي يتواجدان فيها.

والإشكال المطروح هنا، هو التداخل الواضح بين لسانيات النص وتحليل الخطاب؛ من حيث المفاهيم والمصطلحات، الأمر الذي أدى بكثير من الباحثين إلى صعوبة التفريق بين التخصصين، وكانت له انعكاساته على ما أنجزوه من تحليل النصوص المختلفة ومن كتابات كتبوها من الناحية المنهجية والمعرفية.

- **أهمية الموضوع:**

تكمن أهمية الموضوع في كونه يحاول أن يدرس مفاهيم لسانيات النص وتحليل الخطاب في ضوء علم المصطلح، متخذا من كتاب عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز مدونة للبحث. إذ بالرغم من الدراسات العديدة التي تناولته من جوانب متعددة، فإن الزاوية التي نراها مهمة في الموضوع تكمن في ربط العلاقة بين ما هو تراثي، وما هو حديث. يتمثل التراثي في عمق النظر المنهجي ودقته عند العلماء العرب القدامى ومنهم عبد القاهر، وفي كيفية تعاملهم مع المعرفة بحكمة وتبصّر كما يدل على ذلك منجزاتهم العلمية.

ويتمثل الحديث في كونه يحاول أن يدرس طبيعة المصطلح وفهمه ومحاولة تمثله والإحاطة به من جانبه اللغوي كما تبرزه مدونة البحث، ومن ثمة مقارنته بالمصطلحات والمفاهيم المختلفة التي تميزت بها لسانيات النص وتحليل الخطاب في وقتنا، ومحاولة الوصول إلى ما يميز المفاهيم اللغوية التي استعملها عبد القاهر الجرجاني في الدلائل من خصوصية لغوية واجتماعية وثقافية، ذلك أن المصطلحات تنشأ وتترعرع في بيئة معرفية خاصة.

الدراسات السابقة حول الموضوع:

تعددت الدراسات التي تناولت كتاب عبد القاهر الجرجاني " **دلائل الإعجاز في علم المعاني**" بتعدد الدارسين والمتخصصين. فدرسه كل من زاويته المختلفة عن زاوية الآخر، وحسب علمي، فإن الزاوية التي تناولنا منها هذا الكتاب لم تتناول بعد، حيث إن الجديد في الموضوع هو أنه يربط بين ما هو تراثي وما هو حديث، فهو يبحث في التراث عن مفاهيم لمصطلحات حديثة جاء بها علمان جديدان هما: لسانيات النص وتحليل الخطاب.

أهداف البحث:

يتمثل الهدف الأساسي في الموضوع في إجراء قراءة لدلائل الإعجاز [**مدونة البحث**] تضع في اعتبارها ثلاثة عناصر، **أولها الجانب المعرفي** ، ويتعلق بالمرجعيات الفكرية التي تأسس عليها خطاب عبد القاهر الجرجاني، كما تبرزه المصطلحات التي وظفها في الدلائل وعلاقتها بالأسس والسياقات التي أحاطت بولادة المصطلح. **وثانيها العنصر المنهجي** ، ويتعلق بممارسة التحليل وطرائقه وإجراءاته بالنسبة للقضايا اللسانية الكامنة في الدلائل، انطلاقا من الجهاز المنهجي المصطلحي والمفاهيمي الذي تميز به عبد القاهر الجرجاني في كتابه المذكور في ضوء ما أفرزه البحث اللساني النصي وكذا تحليل الخطاب. **وثالثها العنصر اللغوي** ، ويتعلق بما يميز كتاب دلائل الإعجاز من لغة بيانية جذابة قوامها مصطلحات علمية ميزت فصوله وأبوابه، نستشف من خلال قراءتها الأسس النظرية والمنهجية التي انطلق منها عبد القاهر الجرجاني بما يحقق هوية المصطلح اللغوية مع العلم أن هناك ترابطا بين هذه العناصر الثلاثة.

بنية البحث:

اخترنا لدراسة الموضوع خطة بنيناها على ثلاثة فصول، تسبقها مقدمة، وتتلوها خاتمة، وهي كما يلي: فصل نظري بعنوان: " **الدرس اللساني العربي المعاصر وإشكالية المصطلح**"، حاولنا فيه التعريف بعلم المصطلح من حيث المفهوم والأهمية والمكانة التي يحققها في كثير من فروع المعرفة، وتطور البحث فيه عند العلماء الغربيين وعند العلماء العرب القدامى والمحدثين، كما نركز في هذا الفصل على أهمية المظهر الدلالي للمصطلحات العلمية التي تميز الخطابات المختلفة بعضها عن بعض، دون أن نغفل موقع المصطلح من النص العلمي، إذ به تتحدد خصوصية اللغة العلمية للخطاب والحقل المعرفي الذي ينتمي إليه.

إن أهم ما يميز البحث اللساني العربي الحديث هو التداخل بين المفاهيم التي تميز علما عن علم؛ كما هو حاصل في التداخل المفهومي بين لسانيات النص وتحليل الخطاب، وإن

المتتبع للبحث اللساني العربي، يلاحظ أن جهازه المصطلحي يعاني أزمة حادة، رغم الجهود البحثية التي تبذل بين الأفراد والمؤسسات.

وتحسن الإشارة هنا إلى الجهود الكبيرة التي بذلها العلماء العرب القدامى في دراستهم للمصطلح على مستوى الوضع والتداول، فقد وضعوا بنودا خاصة بضبط العلمية الاصطلاحية وتوجيهها الوجهة الصحيحة بغية تحقيق تواصل معرفي فعال. من ذلك تأكيدهم على العرف الخاص والوضوح وفتحهم لباب الاجتهاد الذي حصروه في طائفة العلماء المتخصصين في الحقل المعرفي المحدد.

إذا نظرنا إلى المصطلح التراثي في علاقته بالدرس الحديث، فإننا نجده قد تجاذبته عدة اتجاهات في التعامل مع المصطلح؛ فمنها الاتجاه الذي ينتصر لاستعمال المصطلح التراثي، ومنها الاتجاه الذي ينتصر لاستعمال المصطلح المعاصر الذي هو في أغلبه ترجمة للمصطلحات الغربية، ومنها الاتجاه الذي يحاول أن يعطي للمصطلح التراثي حقه من الاستعمال ويعطي في الوقت نفسه للمصطلح الحديث حقه من الاستعمال، وهذا يتأسس على قراءة نوعية ناقدة واعية بأصول تراثها وبما تقتضيه أحوال عصرها. وسنحاول في دراستنا لمفاهيم المصطلحات التي وظفها عبد القاهر الجرجاني وبنى عليها كتابه الدلائل أن ندرسها انطلاقا من محاولتنا الاستضاءة بهذا النوع من القراءة.

وأما الفصل الثاني فعنوانه: " **المنظومة المفهومية لمصطلحات لسانيات النص في دلائل الإعجاز**"، وسنحاول فيه أن نقدم وصفا علميا لكتاب عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني. باعتباره المدونة التي سنعتمد عليها في دراستنا للموضوع وسنصف فصوله وأبوابه بما يخدم موضوع البحث. وهو كما نعلم كتاب أساسي في التراث اللغوي العربي.

وسنقوم بعملية استقرائية للمصطلحات التي نرى أنها نشكل إرهاصات أولية لما يسمى الآن بمصطلحات لسانيات النص وبخاصة أن ما يميّز هذا الكتاب، الكم المعتبر من

المصطلحات المنتمية لحقل الدراسات النصية في عصرنا، ولذلك سنقوم باستخراجها ووصفها وتصنيفها حسب مبادئ الحصر والانتقاء والتصنيف وتحليلها ونقدها.

ونصل في النهاية إلى نتيجة مهمة وهي خصائص هذه المصطلحات من حيث الوضع والاستعمال بالنظر إلى منظومتها الاصطلاحية.

أما الفصل الثالث فعنوانه: **"المنظومة المفهومية لمصطلحات تحليل الخطاب في دلائل الإعجاز"**، وسنتبع فيها الخطوات نفسها التي اتبعناها في الفصل السابق.

وسنحاول أن نتطرق فيه، إلى أهم نقاط التقاطع بين مفاهيم تحليل الخطاب ومصطلحاته عند الغربيين بين ما هو موجود عند العلماء العرب القدامى من خلال دلائل الإعجاز الذي تميز بكم معتبر من المصطلحات المتعلقة بتحليل الخطاب، والتي سنكتشف عنها في ثنايا هذا البحث، من خلال مجموعة من النصوص المفاتيح في دلائل الإعجاز، قدم فيها الحجج والبراهين على وجود هذا العلم المتأصل في التراث العربي الإسلامي.

إن الغرض من كل هذا، هو إيجاد نقاط التشابه والتماثل بين التراث اللغوي العربي من خلال نظرية النظم، وبين العلوم اللسانية الحديثة من خلال لسانيات النص وتحليل الخطاب، وإيجاد الأدلة المقنعة والحجج والبراهين الكافية على أن هذين العلمين متأصلان في تراثنا العربي، فمفهوم لسانيات النص ومفهوم تحليل الخطاب بما في هذين العلمين من مصطلحات ومفاهيم ومعارف متعددة. لخصه العرب من خلال الجرجاني في نظرية النظم التي احتوت هذين المفهومين واستوعبت مفاهيم أخرى هي علوم قائمة بذاتها اليوم مثل: الأسلوبية والتداولية وعلم الدلالة وعلم المعاني وغيرها كثير، ولنثبت أيضا فضل العلماء العرب في استعمالهم لمثل هذه المفاهيم منذ قرون عديدة.

منهج البحث:

وقد تمت مقاربة كل ذلك بمنهج غلب عليه الوصف والتحليل والتعليل وأحيانا المقارنة، بما يتناسب مع غرض البحث وهدفه، فكان الوصف عند التعامل مع الظواهر اللغوية في الدلائل وتحليلها، أما المقارن فكان في مقارنة نظرية النظم بالدرس اللساني الغربي، وكان في ذلك مؤلف عبد القاهر الجرجاني الموسوم بـ: "دلائل الإعجاز في علم المعاني" مادة مصدرية انطلقنا منها.

صادفتنا صعوبة أساسية في هذا البحث هي: ثقل المادة النظمية، بتمططها وتجذرها في عمق العديد من العلوم، أضف إلى ذلك الجوانب التاريخية والفكرية والمعرفية لمصطلح النظم، حيث تناوله علماء الأصول والإعجاز والبلاغة. فهو مصطلح نشأ وترعرع في بيئة معرفية خاصة به، شأن مصطلحات أخرى مثل: التعليق والنسيج والتأليف والتحبير... فكلها مصطلحات لها دلالات بيئية اجتماعية كانت سائدة في ذلك العصر، بالإضافة إلى الدلالات اللغوية وهو ما يصعّب الأمر أمام الباحث الناشيء.

سنعتمد في هذا البحث على جملة من المصادر العربية التراثية والدراسات اللسانية الحديثة التي تناولت دلائل الإعجاز بالدراسة والبحث، وبشكل أساس على المراجع المتعلقة بلسانيات النص وتحليل الخطاب وعلم المصطلح على وجه الخصوص.

ولا يفوتني أن أتقدم بالشكر الجزيل إلى أستاذي المشرف الدكتور الشريف بوشحدان على رعايته لهذا الموضوع وتذليل صعابه بمتابعته الدقيقة وملاحظاته الموجهة التي أنارت طريق البحث وحفزتني على إثرائه في ظروف حسنة.

الدرس اللساني العربي المعاصر
وإشكالية المصطلح

توطئة:

سنحاول في هذا الفصل الموسوم بـ: الدرس اللساني العربي المعاصر وإشكالية المصطلح، أن نتطرق إلى: مفهوم علم المصطلح وأهميته وتطور البحث فيه، ومنه النص العلمي وموقع المصطلح منه، وإشكالية النص والتداخل المفهومي بين لسانيات النص وتحليل الخطاب، بما أنها تمثل إشكالية أساسية في الدرس اللساني الحديث، وبما أنهما علمان بينهما تداخل وتبادل في المصطلحات والمفاهيم التي كثيرا ما تذهب وتجيء بينهما، ثم إلى المصطلح التراثي، بما أنه جزء من التراث الإنساني، وعلاقته بالدرس اللساني الحديث، وما لذلك من أثر في البحث المتعلق بها.

نتناول في هذا الفصل، مفهوم المصطلح Terme لغة واصطلاحا ثم مفهوم علم المصطلح Terménologie، وأهميته في بناء المعرفة وتنظيمها وترتيبها والتأسيس لها، ونقلها بصفة عامّة؛ وفي لسانيات النص وتحليل الخطاب بصفة خاصة، من حيث التداخل المفاهيمي بينهما، كما سنشير إلى العلاقة بين المصطلح التراثي، والدرس اللساني الحديث.

I- علم المصطلح؛ مفهومه وأهميته وتطور البحث فيه:

1- مفهوم المصطلح:

أ- المصطلح لغة:

يعود أصل المصطلح إلى الجذر اللغوي [صَلَحَ]، هذا ما جاء به ابن منظور في "لسان العرب" في باب الصاد، مادة صَلَحَ: أنّ الصلاح، ضد الفساد، والصَّلْح، تصَالحَ القومُ بينهم أي، زال ما بينهم من خلاف، والصُّلحُ: السِّلْمُ وقد اصطلحوا وتَصَالحوا [1]؛ أي أنّ كلمة مصطلح لا تخرج عن معنى السلم والصلح، والتصالح، والتواضع.

ب- المصطلح اصطلاحا:

هو مصدر ميمي للفعل "اصْطَلَحَ"؛ بمعنى ما ينتج عن الاصطلاح؛ أو هو تسمية المتفق عليه. والمصطلح يقوم على أساس الاتفاق والمواضعة بين فئة من المتكلمين مميزين بعلم أو معرفة، تدّل على معنى جديد، شريطة وجود ما يربط بين المعنى الأول والمعنى الجديد، مثال ذلك: إخراج لفظ "تاج" من دلالته اللغوية بمعنى "الإكليل الموضوع على الرأس" إلى دلالة جديدة في مجال طب الأسنان هي "غشاء معدني، يستعمل لتغطية السن بهدف دعمها وتقويتها، والمناسبة بين المعنيين، هي الشكل الذي يأخذه التاج في كليهما".[2]

---

1)- ابن منظور: لسان العرب، باب الصاد، مادة "صَلَحَ"نسقه وعلّق عليه وضع فهارسه علي بشري، المجلد السابع، دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1408هـ، 1988، ص 384.

2)- محمد هيثم الخياط: علم المصطلح لطلبة كليات الطب والعلوم الصحية، أكاديميا أنترناشيونال، بيروت، لبنان، 2007،

2- مفهوم علم المصطلح:

علم المصطلح: علم لغوي تطبيقي، احتّل مكان الصدارة في مختلف العلوم الإنسانية والعلمية. ويتخذ علم المصطلح الأسس العلمية لوضع المصطلحات وتوحيدها موضوعا له، فهو على حدّ تعبير "أوغين فوستر" (Eugen wuster) [1898–1977]: "يدرس طبيعة المفاهيم وخصائصها ومكوناتها وعلاقاتها الممكنة واختصاراتها والعلامات والرموز الدّالة عليها وتوحيد المفاهيم والمصطلحات، ومفاهيم المصطلحات الدولية وتدوينها، ووضع معجماتها ومراحلها الفكرية من حيث تتابعها وتوسيعها".[1]

وعلم المصطلح واحد من الفروع العلمية التي تفرعت عن اللسانيات التطبيقية Linguistique Appliquée، فهو يركز اهتمامه على تحديد المفاهيم بشكل واضح ودقيق، ثم يجد لهذه المفاهيم مصطلحات لغوية تختص بها، لذلك فهو يبحث في العلاقة بين المفاهيم العلمية والمصطلحات اللغوية التي تعبر عنها، ومنه نلاحظ أنّ المفهوم La notion، يختلف عن المصطلح Le terme، فالمفهوم هو منظومة الخصوصيات والتصورات التي يدّل عليها المصطلح، فهما [المفهوم والمصطلح] بلغة دوسوسير، بمثابة الدال والمدلول.

وعلم المصطلح ليس علمًا مستقلا بنفسه، فله وشائج قربى وعلاقة نسب مع الأسس الفلسفية والتاريخية والاجتماعية والنفسية، واللغوية والعلمية وعدّة معارف وعلوم أخرى. فهو يقف في مفترقالطرق بين جميع هذه العلوم، فيأخذ منها وتأخذ منه، يخدمها وتخدمه، ويتبادل المنافع معها كلّها.[2]

ولا يمكن أن نتصور علما بدون مصطلحات تحدد مجالات تخصصه وهويته العلمية بين مختلف العلوم، لذلك فالعلم لا يعرف الحياة، ولا يفرض ذاته إلاّ حين يُوجد أسماء دالّة

ص 56 وما بعدها.

1)- انظر: بشير إبرير: علم المصطلح وأثره في بناء المعرفة وممارسة البحث في اللغة والأدب، مجلة التواصل، عدد 25، مارس 2010، جامعة باجي مختار-عنابة، ص 8.

2)- انظر: بشير إبرير، المرجع نفسه،ص 8-9.

على مفاهيمه. ولا شك أنّ هذه الأسماءلن تكون شيئا آخر غير مصطلحاته، لدرجة أنّه يمكن قياس درجة نضج علم من العلوم، بمدى توفيقه في بناء أنساقه الإصطلاحية الوثيقة الصلة بأنساقه المفهومية.[1]

فبالمصطلح يتم تحديد الموضوع العلمي في مجال مخصوص، وبالمصطلح تبنى النظريات وتقام المناهج، فالمصطلحات ليست العلوم فحسب، بل هي خلاصة البحث فيها في كل عصر وفي كل مكان، ببدايتها يبدأ الوجود العلني للعلم وفي تطورها يتلخص تطور العلم.[2] فهي التي تقيم للعلم سوره الجامع وحصنه المانع، حتى لتكاد المصطلحات تفد وهي العلم ذاته، بل إنّ ذلك يكاد يصل إلى المرتبة التي يتعذر معها تصور هويتين مختلفتين، فلا إدراك للعلم دون مصطلحاته.[3]

نلاحظ مما سبق ذكره، دور علم المصطلح المهم جدّا في بناء المعرفة، فهو يصنع المعرفة، لأنّ في غياب المصطلحات وعزلها، ضياعًا تاما للمضامين العلمية، فهو الذي يؤسس للمعرفة، ويصنّف مقولات الفكر، ويبوّب العلم وينظم مجالاته وحقوله سياقاته المعرفية والمرجعية.[4] "فلا غرابة إذن أن يكون الرصيد المصطلحي بنية كبرى تجزئ الواقع إلى مفاهيم، هي مختلف المفاهيم التي تلحقها الأسماء الاصطلاحية".[5]

لا شك أنّ في المصطلح تقييدًا للمعرفة، إذ بدونه تتعرض مكوناتها للتلف لذلك، فالمصطلح وحدة لسانية تستخدم لتسمية ولتعيين المفاهيم الخاصة، كما أنّها تحيل على مفاهيم خاصة بمجال معرفة إنسانية ما، وللمصطلح القدرة على تنظيم المعرفة وتبليغها، لأنّ

---

1)- انظر:

Benveniste E. Problèmes de linguistique générale, T2, gallimard, Paris, 1969, P 47.

وينظر: محمد هيثم الخياط: علم المصطلح لطلبة كليات الطب والعلوم الصحية، ص 112.

2)- الشاهد البوشيخي: المعجم التاريخي للمصطلحات العلمية، سلسلة دراسات مصطلحية، ط3، مطبعة آنفو، برانت، فاس، 2004، ص 1.

3)- عبد السّلام المسدي: صياغة المصطلح وأسسها النظرية، ضمن تأسيس القضية الإصطلاحية، بيت الحكمة، تونس، 1989، ص 27.

4)- محمد هيثم الخياط: علم المصطلح لطلبة كليات الطب، ص 13.

5)- بنطالب عثمان: علم المصطلح بين المعجمية وعلم الدلالة، ضمن "تأسيس القضية الاصطلاحية، بيت الحكمة، تونس، 1989، ص 76.

العلوم كما هو معلوم نُظم معقدة من المفاهيم تربط بينها علاقات منطقية، لا يمكن تبليغها إلاّ بما ينسجم مع تلك النظم، وعليه، فعلم المصطلح يعتمد على علم المنطق؛ [1] لأنه على حدّ تعبير فوستر "يتخذ من المفاهيم نقطة بدايته، لذلك فهو يعتمد على العلوم التي تضبط العلاقات بين المفاهيم وبين الأشياء، وهما علم المنطق وعلم الوجود".[2]

ولم يظهر علم المصطلح بهدف إرضاء رغبة في التميّز، بل إنّ ما ساعد على ازدهاره ونمائه، وتطوره وخروجه للعالم علما مستقلا، هو التطور التكنولوجي الاقتصادي من جهة والحاجات إلى التواصل بين شعوب تنطق بلغات مختلفة من جهة أخرى.[3]

وقد كان قطاع الخدمات الاقتصادية هو أوّل قطاع اهتم بتوحيد المصطلحات؛ لأنّه كان في حاجة إلى جعل المستهلك واثقاكل الوثوق في أنّ المنتوج المتمثل في قطعة من لحم البقر المعروفة باسم Hamburger مثلا، لا تختلف جودته في ألمانيا أو في هولندا أو حتى في البرازيل أو الجزائر، عن جودته المعروفة في أمريكا، وهذا لا يتحقق إلاّ بتوحيد تسميته عبر العالم، فظهر مصطلح Hamburger المشهور عالميا في عالم الأطعمة.[4]

من هنا يظهر دور المصطلح الفعّال في البعد الاقتصادي، وكان الاقتصاديون سبّاقين لتوحيد مصطلحاتهم، لحاجتهم الماسّة لذلك، ولم يقتصر الأمرعلى الاقتصاد وحده، فقد جارته في ذلك جميع العلوم على تنوّعها واختلافها لوعيها جميعها بالحاجة الماسّة لخلق مصطلحات لمفاهيمها، وتصوراتها الخاصة بحقلها العلمي، ودليل ذلك أنّ علم المصطلح أصبح يشهد تداخلا فعّالا مع جميع العلوم، كالعلوم التقنية والتكنولوجية والطبيّة والصيدلة والحاسوب والقانون والاقتصاد، وعلوم اللغة التي تطور علم المصطلح معها تطورًا مذهلا وعلى

---

1)- انظر: محمد هيثم الخياط، المصدر نفسه، ص 116.

2)- انظر: نفسه، ص نفسها.

3)- انظر: هنري بيجوان، وفيليب تواورن: المعنى في علم المصطلحات، ترجمة ريتا خاطر، مراجعة سليم نكد، المنظمة العربية للترجمة، بدعم من مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم، ط1، بيروت، ديسمبر، 2009، ص 7، [مقدمة الكتاب].

4)- انظر: محمد هيثم الخياط، ص 30.

رأسها فروع اللسانيات المختلفة مثل: النحو واالصرف والدلالة والترجمة والبلاغة واللسانيات التطبيقية وعلم الأصوات، والتعليمية ولسانيات النص وتحليل الخطاب...الخ.

إنّ علم المصطلح يبحث في العلاقة بين المفاهيم العلمية والمصطلحات اللغوية التي تعبر عنها، ويرتكز على علوم عدّة في مبناه ومحتواه، منها علوم الدقة والمنطق وعلوم الحاسوب وعلم المعرفة ومختلفة التخصصات العلمية، وهو الحقل العلمي الذي يستثمره المتخصصون في العلوم والمعارف المتنوعة، مثل المترجمين والمعجمين والمخططين اللغوين...الخ".[1]

وعلم المصطلح كأي علم من العلوم، له أهدافه ومراميه، فهو يهدف إلى تصنيف المفاهيم وترتيبها وتنظيم المعرفة بإيجاد مصطلحات خاصة بكل حقل معرفي، هذه المصطلحات هي بمثابة أسماء دالّة على مفاهيم خاصة بهذا الحقل المعرفي، كما يهدف إلى نقل المعارف والمعلومات التقنية والتكنولوجية ونشرهاعبر مختلف أرجاء العالم، لذلك وجب توحيد المصطلحات الخاصة بمفاهيم معينة في تخصص معرفي محدد.[2]

وقد حركت الحاجة إلى وصف المعرفة وتنظيمها وإبلاغها ونشرها إلى اختراع علم المصطلح، لأنّ المصطلح هومفتاح أي علم وأية معرفة، ووسيلة لإدراك الكون بما أنّه حامل لمفهوم معين.[3] فالمصطلح هو اختصار لمجموعة من التصورات التي يحملها المفهوم، ليكون المصطلح مجرد رمز لغوي لمفهوم ذهني [عقلي] معين يمكن الولوج من خلاله إلى ميدان المعرفة، وقد يكون المصطلح لفظا واحدًا، مفردًا مثل مصطلح [الشورى، الخلافة...] وهي مصطلحات خاصّة بالدين الإسلامي،وقد يكون عبارة مثل: [لسانيات النص، تحليل الخطاب غير الأدبي]، وهي مصطلحات منتمية إلى حقل العلوم اللغوية.

وتنتظم المصطلحات العلمية داخل نظام اصطلاحي مربوط بواسطة الحدود والتعريفات بنظام من المفاهيم، ومن ثمَّ فإنّه لا يجوز أن نتحدث في مجال المعرفةالعلمية عن مصطلحات معزولة [منفردة] أو عن مفاهيم معزولة، وإنما عن نظام من المصطلحات وثيق

---

1)- انظر:محمد الديداوي: الترجمة والتواصل، دراسات تحليلية عملية، لإشكالية الاصطلاح، ودور المترجم المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2000، ص 47.

2)- انظر محمد الديداوي: نفسه، ص48.

3)- انظر:محمد الهادي عيّاد: مصطلحية أم مصطلحيات، ضمن أبحاث المنتدى المصطلحي الدولي، تونس، 2008، ص47.

الصلة بنظام من المفاهيم،[1] حيث تنتظم المصطلحات على انتظام مفاهيمها في نظام ممزوج بين المصطلحات والمفاهيم، "إذ بفضل هذه الأنساق يتم تنظيم المعرفة، وتصميم هندستها ومنه، فالمصطلح ومفهومه ليس لهما قيمة خارج النسق والنظام المعرفي".[2]

وموضوع علم المصطلح إذًا هو دراسةأنظمة المفاهيم التي ترمز إليها المصطلحات بوصفها علامات دالة، وعليه فإنّ علم المصطلح يعتبر نقطة الانتقال إلى عصر الصناعة اللغوية".[3]

1-2- الإرهاصات الممهدة لظهور علم المصطلح:

تشير المراجع المختلفة أن الإرهاصات الأولى لعلم المصطلح " Terminologie" ظهرت في النصف الأول من القرن الثامن عشر الميلادي على يدّ المفكر الألماني "كريستيان كوتفريد شوتز" [1747-1832][4]، ثم تطور علم المصطلح تطورًا مذهلا على المستوى النظري والتطبيقي في الثلاثينات من القرن العشرين مع المهندس النمساوي "أوغين فوستر Eugen Wuster" [1898-1977] الذي يُعدُّ مؤسس علم المصطلح المعاصر، والممثل لما يسمى مدرسة فيينا من خلال رسالته التي ناقشها بجامعة فيينا، حول التوحيد الدولي للمصطلحات في مجال الهندسة الكهربائية، وذلك سنة 1931. أما منظمة [ISO](*) التي تأسست عام 1946، فقد اهتمت هي الأخرى بعلم المصطلح لمعرفتها بأهميته البالغة في بناء وتنظيم

---

1)- محمد هيثم الخياط، علم المصطلح لطلبة كليات الطب والعلوم الصحية، ص 64.

2)- انظر: نفسه، ص 64.

3)- محمد الهادي عيّاد: المرجع المذكور سابقا، ص 49 وما بعدها.

4)- محمد هيثم الخياط: نفسه، ص 30.

المعرفة والتي عرفت علم المصطلح. [1] بوصفه الدراسة العلمية للمفاهيم والمصطلحات المستعملة في اللغات الخاصة".[2]

كان علم المصطلح يعين منظومة مصطلحات خاصة بحقل معرفي معيّن أو لتخصص علمي ما، كأن نقول مثلا: "علم المصطلح الطبي"، "علم المصطلح اللساني"، "علم المصطلح الرياضي"،... ولكن مفهومه سرعان ما توسع ليدل على المنهج العلمي الذي يرتبّ وينظم مجموعة من المصطلحات، بتقنية معينة أو علم معين.[3]

وقد أدّى الاهتمام بالمصطلح إلى ولادة مدارس ذات منطلقات نظرية مختلفة في تناول الظاهرة المصطلحية، ويمكن أن نميز بين ست مدارس رئيسية نذكر منها:

1 - المدرسة الألمانية النمساوية L'Ecole germano-autrichien[**]

2 - المدرسة السوفياتية L'Ecole Sovétique[***]

3 - المدرسة التشيكوسلوفاكية L'Ecole tchécoslovaque[*]

4 - المدرسة الكندية الكيبيكية L'Ecole canado-québécoise[**]

5 - المدرسة الفرنسية L'Ecole Française[***]

أمّا في الوطن العربي المعاصر، فإنّ علم المصطلح اهتمت به مجامع اللغة العربية على اختلافها، نذكر منها: مجمع دمشق 1919م ومجمع القاهرة 1932 ومجمع بغداد 1947 ومجمع عمّان 1976 والمجمع السعودي 1983 ومجمع الجزائر 1986 وإتحاد المجامع العربية 1970 ومكتب تنسيق التعريب بالرّباط (1969)، وما لمجلته الرائدة (اللسان العربي) من دور ريادي

---

*)- ISO: International stander organistion، تأسست سنة 1946.

1)- يوسف وغليسي: إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، الدار العربية للعلوم، ناشرون، ط1، 1429هـ-2008م، ص 29.

2)- محمد هيثم الخياط/ علم المصطلح لطلبة كليات الطب، ص 31.

3)- انظر: هنري بيجوان، فيليب تواورن: المرجع المذكور سابقا، ص 9.

**)- تأثر أصحابها بعميد المصطلحية "فوستر" ورسالته القيمة "التقييس الدولي للغة التقنية" من روادها دهلرك.

***)- من أهم أعلامها Loter، وبدأت عملها في الثلاثينات من القرن العشرين وهي تعتبر علم المصطلح تخصصا معرفيا تطبيقيا، يبحث للمشاكل العلمية والتقنية المتعلقة بعلم المصطلح.

في هذا الشأن، والجمعية المعجمية التونسية ومجلتها (المعجمية) 1985، التي يديرها الدكتور محمد رشاد الحمزاوي، صاحب النشاط "الاصطلاحي"، المهم دون أن نهمل دور الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح رئيس المجمع الجزائري، وصاحب مشروع الذخيرة اللغوية وعبد الملك مرتاض، رئيس المجلس الأعلى للغة العربية في الجزائر (1998–2001).[1]

1–3– الكلمة والمصطلح: وكيف تتحول الكلمة إلى مصطلح:

الكلمة دال ومدلول، لفظ ومعنى، يتواضع عليه جماعة من المتكلمين، والمصطلح دال ومدلول، مفهوم وتسمية، يتواضع عليه جماعة من المتكلمين. فما الفرق بين الكلمة والمصطلح بما أنّهما تواضع واتفاق بين جماعة من المتكلمين؟.

الكلمة ذات وجهين؛ الوجه الأول هو اللفظ، والوجه الثاني هو المعنى، أي أنّ الكلمة هي مجموعة من الأصوات الدّالة على معنى معين، فمجموعة الأصوات [ب+ألف+ب]، تدّل على ذلك الشيء الذي يفتح، ويغلق، ويخرج منه النّاس ويدخلون، وباختصار الكلمة دال ومدلول بلغة دوسوسير. وتمتاز الكلمة بما يلي:[2]

1 -معناها المتغير بحسب السيّاق الواردةفيه؛ أي أنّ الكلمة لا تحمل دلالتها في ذاتها، ولكن تتحدد دلالتها بحسب السيّاق، فكلمة "عين"مثلا تحمل معنى مغايرًا في كل جملة من الجمل الآتية:

---

*)- تلدت نع العقد الثالث من القرن العشرين، من أهم روادها دروزد Drozed

**)- ولدت مع بداية العقد السادس من القرن العشرين، من أهم روادها روندو Rondeau، ترى أنّ المصطلح علامة لسانية ذات وجهين التسمية والمفهوم.

***)- أهم روادها راي Rey، ديبوا Dubois، يغلب على أبحاثها المصطلحية الطابع اللساني والاجتماعي، تسعى إلى إنشاء نظرية للاشتقاق المعجمي (Dérivation lexicale)، لمزيد من التفاصيل أنظر: محمد هيثم الخياط، ص 35–36–37.

1)- انظر: يوسف وغليسي: إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، منشورات الاختلاف، الدار العربية للعلوم، ناشرون، ص 22.

2)- انظر: عزالدين البوشيخي: المصطلح والمفهوم وأشكال التعالق بينهما، ضمن وقائع ندوة: قضية التعريف في الدراسات المصطلحية الحديثة، منشورات كلية الآداب بوجدة، سلسلة ندوات ومناظرات، المغرب، 1998، ص 8.

أ- اشترى محمد نظارات لعينه

ب- حضر عين القوم العرس.

ج- سئم محمد من عين ترقبه.

د- شربنا من عين ماؤها عذب

هـ- عجز الخياط عن إدخال الخيط في عين الإبرة.

- نجدكلمة[عين] متغيرًا معناها في كل جملة من هذه الجمل، فإذاكانت في الأول تدل على "حاسة البصر"، فإنها في الثانية تدل على "كبير القوم"، بينما في الثالثة تدّل على "الجاسوس"، وفي الرابعة تعني "المنبع"، وفي الخامسة تدل على "ثقب الإبرة".

2 -قد ترد الكلمة بمعناها الحقيقي المألوف، وبمعنى آخر مجازي خارج عن المألوف.

3 -تنتمي الكلمة إلى حقل دلالي؛ بمعنى أنّها تصنّف ضمن حقل دلالي تتقاسمه معها كلمات أخرى تشاركها في سمات أساسية، فالأبيض والأزرق والأخضر كلمات تنتمي إلى حقل الألوان، لأنها كلّها تدّل على الألوان.

4 -تمتاز الكلمة بأنّها تنتمي إلى معجم اللغة العام، أي أنّ عامة الناس يستعملونها، ولا تقتصر على أهل اختصاص معين.[1]

5 -تتغير الكلمة بتغير المكان والزّمان، فكلمة سيّارة مثلا: كانت تدل في القديم على القافلة التي تسير، بينما في الزمن الحاضر،تدل على المركبة التي يركبها النّاس.

-أمّا المصطلح فتسمية ومفهوم ومن أهم خصائصه:

1 - ارتباطه بمجال علمي أو معرفي معين، فعلم الطب له مصطلحاته الخاصة، وعلم اللسان كذلك.

2 - يكون المصطلح دليلا لمفهوم يقع خارج اللغة، وقصر المصطلح على مفهوم محدد، بمعنى أنّه يمتاز بالتفرد، ويتصف بالدلالة الأحادية.[2]

---

1)- محمد عيثم الخياط: المرجع المذكور سابقا،ص 71.

2)- محمد العادي عيّاد، المرجع المذكور سابقا، ص 46.

بمعنى أنّ المصطلح يحمل مفهومه الخاص به في ذاته، ويتفرد لهذا المفهوم لا يقاسمه فيه أيّ مصطلح آخر من المصطلحات، وهو لا يعتمد على السيّاق حتى يحدد هويته، لأنّ له دلالة واحدة، لا تتعدد بتعدد السياقات.

3 - يكتسي المصطلح طابع العالمية؛ فهو عالمي، يستعمله أصحاب الاختصاص في جميع العالم بمفهوم واحد أوحد.

4 - يتحدد مفهوم المصطلح داخل المجال الذي ينتمي إليه، ولا يمكن لمفهوم المصطلح أن يتغير إلاّ إذا تغير مجال استعماله، فمصطلح "عين" في المجال الصحي يدل على عضو الإبصار، وفي مجال النبات يدل على البرعم الذي يتطور ليعطي الأزهار، وهو في الفلسفة معادلاً للجوهر، وفي علم المخطوطات يعني الثقب الدائري الحادث في الجلد الذي يشكل مادة المخطوط، ويصبح مفهومه في علم الأرصاد الجوية ثقبا في مركز الإعصار.[1]

– إنّ الخلط بين الكلمة والمصطلح يعدّ من المشكلات المصطلحية التي تواجه الباحث باللغة العربية، وبخاصة في علوم اللسان، ومنها لسانيات النّص وتحليل الخطاب، فذلك يؤدي إلى عدم الوضوح والدّقة في التواصل العلمي بين أهل التخصص، مثال ذلك استخدام كلمتين مختلفتين أو عدّة كلمات لمفهوم واحد على نحو يعدّ هدرًا للرصيد المعجمي العربي، برأي الدكتور محمود فهمي حجازي.[2]

وكذلك استخدام الكلمة العربية الواحدة لمفهومين مختلفين أو أكثر، وهذا يعني أنّ المفهومين المختلفين ينبغي أن نعبّر عنهما بمصطلحين متميزين، مثال ذلك: كلمة السيّاق والنسبة إليها سياقي، نجدها تقابل عند بعض اللغويين مصطلح Associative أي: إقتراني، وتقابل أيضا مصطلح Syntagmatic أي تركيبي، وتقابل أيضا Contextual وهذا هو الصحيح.[3]

---

1)- محمد هيثم الخياط، ص 73.

2)- محمود فهمي حجازي: الأسس اللغوية لعلم المصطلح، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، [د–ت]، القاهرة، ص 228 وما بعدها.

3)- المرجع نفسه، ص 229.

والسبب في هذا كلّه عدم إدراك معنى الكلمة في وضعها الأول قبل أن تكون مصطلحا، بأنّه يختلف عنه عندما تصبح مصطلحا دالاً على مفهوم محدد في وضعها الثاني.

ومما تقدّم يمكن إجراء مقابلة بسيطة لتوضيح الفروق بيم الكلمة والمصطلح في الجدول الآتي:

الكلمة	المصطلح
– تحيل الكلمة إلى دلالة معينة، وتنتمي إلى حقل دلالي معين. – تنتمي إلى معجم اللغة العام بمعنى يستعملها عامة النّاس. – تحتاج الكلمة إلى السيّاق حتّى يتحدد معناها، فهي لا تحمل دلالتها في ذاتها. – تتغير الكلمة بتغير المكان والزّمان. – يمكن أن نجد للكلمة ترادفا واشتراكا لفظيا. – يمكن أن ترد بمعناها الحقيقي، ومعنى مجازي.	– يحيل المصطلح إلى مفهوم معين، وينتمي إلى حقل علمي معين. – ينتمي المصطلح إلى معجم اللغة الخاص، بمعنى يقتصر استعماله على فئة من المتخصصين في مجال علمي معين. – لا يحتاج إلى سيّاق، حتى يتحدد معناه، فهو يحمل مفهومه في ذاته. – لا يخضع المصطلح لاعتبارات الزمان والمكان. – لا يمكن أن يكون للمصطلح ترادف، فمبدأ المصطلحات لا يؤمن بالترادف، ولا الاشتراك اللفظي، لأنّه يتفرد بدلالة معينة، لا يشاركه فيها غيره. – يتحدد مفهوم المصطلح داخل المجال الذي ينتمي إليه.

لكن؛ المصطلح في أصله كلمة، والكلمة قبل أن تكون مصطلحا، كانت تمثلاً ذهنيا ومحطة على محور الاسترسال من التعميم إلى التخصيص، وبمعنى أنّ الكلمة كانت عامة، يستعملها معجم اللغة العام، ثم أصبحت تدل على مفهوم من المفاهيم الخاصة، داخل مجال من مجالات المعرفة العلمية، فتصبح إذ ذاك مصطلحا يختص به مجموعة من المختصين في مجال علمي محدد؛ فهو إذن تخصيص التخصيص. [1] إذن يمكن للكلمة أن تنتقل من وضع الكلمة الدالةعلى معنى من المعاني اللغوية، إلى وضع المصطلح الدال على مفهوم من المفاهيم داخل مجال بعينه.

ومنه، يمكن للكلمة أن تتحول إلى مصطلح عند عزلها عن أي سيّاق؛ أي أن تسند إليها دلالة مستقلة عن الاستعمالات السياقية، وإعفاؤها من أي تأويل، فتصبح مقصورة

1)– انظر: محمد الهادي عيّاد: المرجع المذكور سابقا، ص 47.

على مفهوم معين، ومندرجة ضمن حقل علمي معين، وبذلك خارج الإطار الزماني والمكاني؛ ومنه تكون جديرة أن تصبح مصطلحا، لأنها استوفت جميع الشروط.[1]

II- النص العلمي وموقع المصطلح فيه:

1 تعريف النص العلمي:

أ- **تعريف العلم**: عرّف الدكتور وائل غالي العلم في كتابه تاريخ العلوم العربية وتحديث تاريخ العلوم، بحث في إسهام رشدي راشد بأنّه "في الأصل مصدر من عَلَمَ، وعَلِمَ الشيء، أي عرّفه، وبذا يكون علما كل ما دخل في علم البشر، إلاّ أنّ هذا المعنى العريض للفظ قد ضيق دائرته الاصطلاحُ المعاصر؛ فالعلم مجموعة من الدراسات لها غرض معين ومنهج واضح ودائرة محدّدة".[2]

---

1)- نفسه، ص 47.

2)- وائل غالي: تاريخ العلوم العربية، وتحديث تاريخ العلم، بحث في إسهام رشدي راشد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2005، ص 27.

2 مفهوم النص العلمي:

لا بدّ من توفّر أربعة مقاييس في النص حتى يكون نصا علميا، وهي على حدّ تعبير "توماس كون Thomas Khun:[1]

أ – الملاحظة.

ب – التجريب

ج – الضبط

د – الموضوعية

ومن هذا يظهر أنّ النص العلمي كغيره من العلوم الأخرى، يحمل مفهوما معينا يرمي إلى هدف معين هو "الوصول إلى المعرفة" [2]، ويستخلص نتائج محدّدة بعدما يطبق مناهج علمية معينة، ويحمل أيضا لغته الخاصة المنفرد بها.

ويتميز النص العلمي على غيره من النصوص، بكونه يقدّم حقائق علمية متفق عليها، لأنّها نتيجة لتجارب علمية وتطبيقات ميدانية سابقة قام بها الباحثون المتخصصون وفقا لمنهج علمي ومعايير علمية ملموسة، ومنه فالنّص العلمي يقدم حقائق لا يوجد فيها خلاف.

والنّص العلمي من منظور عبد القادر الفاسي الفهري: "خطاب نظري يمكن تصوره، على أنه بنية تفسيرية، تربط عددًا من الظواهر، بعدد من المفاهيم والمسلمات والمبادئ عن طريق جهاز استنتاجي. وتحدد البنية التفسيرية بصفة أدق بالنظر إلى مجال البحث، ومجال الاحتجاج [...]فمجال بحث الخطاب تحدده مفاهيم ذلك الخطاب، وهذه المفاهيم تحصي مجموعة من الظواهر، ومجال التفسير مجموعة فرعية من الظواهر التي تنتمي إلى مجال البحث [...] ومجال الاحتجاج مجموعة من الظواهر، تبطل أو تزكي التفاسير المقترحة".[3]

نستنتج من التعريف أنّ النّص العلمي يتكون من نظام ممزوج بين المفاهيم العلمية التي تكون مجاله العلمي الذي ينتمي إليه، والمصطلحات اللغوية التي تحمل هذه المفاهيم وتعرّفها،

---

1)- مازن الوعر: قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديث، مدخل، دمشق، طلاسيدار، ط1، 1988، ص 10.

2)- وائل غالي: نفسه، ص 27.

3)- عبد القادر الفاسي الفهري: عن أساسيات الخطاب العلمي والخطاب اللساني ضمن المنهجية في الأدب والعلوم الإنسانية، ص 2.

وهو يفسّر هذه المفاهيم من خلال الاستقراء والاستنتاج والحجج والبراهين التي تدّعم التفسير المقترح.

النص العلمي إذن مبني بناءً لغويا محكم السبك والحبك، متفق عليه من قبل المتخصصين، واضح المضمون، علمي وموضوعي، بعيد عن الذّاتية، يتسم بالدقة العلمية، يخلو من الألفاظ ذات الدلالات الإيحائية، لأنّه يقدّم تفسيرًا لبعض الظواهر العلمية، يريد شرحها وتحليلها، مدّعما ذلك بأدلة وبراهين تؤكد صحة ما اقترحه.

لا تريد اللغة العلمية أن تكون لغة تقريبية كاللغة اليومية، لأنهاتتعامل مع المفاهيم والمصطلحات الدقيقة التي يربط بينها المنطق العقلي، أو لغة إيحائية تتفاوت فيها درجات القراءة وتختلف باختلاف القراء ومستوياتهم الفكرية والثقافية، إنما هي لغة محايدة " Neutre"، وبعبارة أخرى لغة عالمية، يحصل على مضمونها الاتفاق بخلاف لغة الأدب والفنون.[1]

– نتيجة:

النّص العلمي، نصّ يعتمد التفسيروالاستقراء والاستنتاج من خلال منهج ومناهج مطبقة، يخرج من ورائهانتائج معيّنة، مرفقة بحجج وبراهين تدعم هذه النتائج، متسم بالوضوح والدّقة العلميّة، يتعامل مع مصطلحات ومفاهيم خاصةبميدان علمي معين.

3– موقع المصطلح من النّص العلمي:

للمصطلح دور مركزي في نظام النّص العلمي يجعله بذلك متميزا عن غيره من النصوص، فالمصطلح هو الأساس في هذا التميّز.

ويتجلّى موقع المصطلح من النّص العلمي في مستويات اللغة جميعا، الصوتية والعرفية، والدلالية والمعجمية والسياقية، وبما أنّ النّص العلمي بنية لغوية، فإنّه يحتاج إلى ألفاظ معجمية تزوده بالرصيد اللفظي الذي يساعده على تسمية المفاهيم وتعيينها وتعريفها، وهذه الألفاظ لن تكون –في النص العلمي– غير المصطلحات. إذًا المصطلحات تمثل الجانب

1)– د. شريف بوشحدان: ملاحظة كتبها في تصحيحه بهذا الفصل.

المعجمي للنص العلمي الذي من خلالها يمكنه من أنّ يعرّف مفاهيمه وينظم معرفته ويفسرها للمتلقي المتخصص بدّقة ووضوح.

والمصطلحات داخل المعجم، لا تتفاوت ولا تتفاضل فيما بينها، لأنّها تصبح مجرد علامات ورموز لسانية دالة، مكلّفة بمهمة التسمية، وهي "مجرد مفتاح يرمز به إلى المفهوم ويقع بواسطته إدراك المفاهيم". [1] وتظهر ميزة أو جودةمصطلح عن آخر من خلال وقوعه داخل النظام المحدد له، إذ إنّ السيّاق هو الذي يحي هذا المصطلح ويميت ذاك، بحيث لا تتحدد أهمية المصطلحات، إلاّ من خلال السيّاق الموضوعة فيه، والمصطلح الأكثر مناسبة لهذا السيّاق يكون الأفضل.

ويتميّز النّص العلمي بورود المصطلحات فيه بكثرة، والمعلوم أنّ المصطلحات ذات طبيعة اسمية، وليست فعليه، وهذا ما يجعل ورود الأفعال فيه نادرًا جدّا، مما يجعله موجزا، مختصرًا ومباشرًا.

ويمتاز النّص العلمي بوحدة الدلالة، بما أنه يتعامل مع المصطلحات. والمعروف أنّ للمصطلح الواحد مفهوما واحدًا، ينفردان معًا بدلالة واحدة، وهذا ما يجعله بعيدًا عن الاستعارات، "حيث يرى بعض اللسانين أنّ علم المصطلح من مشمولات علم الدلالة، فهي تدخل في نطاق اهتمام علماء الدلالة بإشكالية العلاقة بين المدلول والمفهوم". [2]

أو بين المصطلح والمفهوم اللذين يشكلان معًا علامة لسانية ذات وجهين، لا يمكن أن يعزل الأول عن الثاني، فهما متلازمان متضامان معًا، أحدهما يقتضي الآخر بما أنّ المصطلح رمز دال على مفهوم معين.

نستخلص إذن أن المصطلح يحتل من النّص العلمي مكانا مهما فهو:

1 - بمثابة المعجم الذي يزوده بالألفاظ، فيكون مساعدًا له على تعريف المفاهيم وصياغتها داخل نظام لغوي دقيق.

---

1)- محمد الهادي عيّاد: مصطلحية أم مصطلحيات،ص 52.

2)- انظر: محمد الهادي عيّاد: مصطلحية أم مصطلحيات، ص 52.

2 - يجعله قادرًا على أن يكون موجزا دقيقا، مختصرًا، وبالتالي يكون أكثر وضوحًا بالنسبة للمتلقي المتخصص.

3 - يعطي النّص العلمي بسياقاته للمصطلحات التمايز والتفاضل، فمن خلال السيّاق الذي يمنحه النّص، يمكن أن نختار المصطلح الأنسب ونُبعِدُ المصطلح غير المناسب لهذا السيّاق.

4 - المصطلح يجعل من النص العلمي بنية تميزية تفسيرية ذات وحدة واحدة، لأنّ المصطلحات تتعامل مع المفاهيم، فيكون للمصطلح الواحد مفهومٌ واحدٌ، وبالتالي تصنيف دائرة الاستعارات.

5 - بما أنّ المصطلح اسم وليس فعلا، فإن هذا يجعل النص العلمي قليل الأفعال أو منعدم الأفعال مما يجعله يشبه معادلة رياضية رموزها مصطلحاتها.

III- المصطلح اللساني العربي وإشكالية التداخل المفهومي بين لسانيات النّص وتحليل الخطاب:

المصطلح مجموعة من الأصوات الدّالة، واللغة كما عرّفهاابن جني "أصوات يعبر بهاكل قوم عن أغراضهم".[1]

إذن المصطلح رمز لغوي، وهو جزء من اللغة، يرتبط بمجال معرفي أو علمي معين، وبما أنّ المصطلح جزء من اللغة، فهو من أولويات عالم اللسان لأنّه يعمل على الإحاطة بموضوع المصطلح وفهمه، فهذا جزء من اختصاصه، وبالتالي يعطي للمصطلح هويته اللسانية الخاصة.

كما أنّ للمصطلح هوية لسانية لغوية، يعيش داخل مجتمع ناطق بلغة معيّنة، ولكل لغة تجاربها الخاصة النابعة من تجارب متكلميها؛ نفسية كانت أم معرفية أم ثقافية أم حضارية أم تاريخية أم علمية، و"ليس اختلاف اللغات الشديد إلاّ اختلافا لتجارب

1)- ابن جني: "الخصائص" الجزء الأوّل، تحقيق محمد علي النّجار، (د ت)، ص 34.

المتكلمين"[1] وبما أنّ المصطلح ابن بيئته، فإنّه يُشحن بحضارةتلك البيئة اللغوية، وتاريخها، فيولد هذا المصطلح حاملا لبصمات تجارب أهل بيئته اللغوية مع العالم الخارجي.

تكمن العلاقة بين اللسانيات وعلم المصطلح في أنّ اللسانيات تقدّم للمصطلح خدمةمن النّاحية النظرية، فتوفّر له اللغةوالمنهج الذي يوظفهما المصطلحي في مجال تخصصه المعرفي،ولذلك يعدّ علم المصطلح فرعا من فروع اللسانيات التطبيقية، ثم أصبح علمًا له خصوصيته العلمية واستقلاليته المعرفية وهويته الخاصةالتي تميّزه عن بقية العلوم.

واختلف العلماء حول الميدان الذي ينتمي إليه علم المصطلح، فمنهم من اعتبره فرعا من فروع اللسانيات، ومنهم من اعتبره ينتمي إلى المنطق، ومن بعده الفلسفة، حتّى أن "فوستر Wuster" عميد المصطلحية يعتبرعلم المصطلح علما مناقضا للسانيات.

ولعل علماء اللسانيات يعتبرونه جزءًا من اللسانيات، وحجتهم في ذلك أنّ كل مصطلح يحتوي على محتوى تعبر عنه الخصائص اللسانية، ومرتكزات ثقافية حضارية واجتماعية.[2]

إنّ علم المصطلح يدرك اللغات بمنظور مختلف عن اللسانيات، فاللغة عند اللسانيين بمثابة وقائع وملكات فطرية لا يكتسبها المرء إراديا، وإنّما يولد مزودًا بها، إذن لا تخضع لإرادته أو لوعيه، بل هي نتيجة لاحتكاكه المباشر مع العالم الخارجي، وتعامله مع الأفراد بواسطة لغتهم، ودليل ذلك أنّه لا يوجد إنسان لا يمتلك لغة، بغض النظر عن انتمائه الاجتماعي، أومستواه العلمي، فكل إنسان في هذا العالم ينتمي إلى مجتمع يمتلك لغة، فيكتسبها الإنسان بفضل ملكته الفطرية التي ولد مزودًا بها، فيتكلمها الإنسان دون وعي أو شعور. أما بالنسبة لعلم المصطلح، فإنّ اللغة بحسب أصحابه تُكتسب إراديا، وبصفة واعية، لأنّها خاضعة للمستوى العلميّ والمجال المعرفيّ أو العلميّ الذي ينتمي إليه الفرد، فالفرد يتحضر من خلاله لمزاولة مهنته، بما أنّه ينتمي إلى جماعة من المتخصّصين التي تمتلك مصطلحات خاصة بعلم معين.

---

1)- محمد هيثم الخياط: المرجع المذكور سابقا، ص 152.

2)- انظر: محمد الهادي عيّاد: المرجع المذكور سابقا،ص 48.

والفائدة إذن: أنّ اللغة بالنسبة للسانيات مكتسبة غير إرادية، ناتجة عن مرتكزات فطرية، تطورت بفعل الاحتكاك مع العالم الخارجي، أمّا بالنسبة لعلم المصطلح، فهي نابعة من وعي الإنسان، خاضعة لإرادته، متعلقة بمستواه العلمي، وتابعة لاختصاص معين.

كما أنّ علم المصطلح يتسم بطابعه التوجيهي الإرادي، في حين تتّسم اللسانيات بطابعها الوصفي.[1]

وهكذا تكون علاقة علم المصطلح باللسانيات علاقة فرعية، تتمثل في كون الأولى تستعمل إحدى أدوات الثانية، وهو المصطلح، بما أنّه علامة لسانية.[2]

وبالرغم من أنّ اللسانيات تعتبر علما يلتقي مع عديد من العلوم، فإنّ علم المصطلح يتخذ من المصطلح اللساني موضوعا للبحث.

المتعامل مع البحث اللساني العربي يجد أنّ جهازه المصطلحي يعاني معاناة كبيرة تتمثل خاصة في وضع المصطلحات، وتعددها، حيث توجد مصطلحات متعدّدة تعبر عن مفهوم واحد، مما أثّر في بناء الخطاب اللساني من حيث القراءة والتلقي سواءً أتعلق الأمر بالمصطلح اللساني الغربي الوافد أم بالمصطلح العربي المتأصّل في عمق التراث.

وبما أنّ المصطلح حجر الأساس في بناء الخطاب اللساني، فإنّ له تأثيرا واضحا في ذلك، ويتجلى على مستوى:

أ -**البناء المعرفي**: ويتمثل في المرتكزات الفكرية التي اعتمد عليها الدرس اللساني العربي المعاصر، حيث يعاني من تعدّد في المرجعيات، وفي المصادروفي التكوين، وفي الترجمة من اللغات المختلفة، مما أدّى إلى تعدد القطائع- إمّا مع التراث العربي اللغوي، واتخاذ موقف سلبي منه، وعدم الوثوق بما جاء به، وإمّا القطيعة مع الحاضر المعاصر، بل ومع المستقبل أيضا، وفي كل هذا يضيق الوعي بالأسس والسياقات الاجتماعية والثقافية التي أحاطت بولادة المصطلح.

---

1)- انظر: هنري بيجوان، وفيليب ثوارون: المعنى في علم المصطلحات، ترجمة ريتا خاطر، ص 45-46.

2)- محمد الهادي عيّاد: مصطلحية أم مصطلحيات، ص 52.

-ونشير إلى أنّ البناء المعرفي له تأثيره في تشكيل بنية المصطلح وصياغته اللغوية بتوظيف خصائص وفّرتها اللغة العربية مثل:

1 -**الاشتقاق**: الذي يعدُّ طاقة مولّدة للمفردات الجديدة في اللغة العربية مثلا [س.ل.م]، فإننا نأخذ منه معنى السلامة في تصرفه مثل: سَلِمَ، يَسْلَمُ، وسَالِمٌ، وسَلْمَان، والسَلامَة، والسَّلِيمُ، والسّلامُ...الخ.

فعملية الاشتقاق إذن تنطلق من أصل موجود في اللغة العربية وتقوم عملية الاشتقاق على القياس على وزن من أوزان اللغة العربية بغية تكوين كلمات جديدة بناءً على القواعد التي تقوم عليها الكلمات الموجودة في اللغة.[1]

2 -**المجاز**: وهو استعمال كلمة للدلالة على غير ما وضعت له في الأصل بمعنى استعمالها للدلالة على مفهوم اصطلحي في مجال معرفي، أو علمي محدد، بحيث تتجاوز معناها اللغوي الأول. ويعدُّ المجاز هو أيضا-طاقة مولّدة للمصطلح، استعملها الدارسون للمصطلح قديما وحديثا في إثراء اللغة بالمصطلحات الجديدة، فنقلوا مثلا مفهوم الفصاحة كميزة للبن الذي أزيل رغوه وبقي خالصه إلى مفهوم حُسن الكلام وجودته، ونقلوا مفهوم الشك من الوخز بشيء دقيق كالشوكة يؤلم الجسم إلى مفهوم التردد والحيرة وعدم اليقين مما يؤلم النفس والعقل.[2]

فالمجاز على رأي الدكتور الشريف بوشحدان "وسيلة لغوية هامة في توليد المصطلح العلمي. وقد أبدع العرب القدامى في توليد مصطلحات للمفاهيم المستحدثة في مختلف العلوم، فلجأوا إلى شحن كثير من الألفاظ المتداولة في حياتهم العامة بدلالات جديدة، فوضعوا البلاغة والفصاحة، والنظم والنقد ومئات المصطلحات في النحو والأصوات والعروض والفقه، وغيرها من العلوم والفنون، والذي نراه ضرورة استثمار المجاز أحسن استثمار في مجال توليد المصطلحات العلمية، وهذا بعد أن يتعذّر الوضع بالاشتقاق".[3]

---

1)- انظر: محمود فهمي حجازي: الأسس اللغوية لعلم المصطلح، ص 35.

2)- انظر: محمد هيثم الخياط: ص 191-192.

3)- المجاز طاقة توليدية ضافية للمصطلح العربي، مجلة اللسانيات واللغة العربية، منشورات مخبر اللسانيات واللغة العربية، العدد السادس، جوان 2009، عنابة، ص 09.

فالمجاز إذن: "جهاز مطواع تحصل بفضله على عدد لا نهائي من الدلالات وهذا التعدد هو عنوان على حيوية اللغة ورواجها. وهو ضديد الأحادية الدلالية التي هي سبيل تحجّر اللغة وتوقف حركتها".[1]

وقد ساير المجاز تاريخ اللغة العربية واستطاع مواكبة التقدم الحضاري والعلمي واستطاع التعبير عن مفاهيم جديدة بألفاظ قديمة، ارتبطت بالمعنى الوافد، أكثر من تعبيرها عن معنى الأصلي، حتى صارت تلك المجازات حقائق لا يرجع الذهن إلى أصلها إلاّ بعد البحث والتأثيل".[2] فنحن اليوم لا نفهم الإبهام بمعنى الظلام الكثيف لا يمكن فيه تمييز الأشياء، وإنّما نفهمه بمفهومه المجازي الذي هو الغموض واشتباه المقصود وعدم المفهومية.

3 -**النحت**: طرحت قضية النحت في العصر الحديث في إطار الإفادة من الإمكانات اللغوية المختلفة، التي تتيحها اللغة العربية، بصياغة المصطلحات العلمية. ويرجع مصطلح النحت إلى الخليل بن أحمد الفراهيدي، الذي ذكره في كتابه "العين"، ووضحه بعدّة أمثلة مثل: "عبشمي"؛ يعني عبد شمس، و"عبقسي"، عبد القيس، ومنه البسملة والحوقلة... ويمكن استثمارهذه الظاهرة اللغوية في توليد المصطلح وصياغته.[3]

ونشير إلى أنّ مسألة الصياغة اللغوية للمصطلح وبنائه، يتعلق أيضا بلغة الخطاب، ويميزه عن غيره من الخطابات، انطلاقا من اللغة المستعملة المبنية على جهاز مصطلحي خاص على المستوىالمعجمي، بحيث يكون ذلك الجهاز المصطلحي المتكامل معجما خاصا يحقق هوية الخطاب في مجاله المعرفي ويبين أصالة صاحبه. كذلك على المستوى التركيبي والمستوى الدلالي إذ تفضي بنا الخصائص المرصودة في المستويات الثلاثة المذكورة إلى أنّ مستوى لغة الخطاب المتخصّص تتحدّد بمقوّمات موضوعية لها علاقة بالوحدات المعجمية والخصائص التركيبية والدلالية، فإذا نظرنا مثلا إلى اللسانيات من حيث هي خطاب يميزها المصطلح المستعمل،

---

1)-المرجع نفسه: ص 12.

2)- نفسه: ص 14.

3)- انظر: محمود فهمي حجازي: الأسس اللغوية لعلم المصطلح، ص 72.

فإنّه يمكننا أن نميّز بين خطاب كل عالم من علماء اللسانيات، من خلال المصطلحات المستعملة، تبعا لمنطلقاتهم النظرية واختياراتهم المنهجية، وأهدافهم من الخطاب، لذلك فإنّ خطاب دوسوسير، يختلف عن خطاب تشومسكي، وبنفنست وياكسبون، لأنّ لكل واحد منهم مصطلحاته المميزة التي صاغها وفقا لمرجعياته الفكرية. فعندما استعمل دوسوسير Langage - Langue، نظيرًا للغة – لسان. استعمل يلمسلاف - Usage Shéma نظيرًا لـ لغة ولسان أيضا أو وضع واستعمال على حد تعبير العلماء العرب القدامى. ويمكن أن نميّز بين لسانيات دوسوسير وغيره من اللسانيين، من خلال المصطلحات التي يستعملها كلّ منهم، مرتكزا في ذلك على طبيعة تكوينه العلمي واختصاصه، ومرجعياته الثقافية التي انطلق منه.

فلمّا كان دوسوسير عالم اجتماع، جاءت مصطلحاته متسمة في العموم بالطابع الاجتماعي، أما لويس يلمسلاف، فقد كان عالم رياضيات،واللسانيات عنده هي رياضيات اللغة.[1]

وأمّا تشومسكي فاللسانيات عنده لسانيات بيولوجية متعلقة بالدماغ، والأمر نفسه بالنسبة للخطاب اللساني العربي، فخطاب أحمد المتوكل اللساني يختلف عن خطاب عبد القادر الفاسي الفهري، ويختلف عن خطاب عبد الرحمن الحاج صالح، وعن خطاب عبد السلام المسدي، وبالتالي لكل واحد من هؤلاء العلماء اللسانين خطابه اللساني المتميّز به، المتجلّي في مصطلحاته.

ومن المشكلات التي تواجه الباحث العربي هو تعدّد المصطلحات للمفهوم الواحد، وهذا راجع لتعدد مصادر الترجمة، فكلمة Linguistique مثلا ترجمت إلى أكثر من 24 مصطلحا منها: لسانيات، علم اللغة العام، الألسنية، اللسنيات،...الخ. هذا لا يتسبب فقط في تعدد المصطلحات الدالة على مفهوم واحد فقط، ولكن تسبب أيضا في تداخل المفاهيم، ويظهر هذا في الخطاب العربي، برمّتة؛ في السياسة والاقتصاد والإعلام،

---

1)- فكرة مأخوذة عن محاضرة للأستاذ الدكتور الشريف بوشحدان بعنوان: اللسانيات وعلاقتها بالعلوم الأخرى، في إطار دروس للسنة الأولى ماجستير لسنة 2010/2009.

وعلم النفس، وعلم الاجتماع، وعلوم اللغة خاصة. ويمكن أن نبرز ذلك من خلال لسانيات النّص وتحليل الخطاب، إذ يُعدَّان اثنين من أهم ما أنتجته الساحة اللغوية الحديثة.

فتحليل الخطاب Analyse de discours يوفّر للباحث مداخل منهجية متنوعة تمكنه من تحليل الخطابات والنصوص بالنّظر إلى المدارس اللسانية، والنقدية المختلفة وخلفياتها النظرية ومرجعياتها الفكرية والمعرفية التي ارتكزت عليها.

وعليه؛ فهو تحليل تتنوع مداخله بين مداخل لسانية وأخرى أدبيّة، وهو بالمفهوم السوسيري يقابل الكلام، وبذلك فهو يتداخل عند بعض الدارسين بمفهوم النّص لأنّ النّص هو في الحقيقة مدونة مكتوبة، يختلف عن الخطاب الذي هووحدة تواصلية شفوية، ويعد "هاريس Harris" أول عالم لساني غربي استعمل مصطلح الخطاب، في مقاله: "تحليل الخطاب" عام 1952، حيث دعا إلى ضرورة تجاوز تحليل الجملة كأكبر وحدة للتحليل، إلى البحث في قواعد وضوابط بناء المتتاليات من الجمل، وهو مولود اللسانيات التطبيقية، حيث يعدُّ ميدانا تستثمر فيه المعطيات المنهجية المختلفة التي وفرتها علوم اللغة في دراسة النصوص والخطابات وصار علمًا مستقلا برأسه، له مناهجه وموضوعه، وأهدافه.[1]

ويعدّه بعض الدّارسين المعاصرين علما وليدا وافدا من الثقافة الغربية المعاصرة، الأمر الذي أدى إلى الاختلاف في توطين مصطلحاته في الثقافة العربية. ثم إنّه من ناحية أخرى يعدّ مثالا حيّا لتضافر الاختصاصات وتكامل المعارف، الأمر الذي أدّى إلى انفتاحه وتعدده حتى صار لكل معرفة خطابها، هذا في حدّ ذاته أدّى إلى خلق إشكاليات في التعامل مع مصطلحاته ومفاهيمه، حيث نجد:

1 -مصطلح Poétique[*] المنتمي إلى مصطلحات تحليل الخطاب، قد ترجم في العربية إلى 31 مصطلحا، فعندمااستعمل حسن ناظم وأدونيس ورشيد بن مالك وغيرهم

---

1)- انظر: بشيرإبرير وآخرين: مفاهيم التعليمية بين التراث والدراسات اللسانية الحديثة، قسم اللغة العربية وآدابها، مخبر اللسانيات واللغة العربية، ط1، 2009، ص 59-60.

*)- هي واحدةمن أهم المصطلحات الوافدة على الدراسات العربية، ولدت مع النهضة اللسانية الحديثة مع الفكر البنيوي، ونسبها اللسانيون إلى السيميائية، حيث يعرّفها المعجم السيميائي بـ: "هي سيميائية الشعر"، يوسف وغليسي، نفسه، ص 283

مصطلح الشعرية كمقابل لـ: Poétique، استعمل سعيد علوش وعبد الله الغذّامي مصطلح الشاعرية، واستعمل محي الدين صبحي الشعريات، واستعمل عبد الملك مرتاض مصطلحي الشعرانية والشعريات، واستعمل جمال بوطيب مصطلح: الشعري، واستعمل إميل يعقوب، وبسام بركة مصطلح الشاعري، واستعمل عبد الرحمن الحاج صالح ومجدي وهبة مصطلح فن الشعر، واستعمل مصطلح القول الشعري من قبل محي الدين صبحي. ونجد محمد عناني استعمل مصطلح علم الشعر بينما علي القاسمي فضّل عبارة "الدراسة اللغوية للشعر". بالإضافة إلى مصطلحات: أدبية الشعر، ونظرية الشعر والإنشائية، وعلم الأدب، وعلم الظاهرة الأدبية، وأصول التأليف، والأدبية، والجماليات، وعلم النظم، والبوايتيك، هذه الأخيرة التي استعملها عبد السلام المسدي، وغيرها من المصطلحات.[1]

ومن بين كل هذه المصطلحات الكثيرة تنفرد "الشعرية" بأحقيتها على ما سواها من المصطلحات حتى تكون مقابلا للمصطلح الفرنسي Poétique.

2 -ومصطلح Déconstruction: ترجم إلى العربية بـ: تفكيكية، تفكيك، تقويض، تشريح.

3 -ومصطلح Sémiologie: ترجم إلى: السيميولوجيا، والسيميوطيقا، والسيميوتيكا السيميائية والسيمياء، وعلم السيمياء، والسيميائيات، وعلم العلامات، والعلامية، والعلاماتية، وعلم الأدلة، والدلائلية، والأعراضية.

4 -مصطلح Enoncé: ترجم إلى العربية بـ: قول وملفوظ، وحديث، وخطاب.

5 -مصطلح Enonciation: يقابله بالعربية: تلفظ، وتحدث.

6 -ومصطلح Code: شفرة، نظام الرموز، قانون، سُنَن، سَنَن، وضع، مواضعة، اتفاق، كود.[2]

7 -Destinateur: ترجم بـ: المرسِل، الباث، المتكلِم، المخاطِب.

---

1)- انظر: يوسف وغليسي، المرجع المذكور سابقا، ص 283-285.

2)- بشير إبرير: مرجعيات التفكير النقدي العربي الحديث، مجلة علامات في النقد، ج49، م13، رجب 1424، سبتمبر 2003، ص 613-614.

8 -Destinataire: ترجم بـ: المرسَل إليه، المتلقي، المخاطَب

9 -Situation: ترجم بـ: وضعية، موقف، حالة، مقام، سياق.

تمثل محاولة هاريس Harris التي أشرنا إليها سابقا " Analyse de discours" حديثا صريحاعن بنية للنص، والمتتبع للمقدمة التي خصّصها لهذا الموضوع يجده قد سعي للخروج من حدود الجملة تحت تسميات مختلفة مثل: "النّص" " Texte"، و"الخطاب" " Discours" و"القول المتتالي" Enoncé" دون تفريق.[1].

أمّا لسانيات النّص Linguistique textuelle فهي فرع جديد من فروع اللسانيات، نشأ نتيجة توجّه جديد أراد تجاوز نحو الجملة ليصل إلى نحو النص، حيث اعتبر النّص أكبر وحدة قابلة للدراسة. ويهتم هذا العلم بالنصوص المنطوقة والمكتوبة على حدّ سواء، الطويلة والقصيرةدون تفريق، فتدرس القصائد الطويلة والروايات. والهدف الأساسي للسانيات النّص هو الوصف والدراسة اللغوية لأجزائه. ولعل وظيفتها الرئيسية عند "فانديك" Van djek هي دراسة نحو النّص، ضمن منهجه العام القائم على شرح معايير النص، وغايتها الأولى هي تحقيق التواصل الجيد بين أفراد المجتمع.

وتعرف اللسانيات النصية تعددا في المصطلحات، حيث إنّ Linguistique textuelles ترجم إلى العربية بـ: "نحو النّص" و"علم لغة النّص"، و"علم النّص"، و" لسانيات النّص"، وبما أنّها علم هاجرمن موطنه الأصلي إلى البيئة العربية، الأمر الذي أدّى إلى الاختلاف في توطين مصطلحاته وتكييفها في الثقافة العربية، مما أدّى إلى خلط في المصطلحات وتداخل في المفاهيم، فمصطلح انسجام Cohérence ، واتّساق Cohésionهما من المصطلحات الأساسية في لسانيات النّص، حيث يعتبر اتساق النص وانسجامه عماد الدراسات والبحوث التي تنتمي إلى مجالات تحليل الخطابات ولسانيات النص. وظلت مسألة التداخل بين مفهوميهما –الاتّساق والانسجام مستمرة، وعادة ما كان يعبّر عن الأول بالثاني، ولـ: "جون ميشال آدام" لفتة هامة في هذا التداخل، ففي مقاله: Ordre de

---

1)- انظر:مفتاح بن عروس: الاتساق والانسجام في القرآن، رسالة مقدمةلنيل شهادة دكتوراه الدولة في تخصص لسانيات النص، 2007-2008، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الجزائر، ص 6.

texte,ordre du discours pratique B. metz, 1977، يشير إلى أنّه كثيرا ما يستعمل الاتّساق Cohésion ويكون المقصود به الانسجام Cohérence ، وهذا التداخل يظهر عن مجموعة من الباحثين، فآدام نفسه وقع في هذا التداخل في مؤلفه: Linguistique et discours littéraire,« grammaires textuelles et structure narrative.

يشير إلى أنّه"من غير المحتمل، مثلما اقترحنا ذلك، أنّ نحدّد الانسجام النّصي، فقط في هذا المستوى من العلاقات بين الجمل، فهناك مجموعة من الحجج الفاصلة اللسانية والنفسية التي يمكن أن تقدم لدعم الفرضية التي مفادها الانسجام النّصي، الذي يمكن أن نماثله " Indentifier" مع البنية العميقة لنص ما Spécifie، محتوي "عاما" لنص يحدد هو بدوره التشكيل العام للتمثيلات الدلالية للجمل المتعاقبة، وبدون هذه البنية الكبرى والقواعد التي تتضمنها فإن انسجام النّص يبقى سطحيا وخطيا".[1]

ويلاحظ هذا التداخل حينما يربط دور الروابط المنطقية (Connecteurs) بالانسجام وبذلك يتم الانزلاق من مستوى تحليل يتعلق بنظام القواعد اللسانية الشكلية (Formelles) إلى مستوى آخر يتعلق بظروف إنتاج الخطاب والتشكيلات الخطابية، وبعبارة أخرى ينتقل من مستوى الدالية إلى مستوى المدلولية.[2]

فعندما نرى قصة باللغة العربية ترد أفكارها متجانسة ومتناسقة فيما بينها وهي مروية باللسان العربي –مثلا– وعندما تنتقل هذه القصة نفسها إلى اللغة الفرنسية –مثلا– فإنّها تحتفظ ببنائها الفكري، أما بناؤها اللساني فإنه يتغير إلى لغة مغايرة، إذن يمثل الانسجام الأفكار المترابطة في القصة [أو غيرها من النصوص] أما الاتساق فيكون على مستوى اللغة المروي بها القصة من أدوات الربط، والوصل والفصل، والتقديم والتأخير.

---

1)- مفتاح بن عروس: المرجع المذكور سابقا، ص 10.

2)- المرجع نفسه، ص 10.

وعليه؛ فقد دعا سلاكتا Slakta إلى ضرورة التفريق بين الانسجام والاتساق، فالاتساق يتحدد لسانيا على مستوى الدالية والنص، أما الانسجام فيتحدد على مستوى المدلولية والخطاب.[1]

إذن هناك فرق بين الانسجام والنص، وبين النص والخطاب، وتتفرع عن هذه المقابلة مقابلات أخرى تشكل محورين متدرجين من الأعلى إلى الأسفل ومن الأسفل إلى الأعلى هكذا:

نص خطاب

جملة قول

مورفيم كلمة

مستوى الدالية مستوى المدلولية

الاتساق الانسجام [2]

(نظام القواعد اللسانية الشكلية) (مجموع المعايير الاجتماعية الملموسة)

وعليه فالاتساق كما ورد عن هاليداي ورقية حسن، خاصية نصية، تتم بين الجمل من خلال التفريق بين العلاقات البنوية والعلاقات الدلالية، ويتحقق الاتساق بكيفيات مختلفة، كالإحالة، وتتمثل في أسماء الإشارة وأدوات المقارنة وتنقسم الإحالة إلى: إحالة سياقية وإحالة مقامية، ويكون اتجاه الإحالة السياقية. إمّا قبليا وإمّا بعديا، بالإضافة إلى الاستبدال والحذف والاتساق والمعجمي المتمثل في التكرار والتلازم.[3]

وأمّا الانسجام فأعم وأشمل من هذا كلّه، وهو يمثل مجموع المعايير الاجتماعية الملموسة.

---

1)- مفتاح بن عروس : المرجع السابق، ص 10

2) المرجع نفسه، ص 10.

3)- مفتاح بن عروس : المرجع السابق، ص 10

إنّ استعمال كلمة "انسجام" يأتي للدلالة على مفهومين مختلفين تماما؛ فهناك من يعطيه مفهوما مرادفا للنّصية Textualité ويتعلق الأمر في هذا السياق بمجموع الخصائص التي تجعل نصا ما ملائما، وينظر إليه على أنّه كل يؤدي إلى فعل تواصلي ناجح، وهناك من أعطاه مفهوما يقترب إلى حدّ التلامس مع حدود الاتساق، حيث اعتبر النّص تتابع جمل تتجاوز حدود التعامل مع الروابط الشكلية بين الجمل إلى روابط غير شكلية، بل هي وقائع وأحداث تتعالق فيما بينها، كالعلاقات السببية، وعلاقات التتابع الزمني.[1]

أما الاتساق فيمثل جانبا يتكامل مع مستوى التعبير، ويتحقق بواسطة أدوات هي: الإحالة والاستبدال والحذف والوصول والاتساق المعجمي، ويقصد بالاتساق عادة ذلك التماسك الشديد بين الأجزاء المشكلة لنص ما ويهتم فيه بالبنية اللغوية الشكلية،حيث يحلل النّص بطريقة خطية مع رصد الضمائر والإشارات والإحالات، وأسماء الإشارة والحذف، والإضمار والاستبدال. هذا كلّه من أجل البرهنة على أنّ النص كلٌّ متكامل، لا يكتمل معناه إلاّ وهو مكتمل ومتآخذ مع بعضه البعض. أما الانسجام فهو أعم وأعمق من الاتساق، إذ يتطلب من المتلقي صرف الاهتمام إلى العلاقات الخفية التي تنظم النّص وتولّده.[2]

والفائدة أن: الاتساق Cohésion يعادل السبك بلغة العرب القدامى، ويتم على مستوى اللغة والأسلوب، أما الانسجام Cohérence فيعادل الحبك بلغة العرب القدامى، ويتم على مستوى المقام.

نلاحظ مما سبق أنّ هناك خلطا وتداخلا بين المصطلحات والمفاهيم المنتمية إلى حقل تحليل الخطاب، وكذلك الحال مع مصطلحات ومفاهيم لسانيات النّص، كما هو حاصل في Cohésion و Cohérence وغيرهما من المصطلحات والمفاهيم.

---

1)- مفتاح بن عروس : المرجع نفسه، ص 10

2)- انظر: محمد خطابي: لسانيات النّص، مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2006، ص 5.

ولكن لم يقتصر الأمر على تداخل مفاهيم ومصطلحات الحقل العلمي الواحد بل تعدّى ذلك وتطوّرت مسألة التداخل حتى أصبحت مفاهيم ومصطلحات تحليل الخطاب تتداخل مع مفاهيم ومصطلحات لسانيات النص، فأخذ هذا من ذاك وتتبادلا معًا المفاهيم والمصطلحات حتى صار الأمر يتداخل على الباحث –المبتدئ– أينسب هذا المصطلح إلى تحليل الخطاب أم إلى لسانيات النص، ومثال ذلك مصطلح:

1 - **انسجام Cohérence** : الذي يجمع بين لسانيات النّص وتحليل الخطاب، فيمكن أن نقول انسجام الخطاب في ميدان تحليل الخطاب، كما يمكن أن نقول انسجام النص في ميدان لسانيات النص.

2 - **نصانية Textualité**: وهي واحدة من مصطلحات تحليل الخطاب، ولكنها مستعملة أيضا في ميدان اللسانيات النصية.

3 - **الاستحسان Acceptabilité**: وهو مدى استجابة المتلقي لما يتلقاه، وهو من مصطلحات تحليل الخطاب، ولكنه في الوقت نفسه واحد من الشروط المحققة للنص نصيته.

4 - **القصد Intention/intentionalité**:وهو ما يقصده المرسل من خطابه أو نصه، وهومتعلق بتحليل الخطاب، وهو أحد شروط النصانية الذي يحقق النص بها نصيته.

5 - **التناص Intertexte/intertextualité** : هي واحدة من آليات تحليل الخطاب، وفي الوقت عينه واحد من شروط النصية.

إذن: الانسجام، والنصانية، والاستحسان، والقصد، والتناص، وغيرها من المصطلحات والمفاهيم، متداخل استعمالها بين لسانيات النص وتحليل الخطاب.

ولعلّ السّر وراء هذا التداخل يعود إلى:

1 - انطلاقة لسانيات النص وتحليل الخطاب كانت انطلاقة واحدة مع هاريس، عندماحاول تجاوز الجملة إلى ما بعد الجملة.

2 - تداخل بين مفهوم النّص ومفهوم الخطاب، فكثير من الدّارسين لا يفرّقون بين النّص والخطاب.

فلا غرابة إذن أنّ تتداخل مفاهيم ومصطلحات حقلين علميين انطلقا انطلاقة واحدة، وهدفهما في البداية كان واحدًا [تجاوز الجملة إلى ما بعدها]، وتطور هذا التداخل حتى صارت لسانيات النص، واحدة من المداخل والمنهجيات الإجرائية التي تطبق في تحليل الخطابات المختلفة [فالمدخل اللساني النّصي] واحد من أهم مداخل تحليل الخطاب.

وخلاصة القول: إن تحليل الخطاب، تخصّص مفتوح على جميع المعارف بينما لسانيات النص، هي مدخل منهجي إجرائي يطبق في تحليل الخطابات المختلفة.

إن هذه تبقى مجرد أمثلة ومحاولة لفت انتباه أو فتح نافذة ليس إلاّ، لأنّ التداخل المفهومي بين لسانيات النّص وتحليل الخطاب، تستحق أن تكون بحثا كاملا، قائما برأسه، بل بحوثا متعددة، لما في ذلك من أهمية.

III- المصطلح التراثي والدرس اللساني لحديث:

- تعدُّ قراءة التراث تأسيسا للمستقبل وارتكازا على الماضي، لما يسمح ببعث الجديد عبر إحياء القديم، فيكون التراث لحظة البدء في خلق الفكر العربي المعاصر، وفي حضارتنا العربية الإسلامية، مثال صادق على هذا، وهو قضية "التفسير"، المتعلقة أساسا بالنّص القرآني الذي يعدُّ رسالة لسانية، وتحديا لأهل الفصاحة وحضارة البيان، بمنطوق البيان.[1]

وكان هو المحرك الذي حرّك العلماء والعرب القدامى لدراسته، ووضع نظام لغوي متكامل، يدرس القرآن من جميع جوانبه اللغوية باعتباره ظاهرة لغوية.

- واهتم اللغويون العرب القدامى أنّهم وصفوا علما تقنيا، منطلقهُ وغايته، نظام اللغة العربية وحدها لا غير. والواقع أنّ كل أمّة فكّرت في قضايا الظاهرة اللغوية، وانطلقت من النظر في لغتها.[2]

---

1)- انظر عبد السّلام المسّدي: مباحث تأسيسية في اللسانيات [بدون تاريخ]، ص 30.

2)- انظر: نفسه، ص 31.

– إنّ التفكير العربي، استطاع أن يضع نظرية لغوية شاملة، صنّف فيها علوم اللغة المختلفة، كالنحووالصرف، والعروض، والبلاغة، والأصوات،بعد النظر والبحث في المدونة اللغوية العربية الشفوية. كما استعملها المتكلمون الأصليون في مقامات التخاطب المختلفة، بوصفها كماهي، ثمّ وضعوا لها قواعد تحميها من اللحن والخطأ، ثم وضعوا لهذه القواعد علما أسموه أصول النحو وما خلّفوه لنا في هذا المقام، يكشف لنا أنّهم تطوروا في بحوثهم اللغوية، متجاوزين بذلك مستوى الكلمة إلى مستوى العبارة، التي تمثل ظاهرةإنسانية تتدخل فيها الظروف الاجتماعية والثقافية والحضارية، فانبثقت من خلال هذا نظرية النظم لعبد القاهر الجرجاني، التي تعدّ نظرية لغوية تجاري ما توصّل إليه الغربيون مؤخرًا.

استطاع العرب القدامى أن يكشفوا أسرار الظاهرة اللسانية ما لم يَهتدِ إليه الدارسون المحدثون إلاّ مؤخرا،رغم ما أتيح لهم من تطور تكنولوجي وازدهار في علوم اللغة الحديثة، فقد استطاع سيبويه وصف مخارج الأصوات وقدّم لها تعريفات إجرائية دقيقة، وتحديدات صارمة، ووصف الظاهرة اللغوية بلغة علمية متخصّصة، وهي في حالات استعمالها، وبيّن صفاتها بكل دقة وبراعة، مستعينا في ذلك بالملاحظة فقط.

ومثلما وصف العلماء العرب القدامى لغتهم وصفا آنيا في القرون الهجرية الأولى: قام دوسوسير وهومن العصر الحديث بوصف اللغة وصفا آنيا بعيدًا عن القوالب الجاهزة والمعايير الموضوعة مسبقا، وعندما وضع دوسوسير ثلاثية: لغة ولسان وكلام، وأخرج الكلام من الدّراسة لعدم أهميته –في نظره– بما أنّه فردي وغير ثابت،سبقه العلماء العرب القدامى بـ: لغة ووضع، واستعمال، ولم يقصوا الاستعمال من الدراسة،بل كان يشكّل ضلعًا أساسيًا في التحليل، وقد تفطن تشومسكي إلى الخطأ الذي وقع فيه دوسوسير الذي أخرج الكلام من الدراسة مع أنّه أهم عنصر فيها، فأعطاه أهمية، ونصيبًا من التحليل، وعندما فكّر العرب القدامى في تجاوز العبارة إلى مستوى أكبر منها وهو النظم، اهتدى مؤخرًا العلماء الغربيون إلى ضرورة تجاوز الجملة إلى ما بعدها، وهو النّص أو الخطاب كما جاء عند هاريس.

– وأعطى العلماء العرب القدامى للمصطلحية نصيبا من الاهتمام،فقد بين الأستاذ محمد إقبال عروي، أنّهم وضعوا بنودًا خاصة بضبط العملية الاصطلاحية وتوجيهها الوجهة

الصحيحة، بغية تحقيق تواصل معرفي فعال، ويظهر في تأكيدهم على أن ينشأ المصطلح في حضن علمي يختص به وحده، حيث يتواضع مجموعة من الباحثين المتخصصين على تسمية تتفق مع المفهوم الموضوعة له، وتصبح هذه التسمية اصطلاحا يختص به ذلك المفهوم وحده، ويختلف من خلاله عن بقية المفاهيم التي تحمل بدورها مصطلحاتها الخاصة بها أيضا وجعل العلماء العرب القدامى الوضوح شرطا لا بدّ من توفره في المصطلح حتى يكون واضح الدلالة، دقيق الإحالة، ولم ينس العلماء العرب القدامى شرطا أساسيا آخر في وضع المصطلحات وهو تركهم باب الاجتهاد مفتوحا، فقد دافعوا عن الحرية الاجتهادية في الإصلاح، وحصروها في طائفة من العلماء المختصين في الحقل المعرفي المحدد الذي بمقدورهم إيجاد الكيفية اللازمة والمنهجية الملائمة لمقتضيات الحقل المعرفي الذي يبحثون له عن مصطلحات، وبموجب ذلك كلّه، أعطوا الأولوية للمصطلح السابق تاريخيا، عن المصطلح اللاحق، إذا كان المصطلح السابق جاريا على شروط الإصطلاح، كأن يكون واضحًا دقيقًا متوفرا على الاقتصاد اللغوي المنشود، وبموجب ذلك، نقدوا ظواهر التكرار في المصطلح وفي المفهوم. وبما أنّ هذه الظواهر لها تعلق بالمقولة المشهورة "لا مشاحة في الإصطلاح"، فقد تعيّن وضعها في سياقها العلمي حتى لا تكون متناقضة.[1]

– على الرغم من عدم الوقوف على أول تاريخ لاستعمال كلمة "مصطلح"، فإنّ الدلائل تدل على أنها قديمة في اللغة العربية، وقد استعملها العلماء العرب القدامى في عدّة عناوين، ومن أقدم استعمالاتها: "المقترح في المصطلح في الجدل لأبي منصور محمد بن محمد البروي الشافعي، المتوفي سنة 567هـ، وقد استعمله العرب القدامى خلال القرن الثامن هجري في مجالات عدّة: علمية كانت أم معرفية، كعلم الحديث، وعلوم اللغة والطب والعروض، والتصوف، وغيرها، إلاّ أنّ لفظ "اصطلاح" أقدم منه.

---

1)– أنظر: محمد إقبال عروي: من بنود الإصلاح في التراث الإسلامي، مجلة آفاق، الثقافة والتراث، فصيلة ثقافية تراثية، تصدر عن دائرة البحث العلمي والدراسات، مركز جمعية الماجد للثقافة والتراث، العدد 23/22 أكتوبر 1998، الإمارات العربية، ص 15 ومابعدها.

– وكلاهما لم يرد في المعاجم اللغوية إلاّ مؤخرًا، وأول قاموس عربي أورد لفظ "اصطلاح" هو: "تاج العروس" في القرن الثالث عشر هجري، وتفسير ذلك هو؛ أنّه "من الصيغ المطّردة"، لذلك لم تذكره القواميس العربية القديمة وفقا للقواعد والضوابط المقررة، إلا أنّ المعاجم العربية القديمة ذكرت الأصل الذي منه كان اشتقاق الاصطلاح. [1] وقد عرّفه القاضي الجرجاني بأنّه "عبارة عن اتفاق قوم على تسمية الشيء باسم ما ينقل عن موضعه الأول وإخراج اللفظ من معنى لغوي إلى آخر لمناسبة بينهما"، وبأنه "إخراج الشيء من معنى إلى آخر"[2] وعرّفه التهاوني بأنّه: "العرف الخاص" في كتابه كشّاف إصطلاحات الفنون.[3]

إنّ هذه العناصر الخاصة بالإصطلاح، التي وضعهاالعلماء العرب القدامى تمثل دستورا ساروا عليه، وأسسوا عليه معارفهم في وضع المصطلحات والتعامل معها وهي بمثابة القوانين والقواعد التي تستفيد منها الدراسات الحديثة في وضع المصطلح، وبذلك يمكننا أن نستفيد من التراث النحوي في وضع المصطلح حسب هذه الشروط، وحسب ما تسمح به خصائص اللغة العربية، وحسب ما يتناسب مع المعرفة الحديثة وما تسمح به.

ومن هذا نتيقن أن التراث العربي ذو عمق إنساني على مستوى التاريخ، وذلك نابع من ميزتين أساسيتين: الأولى أنّه انبنى على استيعاب الروافد السابقة له، فقد استفاد من مناهل التراث الإنساني مثل: تراث الهند، والفرس، واليونان، ومنه استطاع أن يتواصل مع غيره من الحضارات، وساعده أيضا على الثبات على مدى الحضارة البشرية، حيث انتفت على التراث العربي صفة العزلة الحضارية تاريخيا وفكريا، والميزة الثانية أنّه تفرد بميزات نوعية، فلم يكن جسرا تعبره ثمرة الحضارات السابقة، بل كان حلقة وصل، ومنطلقا، أي كانت له كلمته الفاعلة، وتاريخه الصانع.[4]

---

1)– يوسف وغليسي: إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، ص 22.

2)– الشريف الجرجاني: كتاب التعريفات، تحقيق إبراهيم الأبياري، ط4، دار الكتّاب،بيروت، 1998، ص 44.

3)– محمد هيثم الخياط: المرجع المذكور سابقا، ص 61.

4)– انظر عبد السلام المسدي: المرجع المذكور سابقا، ص 33.

ونحن الآن أمام موروث لغوي حضاري عربي إسلامي، وللسانيات وروادها اللسانيون الذين هم من طينة أخرى غيرطينتنا فكرًا وحضارة، فكيف لنا أن نتعامل مع تراثنا اللغوي، واللسانيات الحديثة..؟.

يجب ألا ننظر إلى التراث نظرة إزدراء وتخلف،تجعله لايرقى أن يجاري ما جاء به اللغويون الغربيون المعاصرون، وعلينا أيضا ألا نتناول التراث بنظرة ضيقة تجعلنا نزعم أن العرب قد سبقوا غيرهم إلى اللسانيات جملة وتفصيلا.[1]

ولكن علينا أن نقيم حوارًامعرفيا طرفاه: التراث من جهة، واللسانيات من جهة أخرى، لأنه "لابدّ من الرجوع إلى التراث العلمي العربي الأصيل... والنظر فيما تركه أولئك العلماء الفطاحل الذين عاشوا في الصدر الأول من الإسلام حتى القرن الرابع الهجري، وتفهم ما قالوه وأثبتته الحقائق العلمية التي قلّما توصّل إلى مثلها كل من جاء قبلهم من علماء الهند، واليونان، ومن بعدهم كعلماء اللسانيات الحديثةفي الغرب".[2]

وفي الوقت نفسه علينا ألا نحمّل التراث اللغوي العربي ما لا يستطيع ولا يطيق.

إذن: التراث العربي جزءمن التراث الإنساني، وحرام أن يظل مغلق الأبواب أمام بصائر اللغويين، فبقرائتنا للتراث العربي لا نقدّم خدمة لتراثنا فقط بل نقدم خدمة جليلة للفكر الإنساني عامة، فتتحول علاقتنا بعلم اللسان الحديث تحولا طبيعيا من مركز الخصيم إلىموقع النصير.[3]

---

1)- انظر: نفسه، ص 33.

2)- عبد الرحمن الحاج صالح : بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج 1، منشورات المجمع الجزائري للغة العربية، الجزائر، 2007، ص 169 .

3)- عبد السلام المسدّي: المرجع المذكور سابقا، ص 34.

خلاصة:

يجب أن تكون نظرتنا للتراث نظرةعلمية، تقتضي استعابا مزدوجا، للتراث اللغوي واللسانيات الغربية الحديثة، تمكننا من إدخال مفاهيم اللسانيات مع مفاهيم التراث في حوار معرفي، تخرج من خلاله بصورة متفردة،ليست مشوهة للتراث، ولا هي منسلخة عن اللسانيات.

إنّ علم المصطلح يمثل إشكالية أساسية مهمة في البحث العلمي، فهو علم يلتقي مع جميع العلوم، بل إنّ العلوم لا تعرف الحياةإلاّ بوجود مصطلحاتها التي تعرّفها، وتعطيها هويتها، لذلك فهوينظم المعرفة وبرتبها.

يحتل المصطلح من النّص العلمي دورًاريادايا، يجعله متميزا عن غيره من النصوص، أما عن واقع المصطلح العربي اللساني فإنّه يتجه إلى خارج اللغة العربية، إلى الترجمة والتعريب، أكثر ممّا يتجه إلى التوالد من الداخل، هذا ما تسبب في تعدد في المصطلحات، وبالتالي تعدد في المفاهيم، ويظهر ذلك جليا في التداخل المصطلحي والمفهومي في كل من لسانيات النص وتحليل الخطاب التي أصبحت إشكالية أساسية في البحث اللساني المعاصر.

وأخيرا يجب أن نقيم حوارًا معرفيا بين تراثنا اللغوي العربي واللسانيات الحديثة حتى نستطيع إقامة الحدود المعرفية والمنهجية بين السياقات التي نشأ فيها المصطلح التراثي، وبين السياقات التي نشأ فيها المصطلح المعاصر.

المنظومة المفهومية لمصطلحات لسانيات النّص، في دلائل الإعجاز

I- وصف مدونة البحث:

تتمثل مدونة(*) بحثنا هذا في كونها مدونة تراثية، تعدّ علامة دالة مضيئة في عصرها وفي الدراسات العربية الحديثة، تشكل أرضية خصبة معطاء للدارسين في النحو والبلاغة والنقد والدراسات المتعلقة بإعجاز القرآن عند القدامى، وفي الدراسات اللسانية والنقدية والنحوية والأسلوبية والتعليمية عند العرب المحدثين، والذي يقرأ دلائل الإعجاز، قراءة متأنية، يجد مؤلفه –عبد القاهر الجرجاني- واعيا بالمنهج الذي اتبعه، متمثلا إيّاه من حيث التنظير للظاهرة اللغوية، المعروفة بأسسها المعرفية وسياقاتها الفكرية، ومن حيث التطبيق العلمي الذي يتجلى على مستوى الدراسة النصيّة، وما تطرحه من قضايا مختلفة، فلم يكن يهدف إلى جعل دلائل الإعجاز كتابا في النحو بالمعنى التقليدي، ولا كان يهدف إلى جعله كتابا في البلاغة كما هو متعارف عليه، يكتفي فيه بتحديد الاستعارة والكناية وأنواع التشبيه تحديدا تقنيا، وإنّما استثمر معْرفته العميقة بأسرار اللغة وقدرته على تحليل الواقع والغوص إلى أعماق الظاهرة اللغوية لبيان الأغراض والمقاصد المختلفة على مستويات عديدة، نفسية واجتماعية ومعرفية.(1)

إنّ دلائل الإعجاز يمثل ردًا شديدًا من عبد القاهر على الذين رأوا الفصاحة في اللفظ فقد قال: "واعلم أنّ الذي هو آفة هؤلاء الذين لهجوا بالأباطيل في أمر اللفظ أنهم قوم قد أسلموا أنفسهم إلى التخيل، وألقوا مقادتهم إلى الأوهام حتّى عدلت بهم عن الصواب كل معدل، ودخلت بهم من فحش الغلط في كل مدخل، وتعسفت لهم في كل مجهل، وجعلتهم يرتكبون في نصرة رأيهم الفاسد القول بكل محال ويقتحمون في كل جهالة... ومن أفضت به الحال إلى أمثال هذه الشناعات ثم لم يرتدع ولم يتبين أنه على خطأ فليس إلاّ تركه والإعراض عنه".(2)

---

*)- مدونة البحث: هي كتاب دلائل الإعجاز في علم المعاني، لعبد القاهر الجرجاني، وقف على تصحيح طبعها وعلق على حواشيها، السيد: محمد رشيد رضا، منشيء المنار، دار المعرفة، بيروت، لبنان، 1402هـ-1981م.

1)- انظر، د/ بشير إبرير: دلائل اكتساب اللغة في التراث اللساني العربي، ص 102.

2)- عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص 319-322.

وكل ذلك مبني على منظومة مفاهيمية اصطلاحية متشابكة متناسجة، تمثل أساس نظريته اللغوية، يظهر ذلك من مقدمة الكتاب وفاتحة المؤلف، التي بيّن فيها مكانة العلم، ثمّ الكلام في الشعر، والكلام في النحو، وفي الفصاحة والبلاغة وإعجاز القرآن ويظهر أيضا من فصول الكتاب المختلفة والمتعددة التي خصصها للحديث عن نظم الكلام بحسب المعاني والفرق بين نظم الكلم ونظم الحروف، وأنّ النظم متوقف على التركيب النحوي والحديث أيضا عن شبهة الذين حصروا الفصاحة في صفة اللفظ، وأنّ اللفظ في الحقيقة يراد به غير ظاهره، بمعنى أنّه يتعلق بالمجاز وما يحتاجه من كناية وتمثيل واستعارة بأنواعها، فذلك هو الذي يحقق سرّ البلاغة في الكلام، ومكان النحو منه وأثره في نظم الكلام ومزاياه بحسب المعاني والأغراض، كما نجد أيضا فصلا في القول عن التقديم والتأخير ومواضعه، وعلاقة المسند إليه بقضايا الاستفهام والإخبار وأغراضها المختلفة حسب ما يؤمه المتكلم من الخطاب.

كما خصص عبد القاهر بابا للحذف ونكته وبابا للفصل والوصل، وآخر للفظ والنظم، وآخر للقصر والاختصاص، وخلص إلى الباب الأخير من الدلائل؛ فتحدث عن تحرير القول في الإعجاز والفصاحة والبلاغة، ضمن فصول عديدة شملها هذا الباب.

إنّ النّاظر في دلائل الإعجاز نظرة متأنية، يجده قد أشار إلى كثير من القضايا اللغوية والبلاغية المفصلية التي كان لها أثرها البالغ في تطوير النظرية اللغوية العربية بعامة، ونظرية النظم بصفة خاصة، في زمانها، وفي الدراسات اللغوية والنقدية العربية الحديثة، يتجلى ذلك في الجهاز المفاهيمي والمصطلحي الذي تأسست عليه من: نظم، وتعليق، وفروق، ووجوه، وموضع، وتركيب، ومتكلم، ومخاطب، ومقام، ومقتضى، حال، وأغراض، ومقاصد..الخ. مما نجده في هذه المدونة اللغوية المتميزة التي يمكن أن نجد نظيرا لها فيما جادت وتجود به الدراسات الحديثة المتعلقة بصفة أخص بلسانيات النّص وتحليل الخطاب. لذلك اخترنا دلائل الإعجاز ليكون مدوّنة لبحثنا فيما يخص نقطة محدّدة، هي علاقة جهازه المفاهيمي الاصطلاحي بالجهاز المفاهيمي المصطلحي للسانيات النص وتحليل الخطاب في الدراسات الحديثة والمعاصرة، ولا بدّ من الإشارة إلى مسألة نراها مهمة، تبينت لنا من خلال قراءتنا للدلائل، وهي أن عبد القاهر الجرجاني، كأنّه قسّم كتابه إلى جزئين ليشمل الجزء الأول،

مفاهيم مثل: النظم، والتعليق والتأليف والاختيار والموضع، والوجوه والفروق وقوانين النحو...الخ، هذه المفاهيم تتقاطع، -كما سنرى إلى حدّ بعيد مع مفاهيم لسانيات النص. ويشمل الجزء الثاني مفاهيم أخرى، كالمتكلِّم والسامع، والمخبِر، والمخبر به، والمخبرَ عنه، والخبر، والوضع، والقصد، والغرض...الخ. وهي مفاهيم تتقاطع مع مفاهيم تحليل الخطاب، وكأنّ الدلائل جزءان، الأول: مخصص لمفاهيم لسانيات النّص، والثاني: مخصص لتحليل الخطاب، وإذ ندرس هذه المدونة اللغوية التراثية، فليس الغرض منها أن نطرح مفاهيمها بديلا للمصطلحات والمفاهيم الحديثة، إنّما لكي نحاول الكشف عن أهميتها وإمكانية الاستفادة منها وتوظيفها إلى جانب المفاهيم والمصطلحات الحديثة في العلمين المذكورين آنفا.

1- التعريف بصاحب المدوّنة:

الإمام عبد القاهر الجرجاني هو أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني، ولد بجرجان، وهي قرب خراسان سنة 471هـ-1093م بالعصر العباسي الثالث، يقال إنّه تتلمذ على يد شيخه: أبو الحسن بن عبد الوارث، وهو ابن أخت على الفارسي [ت377هـ] كما ذكر ذلك عبد القاهر الجرجاني في مقدمة كتابه المقتصد.[1]

وأسرة عبد القاهر الجرجاني فارسية الأصل، إلاّ أنّه نشأ في إحدى قلاع الإسلام ومهبط العلماء، فكان ولوعا، محبا للثقافة، أتقن علوم الثقافة الإسلامية، واهتم بالدراسات المنطقية، على الرغم من عدم خروجه من جرجان. اعترف الجميع بتوقد ذهنه واشتعاله، لأنّه قضى عمره في البحث والدرس والاطلاع والتأليف، حتى صار الإمام النحوي المتكلم على مذهب الأشاعرة، واضع أسس البلاغة والمشيّد لأركانها وموضح مشكلاتها، وعلى نهجه سار المؤلفون بعده، ونهلوا من علمه، واغترفوا من بحره، وكان ذا عقلية ناضجة وحسّ مرهف، وذوق بليغ، فأصبح إماما من أئمة النحو والبلاغة.[2]

---

1)- عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز في علم المعاني، سلسلة الأنيس الأدبية، موفم للنشر، 1991، صفحة التقديم الأولى محمد رشيد رضا.

2)- عبد العاطي غريب علاّم: البلاغة العربية بين الناقدين الخالدين عبد القاهر الجرجاني وابن سنان الخفاجي،

وقد وهب عبد القاهر الجرجاني عمره للعلم، وكانت ثقافته عربية خالصة، الأمر الذي يدّل على إفادته بما كتب العلماء والأدباء الذين سبقوه.[1]

وإنّ ما خلّفه من نتاج أدبي وفكري لدليل على سعة ثقافته وخصب فكره وعكوفه على العلم والتدوين والتأليف، وذكرت له كتب التراجم العديد من الكتب، وإنّ كان بعضها لم يصل إلينا حتى الآن، ومن كتبه التي ذكرت أو عرفت ما يلي:[2]

1 - كتاب المغني: شرح لكتاب الإيضاح لأبي علي، في ثلاثين جزءًا، ولم يصل إلينا بعد

2 - المقتصد: مختصر لشرح المغني السابق في جزئين.

3 - الإيجاز: يبدو أنّه مختصر لشرح المقتصد، توجد له مخطوطة بمكتبات المغرب.

4 - العوامل المائة: كتاب في النحو، طبع قديما.

5 - كتاب الجمل في النحو، طبع حديثا

6 - كتاب التلخيص، وهو شرح لكتاب الجمل السابق كما تذكر كتب التراجم.

7 - كتاب التتمة في النحو، وهو عبارة عن موجز أو ملخص لكتاب الجمل، بقي مخطوطة بالمتحف البريطاني.

8 - العمدة في التصريف، مخطوطة.

9 - كتاب المفتاح في الصرف.

10 -شرح الفاتحة، مطبوع.

11 -كتاب شرح المجاز القرآني للواسطي الكبير والصغير، مخطوطة بمكتبة الجامع الكبير بالجزائر.

12 -كتاب التذكرة لم تذكر عنه كتب التراجم شيئًا.

13 -كتاب المختار من دواوين البحتري وأبي تمام والمتنبي، طبع بالهند.

14 -كتاب الرسالة الشافعية، مطبوع.

دار الجيل، بيروت، ط1، 1993، ص 28.

1)- نفسه، ص 31.

2)- عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز في علم المعاني، سلسلة الأنس، ص IV-XIV

15 -كتاب أسرار البلاغة مطبوع.

16 -دلائل الإعجاز في علم المعاني، مطبوع، هذا الذي سنتناوله بالدراسة وقد لقي كلٌّ من "أسرار البلاغة" و"دلائل الإعجاز" حظًا وافرًا من الانتشار والشهرة.

أما فيما يخص تاريخ وفاته فقد اختلف العلماء حوله، والمشهور أنها سنة إحدى وسبعين وأربعمائة، وقبل سنة أربع وسبعين وأربعمائة للهجرة.

2- دراسة المدوّنة:

تشكل نظرية النظم من حيث هي مدونة لغوية لها أصالتها، بؤرة التقاء بين عديد من العلوم اللغوية الحديثة، فهي تتقاطع مع التداولية والأسلوبية وخاصة اللسانيات النصية، التي تتشابه معها في كثير من المفاهيم. لذلك سنحاول تخصيص هذا الفصل للكشف عن نقاط تقاطع والتقاء نظرية النظم مع لسانيات النص، وذلك من خلال مجموعة من المصطلحات التي تمثل مركز الثقل في كتاب دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني منها:

1 - النظم

2 - التعليق

3 - التأليف

4 - الاختيار

5 - النسج

6 - معاني النحو

7 - قوانين النحو

8 - الوجوه، والفروق والموضع

9 - أدوات الربط والارتباط

10 - التقديم والتأخير

11 - الفصل والوصل

12 - الحذف

وسنتناول هذه المصطلحات بالدراسة والتحليل بالنظر إلى البيئة المعرفية التي أنتجت فيها، وهي بيئة معرفية دينية لغوية بيانية متعلقة بإعجاز القرآن، ثم نحاول مقارنتها بما هو متداول في علوم اللغة في زمننا، وبخاصة ما تعلق بلسانيات النص.

إنّ أول مصطلح يواجهنا في كتاب الدلائل هو مصطلح النظم، فما هو النظم من حيث اللغة والاصطلاح؟ وكيف تطوّر؟ ومن هم العلماء الذين تناولوه قبل عبد القاهر وماذا أضاف عبد القاهر؟.

II- مفهوم النظم:

أ - **النَّظم لغة**: هو من الناحية اللغوية من نَظَمَ ينظُم نظمًا، وهو التأليف، ونَظَمت اللؤلؤ أي جمعتْه في السلك، ويقال النِّظام بمعنى النظم.[1]

ب -**النَّظْم اصطلاحا**: وهو من الناحية الاصطلاحية دائر في هذا المجال، الضّم والتأليف، فهو على ذلك قائم على خاصيتين اثنتين: إحكام التأليف وجماله، وقد نشأ النظم في بيئة حرفية، كما هي حال الكثير من المصطلحات والمفاهيم اللسانية وسواها، وبخاصة في مجال البلاغة والعروض، ولذلك فقد اعتبر النظم حرفة وصناعة، ونشاطا لسانيا مصاغا على نحو من الدقة والجمال.[2]

ج -**مسيرة النظم**: ما إن نزل القرآن الكريم، وبزغ من خلاله النور الرّباني،حتّى تجردت الأقلام وفاض المداد، إمّا شرحا وتفسيرا، أو دراسة وتدبيرًا، ممّا أدى إلى قيام وانتشار العلوم، وهنا نميز مرحلتين رئيسيتين في المسيرة العلمية للأمة العربية، ففي البداية كانت دراسة علوم العربية "تقوم على التلقي عن العرب والرحلة إلى البادية في كثير من الأحيان، ومقابلة العرب الوافدين إلى الأمصار والسماع منهم في أحيان

---

1)- ابن منظور: لسان العرب، مادة نظم.

2)- فكرة مأخوذة عن محاضرة للأستاذ: رشيد شعلال بعنوان: نظرية النظم ولسانيات النص بتاريخ 2010/01/11 في إطار دروس الماجستير السنة الجامعية 2010/2009.

أخرى".[1] ونستطيع أن نسمي هذه المرحلة بالوصفية، إذ كانت تؤخذ علوم اللغة كما هي ويتم تقييدها مخافة الضياع في زحام اللحن، ثم جاءت بعد ذلك مرحلة فيها التقعيد والتنظير بناء على مادة غزيرة، تم جمعها في المرحلة الأولى فيها "بدأ عصر الدراسة اللغوية المتخصصة في قواعد الصرف والنحو"، [2] والبلاغة، وهكذا ما إن بزغت شمس القرن الخامس الهجري، حتى كانت العلوم العربية قد قطعت شأوا في التكوّن إلاّ أنّ هذه الفترة ورغم ما فيها من ازدهار، تنازعتها تيارات عدّة، خاصة فيما يخص الإعجاز القرآني، وما بين أنصار اللفظ وأنصار المعنى، وأنصار الصرفة [*] اختلف العلماء، "وهكذا أصبحت مسألة ما إذا كان القرآن معجزًا بنظمه وتأليفه أم بمعانيه فقط أم بنظمه ومعانيه معا، من القضايا الفكرية التي استقطبت اهتمام المفكرين البيانيين، وبالتالي أصبحت إشكالية اللفظ والمعنى هي الموضوع الرئيسي في المناقشات التي دارت وتدور اليوم حول ظاهرة الإعجاز في القرآن".[3]

فنجد الجاحظ [ت: 255هـ] قد أعلى من شأن اللفظ على حساب المعنى في نص مشهور يقول فيه: "المعاني مطروحة في الطريق، يعرفها العجمي والعربي والبدوي والقروي والمدني، وإنّما الشأن في إقامة الوزن وتخير اللفظ وسهولة المخرج وكثرة الماء، وفي صحة الطبع وجودة السبك".[4]

---

1)- جعفر دك الباب: الموجز في شرح دلائل الإعجاز في علم المعاني "نظرية الإمام الجرجاني اللغوية، وموقعها في علم اللغة العام الحديث "مطبعة الخليل، دمشق، سوريا، ط1، 1986، ص 27.

2)- نفسه، ص 27.

*)- الصرفة: [القول بالصرفة] يعني بها أصحابها أن القرآن معجز، لأن الله تعالى، صرف العرب عن الإتيان بمثله، حيث قال: لمعتزلي المشهور إبراهيم بن سيار النظام المتوفي سنة 231هـ: "إن الآية والأعجوبة في القرآن، ما فيه من الإخبار عن الغيوب، فأمّا التأليف والنظم، فقد كان يجوز أن يقدر عليه العباد، ولو أنّ الله منعهم بمنع، وعجز أحدثهما فيهم ودليلهم في ذلك الآية الكريمة: "قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا " سورة الإسراء، الآية 88.

- للمزيد من التفاصيل: أنظر محمد عابد الجابري، بنية العقل العربي، ص 76.

3)- محمد عابد الجابري: بنية العقل العربي، دراسة تحليلية نقدية لنظم المعرفة في الثقافة العربية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط5، 1996، ص 76.

4)- عمرو بن بحر بن عثمان الجاحظ: كتاب الحيوان، تحقيق عبد السلام هارون، (القاهرة، 1945، ج3، ص 366).

حيث أبرز في نصوص أخرى أهمية "المعنى" في العملية البيانية وسياق كثير من مقاطع كتابه "البيان والتبيّن" التي يتحدث فيها عن "اللفظ"، يدّل على أنّه يقصد، لا اللفظ المفرد بما ينتظم بالألفاظ من العبارات، شعرا ونثرا، الشيء الذي يجعل منه المعلم لنظرية "النظم" التي سيشيدها الجرجاني".[1]

أما أبو هلال العسكري [ت 335هـ] فيقول: "الخطب الرائعة والأشعار الراقية مما عملت لإفهام المعنى فقط، لأن الرديء من الألفاظ يقوم مقام الجيدة منها في الإفهام وإنما يدل على حسن الكلام وإحكام صنعته، ورونق ألفاظه وجودة مطالعه وحسن مقاطعه وبديع مبادئه وغريب بيانه على فضل قائله، وفهم منشئه... وأكثر هذه الأوصاف ترجع إلى الألفاظ دون المعاني".[2] حيث نجده فرق بين النظم القرآني ونظم الكلام، وتحدث عن اللفظة المفردة واشترط فيها أن تكون خالية من تنافر الحروف، لا وحشية،[3] مستهجنة، وفي هذا الموضع يصادفنا قوله: "وأحسن الشعر إذا رأيته متلاحم الأجزاء سهل المخارج، فتعلم بذلك أنه أفرغ إفراغا واحدا، وسبك سبكا واحدًا، فهو يجري على اللسان كما يجري الدهان"[4] وفي هذه المقولة نجد مرتكزات رئيسية تم استغلالها فيما بعد في النظرية الجرجانية، منها: تلاحم الأجزاء وسهولة المخرج، والإفراغ دفعة واحدة، والسبك سبكا واحدًا، وفي هذين الأخيرين بالذات، تتوارد الفكرة الجرجانية (معاني النفس، ثم معاني النحو).

أما أبو حيان التوحيدي [ت 414هـ]، الذي كان مرآة عصره في المجال الثقافي، فيعكس الاتجاه الذي ينادي باللفظ والمعنى معًا، نحو اعتبار كل من اللفظ والمعنى في العملية البيانية البلاغية فيقول: "ومن استشار الرأي الصحيح في هذه الصناعة الشريفة، علم أنّه إلى سلاسة الطبع أحوج منه إلى مغالبة اللفظ، وأنّه متى فاته اللفظ الحر، لم يظفر بالمعنى

---

1)- محمد عابد الجابري: نفسه، ص 78.

2)- أبو هلال العسكري: كتاب الصناعتين، الكتابة والشعر، تحقيق مفيد قمحة، بيروت، الدار العلمية، 1981، ص 71 و73.

3)- صالح بلعيد: نظرية النظم، دار هومة، بوزريعة، الجزائر،[دط]، 2002، ص 98.

4)- عبد العاطي غريب علاّم: البلاغة العربية عند الناقدين الخالدين، "عبد القاهر الجرجاني وابن سنان الخفاجي، دار الجيل، بيروت،لبنان، ط1، 1993، ص 56.

الحر، لأنّه متى نظم معنى حرًا ولفظًا عبدًا، أو معنى عبدًا ولفظًا حرًا فقد جمع بين متنافرين بالجوهر ومتناقضين بالعنصر".[1]

لا شك أننا نحوم حول نظرية النظم التي ستنضج معالمها على يد عبد القاهر الجرجاني بعد أبي حيّان التوحيدي، غير أنّ القاضي عبد الجبار كان من الأوائل الذين ألحوا على التوافق والانسجام بين اللفظ والمعنى للإعجاز القرآني، وتحليلات القاضي عبد الجبّار، (ت415هـ) في هذا المجال تخطو بنا خطوة هائلة نحو نظرية النظم الجرجانية، وذلك إلى درجة يصعب معها نسبة شيء آخر للجرجاني غير شرح الفكرة وتحليلها وإغنائها بالأمثلة.[2] يقول القاضي عبد الجبّار: "اِعلم أن الفصاحة لا تظهر في إفراد الكلام، وإنّما تظهر في الكلام بالضّم على طريقة مخصوصة، ولابد مع الضم من أن يكون لكل كلمة صفة، وقد يجوز في هذه الصفة أن تكون بالمواضعة التي تتناول الضم، وقد تكون بالإعراب الذي له مدخل فيه، وقد تكون بالموقع، وليس لهذه الأقسام رابع، لأنه إمّا أن تعتبر فيه الكلمة أو حركاتها أو مواقعها، ولا بدّ من هذا الاعتبار في كل كلمة، ثم لا بدّ من اعتبار مثله في الكلمات إذا انظم بعضها إلى بعض، لأنّه قد يكون لها عند الانضمام صفة، وكذلك لكيفية إعرابها وحركاتها وموقعها، فعلى هذا الوجه الذي ذكرناه إنما تظهر مزية الفصاحة بهذه الوجوه دون ما عداها.[3]

يبدو واضحا من هذا النّص المهم للقاضي عبد الجبار أبي الحسن أن نظرية النظم كما شيدها عبد القاهر الجرجاني تعد امتدادًا وتتويجا لمناقشات البلاغين والمتكلمين لمسألة شغلت الفكر البياني العربي، وهي مسألة العلاقة بين اللفظ والمعنى".[4]

لقد وصلت هذه العصارة وغيرها في جميع المجالات (النحو، الفقه...) إلى عبد القاهر الجرجاني، فكانت زاده الذي لا ينضب، وسماده الذي زاده من قوة وفطنة عقله ليضع نظرية

---

1)- عن محمد عابد الجابري: المرجع المذكور سابقا، ص 80.

2)- نقلا عن محمد عابد الجابري: المرجع المذكور سابقا، ص 80.

3)- محمد عابد الجابري: نفسه، ص 80-81.

4)- انظر: المرجع السابق، ص 81.

متكاملة هي نظرية النظم، وهنا نتساءل عن ما هو النظم؟ وكيف تأتي؟ وما مكانته في الثقافة العربية؟.

خلصنا فيما سبق إلى أن النظم مفهومًا ومصطلحًا، كان متداولا قبل عبد القاهر ومن ثم نستطيع الحكم أنّه أثناء التأسيس لكتابه، كان قارئا محترفا لسابقيه، ولم يكن عبد القاهر في قراءته لنصوص سابقيه مفسّرًا فقط، بل كان في أحيان كثيرة لا يجد مفرًا من الرفض والنفي، وعن طريق هذا الرفض والنفي يمهد عبد القاهر الجرجاني الطريق لمفاهيم أنضج وتصورات أعمق.[1]

وقبل الولوج إلى مفهوم النظم، رأينا أن نقف قليلا مع العنوان الذي لم تبد على مستواه السطحي مفردة "نظم". "دلائل الإعجاز في علم المعاني"، العنوان مكون من وحدات لغوية اسمية، جمعت بينها علاقة الإضافة،ونلمس فيه حذف [المسند إليه]، وهو المبتدأ، وتقدير الكلام: "هذا دلائل الإعجاز في علم المعاني"، وبتفكيك وحداته اللغوية إلى بنى مفردة نجد:

1 - **دلائل**: جمع دليل، وهذا يفضي بنا إلى التعدد، ونحسبه يرد بهذه اللفظة عن مقولة الصرفة، ذاك أنّها دليل واحد، والأدلة عند الشيخ عبد القاهر كثيرة، تنفي هذه المقولة —الصرفة– كما أن لفظة دلائل توحي كذلك إلى الحجاج والجدل، وهذه مقولة شائعة في عصره، خاصة بين الأشاعرة والمتكلمين وفعلا فقد جاءت نظرية النظم في خضم جدل كبير، استمر لسنين طويلة بين من يثبت المزية في الفصاحة إلى اللفظ، ومنه من ينسبها إلى المعنى.

2 - **الإعجاز**: "معجزة كل نبي فيما كان أغلب على الذين بُعث فيهم، وفيما كانوا يتباهون به، وكانت عوامهم تعظّم به خواصهم".[2] ومن ثمّ فالمعجزة لا تكون إلاّ

---

1)– نصر حامد أبو زيد: مفهوم النظم عند عبد القاهر الجرجاني: قراءة في ضوء الأسلوبية، مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة، القاهرة، مصر، 1984، ص 12.

2)– درويش الجندي: نظرية عبد القاهر الجرجاني في النظم، مكتبة نهضة مصر، الفجالة، مصر، [دط]، 1960، ص 47.

أمرًا خارقا برع فيه القوم، ولما كانت مفخرة العرب لغتهم، كان "مناط البلاغة والبيان، أمرًا يتسع للمعجزات، ويقبل العقل أن يتصل به الإعجاز".[1]

3 - **العلم**: من خلال استقراء السياقات التي يظهر فيها هذا الدال في نص عبد القاهر، نجد له دلالتين أساسيتين: الأولى دلالة عامة ربما تساوي علم الكلام أو المعرفة بمفهومها العام، أما الدلالة الثانية فتعني العلم بحكم أنه مجموعة من المعايير التي تتأسس على التقرير والتأمل وإغراق النظر.[2]

لا يخفى عن المتأمل في الكتاب مكانة العلم عند الشيخ، إذْ خصَّه بفصل صدر به مباحث كتابه سمّاه: "مكانة العلم"، وهذا دلالة على وعيه العميق بالعلوم ومنزلتها في إنارة القلوب قبل العقول.

4 - **المعاني**: وهنا مربط الفرس، فأي المعاني هي مدار الإعجاز ومكمنه، أهو علم المعاني في علم البلاغة، أم هو علم المعاني النحوية، التي رآها مدار النظم؟ وهنا نقول إنّ كلا المفهومين وارد، فهي مجمع البحرين، ونستدل على ذلك من المؤلف ذاته، إذ أكثر مباحثه فصول، يشرك فيها علم النحو وعلم البلاغة، لذلك لا نذهب إلى تصنيف الكتاب في علم من العلوم بقدر ما نراه جامعًا لعلوم العربية.

2– النظم عند عبد القاهر الجرجاني:

يعدّ عبد القاهر الجرجاني في التراث اللغوي العربي، بما خلّفه من مؤلفات شخصية فذّة ساهمت في الدراسات اللغوية بأبحاث قيمة، تحولت مع الزمن إلى ميدان ثري للدرس والتحليل، خاصة في نظرية النظم، التي تلّمس من خلالها القرآن الكريم مستفيدا من جهود سابقيه.

---

1)- نفسه، ص 48.

2)- انظر: طارق النعمان، اللفظ والمعنى، بين الأيديولوجيا والتأسيس المعرفي للعلم مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، مصر، [دط]، [دت]، ص 30-31.

يقول الجرجاني في مدخل كتابه "دلائل الإعجاز": "هذا كلام وجيز، يطلع به الناظر على أصول النحو جملة، وكل ما يكون النظم دفعة، وينظم في مرآة تريه الأشياء المتباعدة الأمكنة التي التقت له حتى يراها في مكان واحد".[1]

يربط الجرجاني إذن منذ البداية بين "أصول النحو" وما به يكون "النظم محددًا بذلك إطاره المرجعي [وهو النحو] الذي سيتحرك بالاستناد عليه وبتوجيه منه، ثم يدخل مباشرة في الموضوع، فيشرح ما يعنيه بـ "النظم" في إطاره المرجعي" [2] فيقول: "معلوم أن ليس النظم سوى تعليق الكلم بعضها ببعض، وجعل بعضها بسبب من بعض، والكلم ثلاث: اسم وفعل وحرف،وللتعليق فيما بينها طرق معلومة، وهو لا يعدو ثلاثة أقسام: تعلق اسم باسم، وتعلق اسم بفعل، وتعلق حرف بهما، فالاسم يتعلق بالاسم بأن يكون خبرًا عنه أو حالا منه أو تابعا له، صفة أو تأكيدًا وعطف بيان أو بدلا، أو عطفا بحرف، أو بأن يكون الأول مضافا إلى الثاني أو بأن يكون الأول يعمل في الثاني عمل الفعل، ويكون الثاني في حكم الفاعل له أو المفعول وذلك في اسم الفاعل... واسم المفعول... والصفة المشبهة... والمصدر، أو بأن يكون تمييزًا قد جَلاه منتصبا عن تمام الاسم، ومعنى تمام الاسم أن يكون فيه ما يمنع من الإضافة... وأما تعلق الاسم بالفعل فبأن يكون فاعلاً له أو مفعولا فيكون مصدرًا قد انتصب به، ويقال له المفعول المطلق، أو مفعول به، أو ظرفا مفعولا فيه زمانا أو مكانا... أو مفعولا معه، أو مفعولا له... أو بأن يكون منزلاً عن الفعل منزلة المفعول، وذلك في خبر كان وأخواتها، والحال والتمييز المنتصب عن تمام الكلام... ومثله الاسم المنتصب على الاستثناء... وأما تعلق الحرف بهما فهو ثلاثة أضرب، أحدها أن يتوسط بين الفعل والاسم،فيكون ذلك من حروف الجر التي من شأنها أن تُعدّى الأفعال إلى ما لا تتعدى إليه بأنفسها من الأسماء... وكذلك سبيل الواو الكائنة بمعنى "مع" وكذلك حكم "إلاّ" في الاستثناء... والضرب الثاني من تعلق الحرف بما يتعلق به: العطف وهو أن يدخل الثاني في

---

1)- عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز في علم المعاني، وقف على تصحيح طبعه وعلق حواشيه السيد محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت، لبنان، 1402هـ، 1981م،

2)- محمد عابد الجابري: المرجع المذكور سابقا، ص83.

عمل العامل الأول،والضرب الثالث تعلق بمجموع الجملة كتعلق حرف النفي والاستفهام والشرط والجزاء بما يدخل عليه،وذلك أن شأن هذه المعاني أن تتناول ما تناوله بالتقييد وبعد أن يسند إلى شيء"[1]

"ولعل أول ما يلفت النظر في هذا النص، هو ما يكشف عنه من رؤية شاملة لموضوعات النحو العربي، رؤية تكشف لنا بوضوح بنية هذا النّص، لا بوصفه أبوابا وفصولا، بل بوصفه نظاما من العلاقات هو ذات نظام العربية، كلغة أو كنص أو كخطاب، من هذه المطابقة التي يقيمها الجرجاني بين ثلاثة مفاهيم تتردد كثيرا في تجلياته وتشكل المفهوم المفتاح في نظريته، هذه المفاهيم هي النظم تعليق الكلم بعضها ببعض، معاني النحو وأحكامه.[2]

يلاحظ الجرجاني أن النظم بمعنى تعليق الاسم بالاسم، والاسم بالفعل، والحرف بهما على النحو الذي بيّنه في النّص السابق، موجود في كلام العرب، نثرًا وشعرًا، وبالتالي فالمزية التي بها يتفاوت الكلام بلاغة وإعجازا، ليست في النظم مطلقا بل في النظم على وجه مخصوص.[3] لذلك فهو يفرّق بين حروف منظومة، وكلم منظوم فيقول: "إنّ نظم الحروف هو تواليها في النطق فقط وليس نظمها بمقتضى عن معنى، ولا النّاظم لها بمقتف في ذلك رسما من العقل، اقتضى أن يتحرّى في نظمه لها ما تحراه، فلو أنّ واضع اللغة كان قال "ربض" مكان "ضرب" لما كان في ذلك ما يؤدي إلى فساد، وأما نظم الكلم فليس فيه الأمر كذلك، لأنك تقتضي في نظمها آثار المعاني وترتيبها على حسب ترتيب المعاني في النفس، فهو إذن نظم يعتبر فيه حال المنظوم بعضه مع بعض، وليس هو النظم الذي معناه ضمّ الشيء إلى الشيء كيف جاء واتفق، وكذلك كان عندهم نظيرًا للنسج والتأليف، والصياغة والبناء، والوشي، والتحبير، وما أشبه ذلك مما يوجب اعتبار الأجزاء بعضها مع بعض حتى

---

1)- عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص 26.

2)- محمد عابد الجابري: المرجع المذكور سابقا، ص 84.

3)- محمد عابد الجابري: المرجع المذكور سابقا، ص 84.

يكون لكل وضع حيث وضع علّة تقتضي كونه هناك، وحتى لو وضع في مكان غيره لم يصلح".[1]

من خلال هذا النص نجد التمايز واضحا بين نظم الحروف ونظم الكلم، إذ إن الأول ترتيب شكلي، لا يعود لمرجع عقلي، إذ لا يتعدى أن يكون تواضعا واصطلاحا من أهل اللغة، في حين تنظيم الكلم يكون وفق ترتيب معين حسب قصد المتكلم وغرضه من التأليف بحسب المعاني التي تختلجه والسيّاق الذي يقتضيه، ومن ثمّ يصل إلى مراده بانتهاج كلا السبيلين: الشكلي (اللفظي)، والنفسي (المعنوي)، وهنا يبدو عبد القاهر مقتفيا أثر مذهبه السّني الأشعري، فالأشاعرة يرون أنّ "الكلام نوعان نفسي ولفظي، والكلام النفسي بالنسبة إلى الله هو القديم، ومن أجل ذلك فقد استهدف عبد القاهر من نظريته في النظم بيان أن جوهر الكلام هو ذلك الكلام النفسي وأما الكلام اللفظي فهو ظل لهذا الكلام النفسي".[2]

وقد يتبادر إلى الأذهان سؤال في معرفة معنى هذا التفريق، فيجيبهم الشيخ "والفائدة في معرفة هذا الفرق، أنّك إذا عرفته عرفت أن ليس الغرض بنظم الكلم أن توالت ألفاظها في النطق، بل أن تناسقت دلالتها،وتلاقت معانيها على الوجه الذي اقتضاه العقل وكيف يقصد به توالي الألفاظ في النطق بعد أن ثبت أنه نظم يعتبر فيه حال المنظوم بعضه مع بعض".[3]

إذن يجب أن ترتب الألفاظ حسب ترتب معانيها في النفس، معتبرًا في ذلك حال المنظوم بعضه مع بعض، حيث إنّه لا يمكن أن ترتب المعاني عشوائيا كيف جاء واتفق، فيجب أن يحقق هذا الترتيب وهذا النظم، انسجاما وتماسكا وتناسقا فيما بينه. وشبه الجرجاني النظم بستة عناصر من خلالها بيان مدى اكتمال النظم ومدى تحقيقه للتماسك والتناسق، سواء على مستوى البناء السطحي أو العميق في الخطاب. وحتى يقرّب فكرة نظم القرآن الكريم المعجز بألفاظ وتراتيب مألوفة عند العرب فيقول: [...وكذلك كان عندهم

---

1)- دلائل الأعجاز، تعليق محمد رشيد رضا،دار المعرفة، ص 40

2)- درويش الجندي: نظرية عبد القاهر الجرجاني في النظم، مكتبة النهضة، مصر، [دط]، 1960، ص 47.

3)- عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص 40-41.

نظيرًا للنسج والتأليف والصياغة والبناء، والوشي والتحبير...] [1] هذه العناصر الأساس هي: النسج و والتأليف والصياغة والبناء، والوشي والتحبير تحقق هذه العناصر ما إذا تم مراعاتها في تأليف الكلام، بلاغة الخطاب، ممثلة في نص محكم السبك والحبك كما يسمى في الدراسات اللسانية المعاصرة، باعتبارها نتائج لمراعاة نظم الكلمات، وفق معانيها وما يقصده المتكلم منها، ثم يصوغها في عبارات لغوية مرتبة ألفاظها وتراكيبها، على حسب ترتيب المعاني النفسية، وتصاغ في نسيج لغوي محكم الصياغة والتأليف.

فالنص نسيج لغوي محكم البناء بين المعاني النفسية والتراكيب اللغوية المتغيرة عنه في كل متماسك، وهي نظرة تتقاطع مع ما جاء به العالم الهولندي "فانديك" في نظريته، النسيج المتشابك للنص، حيث اعترض على القواعد الكلاسيكية في تحليل النصوص، ودعا إلى الوقوف في تحليلها على آليات: الإضافة والحذف والذكر والاستبدال، ليخرج من دراسة نحو الجملة ليصل إلى نحو النص، ثم أكد "فانديك" ذلك في كتابه "النص والسياق"خاصة الفصل الثالث عندما عرض لأدوات الترابط ولوازمه لتحقيق نسيج نصي.[2]

ويمكن تناول الثنائيات التي جاء بها الجرجاني في نصه السابق كما يلي:

1 -النسج والتأليف

2 -الصياغة والبناء

3 -الوشي والتحبير

2 1 -**النسج والتأليف**:

أ - **النسج لغة** : ويقال: هو نَسْجٌ وحده، لا نظير له في علم وغيره (ج) نُسُج وهي نسيجة. (ج) نسائج[3]

---

1)- نفسه، ص 40.

2)- انظر: فانديك: النص والسياق، ترجمة عبد القادر قنيفي، المغرب، غفريقيا الشرق، [دط]، 2000، ص 71،

- وينظر كذلك: إبراهيم خليل: اللسانيات ونحو النص، عمان، دار المسيرة، ط1، 2007، ص 195.

3)- المعجم الوسيط: باب النون، الجزء الثاني، مجمع اللغة العربية، ط2، ص 917.

ب- **التأليف لغة**: من ألّف، يؤلف، تأليفا، وصل بعضه بعضًا.[1]

من بين المصطلحات التي تشكل بؤرًا دلالية هامة، في النص الجرجاني، ثنائيتا؛ [النسج والتأليف] والتي نلحظ ترددها، كلما تعلق الأمر بالنضج النظمي؛ أي عندما نتجاوز المستوى الاستعمالي العادي للغة، إلى مستوى يفوق ذلك أو ما يمكن تسميته بالمستوى الإبداعي، وقد برز هذا بوضوح في نصنا الإثباتي "كما يفتح لك الطريق إلى المطلوب لتسلكه، وتوضح لك القاعدة لتبنى عليها ... وأنّه كما يفضل النظمُ النظمَ، والتأليف التأليف، والنسجُ النسجَ والصياغة الصياغة، ثم يعظم الفضل، وتكثر المزية حتى يفوق الشيء نظيره..."[2]

إذن نحن بصدد عملية مقارنة ومفاضلة وإثبات إعجاز في الكلام لا تأتي إلا بحجة قاطعة ودليل فصل، لذلك فضل الجرجاني أن يبرهن ويستدل بما هو سائد في مجتمعه وبيئته، لذلك فقد قرّب صورة النظم من خلال التشبيه بما هو مادي ملموس، لذلك كان للنسج مع الجرجاني حكاية من خلال دوران التشبيه به في الدلائل، حتى يفصّله تفصيلاً، وهو عندما شبه النظم بالنسج والتأليف، لا يريد أن يسوي بين النظم والنسج، والتأليف إلى حدّ التطابق، وإنّما يريد أنّ يقرب الصورة، ويجعل الصياغة هي الأساس، لا المادة التي يصاغ منها.

أما التأليف، فنعني به الترتيب أو عملية الصياغة ذاتها، وهي عملية مرافقة دائما تعتمد على الاختيار المناسب للوجه المرغوب، والموضع المطلوب، يقول الجرجاني: "وفي نظائر ذلك مما وصفوه بفساد النظم وعابوه في جهة سوء التأليف، أنّ الفساد والخلل كانا من أن تعاطي الشاعر ما تعاطاه من هذا الشأن على غير الصواب، وضع في تقديم أو تأخير أو حذف أو إضمار أو غير ذلك ما ليس له أن يضعه".[3]

---

1)- المعجم الوسيط: باب الألف، ص 24.

2)- دلائل الإعجاز، ص 29.

3)- الدلائل: ص 67.

إنّ المراد من إيراد هذا النص للجرجاني، هو الوصول ولو بالتقريب إلى مفهوم التأليف عند الجرجاني، فالتأليف عنده يعادل الأصول، والأحكام الجائزة [عكس الواجبة] ومن ثمّ فالتأليف هو نظير الإبداع، والخلق بالنسبة للجرجاني، وهي صنعة يستعان بها في النظم كما في النسج.

أي إنّ التأليف عملية معنوية تنتج فيها معاني الكلم بعضها ببعض لتشكل النسيج الداخلي، لتعكس دقة النظم الداخلي في مرآة النظم اللغوي الخارجي مشكلة نسيجا إبداعيا تزداد روعته كلّما ازدادت دقة التأليف، ومن هنا نستنتج علاقة التأليف بالنسج، إذ لا يتشكل الثاني دون الأول. وأدق مثال على هذا هو خيوط السدى التي تؤلف وفق وجهة معلومة وطريقة مخصوصة، منها ما يجيء عموديا ومنها ما يذهب أفقيا، وهي بذلك مقسمة بين ما تتطلبه صنعة النسيج، وما ابتدعته أنامل الصانع، الذي يضفي عليها تأليفا خاصا من ألوان وأشكال وما شابه ذلك، فتتمثل مزية فيه [النسج] معتدلة سوية، وشبيه بهذا التخريج. حال الصانع والبناء وغيرهما مما تكاثر ذكرهم في نص الجرجاني.

من خلال ما تقدم نخرج بملاحظتين هامتين: أولاهما أن العرب تضرب مثلا للتفرد في الصنع فتقول: نسيج وحده: أي ليس له ما يضاهيه في الصفة" [1] وهذا جوهر العلاقة بين النسيج والنظم، وثانيهما هو مهارة المتكلم وقدرته على الإقناع،مما توفره له اللغة باعتبارها مادته الصوتية الخام الدالة، فالتأليف إذن متعلق بالوجوه التي تمكن المتكلم من الاختيار، في حين أنّ النسج متعلق بمواضع الكلم، ونعني بالاختيار اختيار أفضل السبل الكلامية للتعبير عن الموضوع المقرر".[2]

2 2 -الصياغة والبناء:

1)- انظر: المعجم الوسيط، باب النون، ص 918.

2)- انظر: محمد عبد المطلب: قضايا الحداثةعند عبد القاهر الجرجاني، الشركة المصريةالعالمية للنشر، لونجمان، ط1، 1990، ص 20.

أ - **الصياغة لغة**: تعني الحلي من فضة وذهب ونحوهما، ويقال كلام حسنُ الصياغة جيد محكم.[1]

شبه الجرجاني الصائغ في اتقانه لعمله، ومما يضفيه من روعة ورونق على مادته الخام،[من ذهب وفضة]، فيعطيها لمسات تعكس نفسه، ونفسيته وأسلوبه الخاص، وتأليفه الفريد؛ إمّا عادية بسيطة، وإمّا قمة في التميز والتفرد، والروعة، ويجيء هذا بالدربة والخبرة الطويلة، كذلك ناظم الكلم يصوغ مادته الخام [الأصوات اللغوية الدالة]، بما تختلج به نفسه ليجسد أسلوبه وتأليفه الخاص، فإذا كان صاحب خبرة ودربة طويلة، وعرف كيف يتخير اللفظ المناسب للمعنى المناسب في المكان المناسب، يكون لا محال نظمه فائق التفرد والتميز، فكما أن المشتري يحكم بالجودة أو عدمها للمصوغات التي يريد شراءها من ذهب وفضة، يحكم المتلقي بالجودة أو عدمها على الكلام المنظوم.

ضرب الجرجاني مثالا آخر ليقرب المعنى أكثر، حين ذهب إلى وصف عمل البناء في إتقانه وطريقة ترتيبه ووضعه للآجر، بعضه مع بعض بغاية الدّقة والانتباه، فأي خلل بسيط يمكن أن ينعكس على جودة البناء، كذلك هو شأن الناظم للكلم يتوخى الدّقة في ترتيب واختيار الألفاظ، وانتقاء ما يناسب السياق والموقف.

إن هندسة النظم عند عبد القاهر الجرجاني كهندسة البناء، تقوم على نظم آجرات النّص، يعني كلماته ورصها في الجدار الكلامي، فهو بهذا التشبيه ينقل الكلام من النحو النظري إلى النحو التطبيقي، وهو نحو نظري وعملي في الوقت نفسه.[2]

2 3 -**الوشي والتحبير**:

---

1)- المعجم الوسيط: باب الصاد، ص 529.

2)- انظر: محمد الصغير بناني: المدارس اللسانية في التراث العربي، وفي الدراسات الحديثة، سلسلة أهل الحكمة، الجزائر، [دط] 2001، ص 37-39.

الوشي كما ورد في المعجم الوسيط من وشَى، يَشِي، وَشْيًا، وشَيَةً، نَمْنَمَهُ ونَقَشَهُ، وحَسَّنَهُ. الكَلاَمَ، كَذَبَ فيه، أيْ أَوَّلَهُ ولَوَّنَهُ وزَيَّنَهُ.

أمّا التَحْبِيرُ، فمن حَبَّرَ الشَيءَ، زَيَّنَهُ، ونَمّقهُ: ويُقَالُ: حَبّرَ الشِعْرَ والكَلاَمَ والخطَ. [1]

إن الجرجاني يوضح ما يريد، وما يقصد بأبسط الطرق وأقربها إلى عقول العامة، إذ أنّه وصل إلى أن يضرب مثلا بالواشي والمحبّر؛ حتى يقرّب المعنى المراد إلى عامة النّاس، يقول: "على أنّ ها هنا نظما وترتيبا، وتأليفا وتركيبا وصياغة وتصويراً، ونسجا وتحبيرًا، وأنّ سبيل هذه المعاني في الكلام الذي هي مجاز فيه، سبيلها في الأشياء التي هي حقيقة فيها".[2]

إن الملاحظ لهذه الثنائيات التي أتى بها الجرجاني في هذا النّص، يجدها بدأت بالنظم، وانتهت بالتحبير، فيها نوع من التناغم [نظم، ترتيب]، [تأليف، تركيب]، [صياغة، تصوير]، [نسج-تحبير].

وفي هذا إشارة إلى مستويات الخطاب، أولها النظم وآخرها التحبير. [3]

إن المتأمل لهذه الثنائيات يجدها تنقسم إلى قسمين:

فأما القسم الأول: فيمثل سمات البناء ويتكون من النظم والترتيب، والتأليف والتركيب، فالنظم والترتيب يمثلان درجة الجوار بين عناصر الكلام البليغ (علاقة ظاهرية) والتأليف والتركيب يمثلان درجة الحوار بين عناصر الكلام البليغ (علاقة باطنية).

وأمّا القسم الثاني: فيمثل سمات التصوير ويتكون من الصياغة والتصوير والنسج والتحبير، فكل من الصياغة والتصوير يمثلان درجة السبك بمعنى صناعة المعادن والرسم. والنسج والتحبير يمثلان درجة الحبك.

---

1)- المعجم الوسيط: باب الواو، ص 1035/ باب الحاء، ص 151.

2)- الدلائل، ص 29.

3)- انظر: محمود توفيق محمد سعد: في نظرية النظم وقراءة الشعر عند عبد القاهرالجرجاني، جامعة الأزهر، مصر، كتاب الكتروني . www.mediopase.com.

- ملاحظة: الكتب الإلكترونية لا تحتوي على الصفحات.

وهكذا فإن هذه السمات الثمانية بهذه الطريقة تحقق تمام بلاغة الخطاب في أعلى صوره، ويمكن تلخيص ذلك في المخطط التالي:

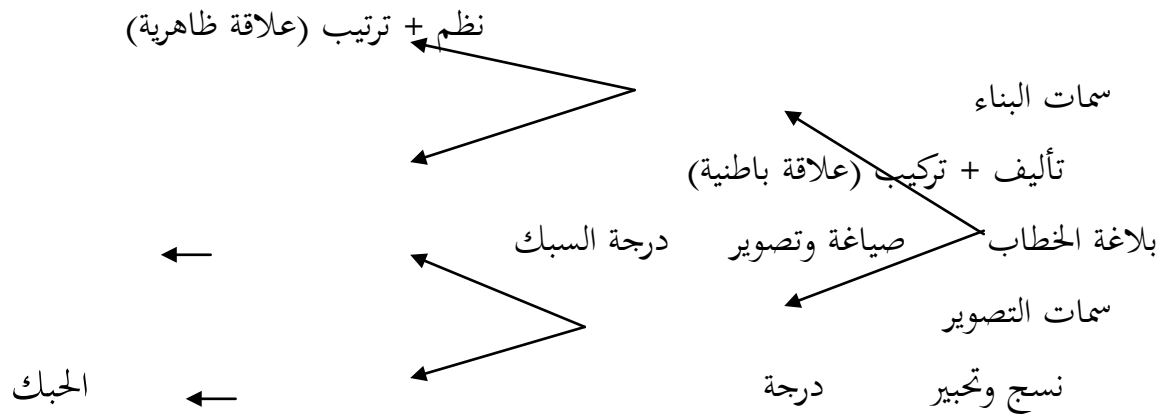

وهكذا يتحقق النّص كنسيج لغوي عند عبد القاهر الجرجاني على نحو تصاعدي، يبدأ بالبناء وينتهي بالتصوير، ولكن السؤال الذي يمكن أن يخطر في بال أي واحد، قرأ ما تقدم، هو العلاقة الرابطة بين المعاني في اللغة وهاته الصناعات؟.

وهنا نجيب كالتالي: إنّ الموضوعات التي أشار إليها الجرجاني، ذات تجليات شكلية متفاوتة، متباينة، منها ما يكون بسيطا عاديا ومنها ما يصل إلى درجة فائقة من التميز والتفرد مع أنّ المادة الخام واحدة.

كذلك حال المعاني: إذ نرى الواحد منها عاميا بسيطًا، ومنها ما يكون غاية في التميز والروعة مع أنّ المادة الخام واحدة وهي اللغة.

فليس هدف صانع اللغة، أو صانع النسج أو،...إعادة تشكيل المادة الخام بقدر ما هو تصويرها بدقة الصنع، نجد النظم نظيرًا [نسج، والتأليف والصياغة والوشي والتحبير].[1]

والغرض من وراء تشبيه الجرجاني للنظم بهذه الصناعات، هو تقريب المعنى لعامة النّاس، فنجده انطلق مما هو أسمى [النظم] ثم بدأ بالتدرج إلى أنّ وصل إلى [التحبير]، حتى يتسنى لعامة النّاس فهم ما يقصده، وحتى يرفع الغموض والالتباس. فجاء بهذه الصناعات

---

1)- عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص 40.

التي سادت في عصره، ويمكن أن يكون بينها وبين النظم نوع من التشابه في طريقة الصنع، إذا اعتبرنا اللغة مادة خامًا والناظم صانعا للكلام البليغ.

فالسمات الأربع الأولى [النظم، والترتيب، والتأليف، والتركيب] يتحقق بها النّص المحكم السبك والحبك والسمات الأربع الثانية [الصياغة والتصوير، والنسج والتحبير]، يتحقق كذلك بها البناء والصياغة، لكن على مستوى المعادن في الصياغة وبناء المنازل، كأنّه شبه نسيج النص وبناءه بصياغة المعادن والبناء على سبيل المجاز للتوضيح.

وبهذا تكون نظرة الجرجاني نظرة شمولية مكتملة، تتجاوز النظرة التجزيئية التي تتعامل مع النصوص الأدبية باعتبارها متتالية من الجمل، تستعمل لإثبات قضية نقدية أو نفيها.[1]

وهذه النظرة تقف على قدم المساواة مع ما يوجد في الدراسات اللسانية الغربية خاصة لسانيات النص التي "تبحث فيما يكون به الملفوظ نصًا، فتنظر مثلا في الروابط المختلفة بين جُمل النّص التركيبية منها والزمانية وما كان منها بالمضمرات".[2]

يتحقق هذا من خلال فكرة النظم التي قال بها الجرجاني وقارن بينها وبين النسج والبناء، حيث أراد توضيح فكرته في النظم، وبيان إعجاز القرآن الكريم من خلال التشبيه بالصورة أولا، ثم رأى أنّه قد لا يفهم، ويجب أن تكون الأمثلة ملموسة، فأتى بمثال النسج والنسيج، ثم رأى أنّه قد لا يفهم إلاّ من قبل الخواص دون العامة، فانتقل إلى مثال توضيحي آخر لبناء النظم وصياغته، وهو البناء الهندسي المعماري، فالباني في إتقانه لبنائه، يشبه الناظم في تأليفه لنظمه وهو مثال يعيشه كل فرد في منزله، يقول الجرجاني: "واعلم أن مما هو أصل في أن يدّق النظر ويغمض المسلك في توخي المعاني التي عرفت أن تتحد أجزاء الكلام، ويدخل بعضها في بعض ويشتد ارتباط ثانٍ منها بأول وأن يكون حالك فيها حال الباني

---

1)- أنظر:حسين خمري: نظرية النص من بنية المعنى إلى سيميائية الدال، الجزائر، منشورات الاختلاف، ط1، 2007، ص 213.

2)- الأزهر الزنّاد: نسيج النّص، بحث فيما يكون به الملفوظ نصا، تونس، المركز الثقافي العربي [دط]، 1991، ص 18.

يضع بيمينه ههنا، وفي حال ما يضع بيساره هناك، نعم وفي حال ما يبصر مكانًا ثالثًا ورابعًا يضعهما بعد الأولين"[1]

فالنظم يتحقق من خلال العلائق التركيبية بين معاني النحو وحسن الاختيار للفظ المناسب لأداء تلك المعاني في المكان المناسب، بداية بالجمل البسيطة إلى غاية الوصول لنظم القرآن الكلي في شبكة نصية متماسكة. فالنظم كالبناء والنسج يتم في معاقد النسب والشبكة، فمعاقد النسب تبرم الخيوط التي تذهب طولا، ومعاقد الشبكة تبرم الخيوط التي تذهب عرضًا، فإذا أنسجت خيوط الطول في خيوط العرض، حصل النظم، نظم الرقعة على الوجه الذي أبرمت عليه الخيوط.[2]

يحاول الباحث محمد الصغير بناني توضيح كيف يتم النظم من خلال التراكيب مقارنة بالنسيج، هذه الفكرة التي استقاها الجرجاني من بيئته ومن آلة النسج التقليدية التي تذهب خيوطها طولا وعرضا ليكون المنسوج نتيجة لتلاقيها بعضها مع بعض، ممثلا "محمد الصغير بناني" لهما بالسدى والنير؛ فعلاقات النسب هي: "العلاقات السدائية التي تجمع المعاني في خيوط الطول والعلاقات النيرية هي التي تجمع الكلمات بعضها ببعض في خيوط العرض من النسيج الكلامي.

إنّ مصطلحي "السدى" و"النير"كانا من توظيف الباحث محمد الصغير بناني استقاهما من موروثنا التقليدي، ترجمة لمصطلحي: Axe paradigmatique و Axe syntagmatique [3]

-بهذا حاول الجرجاني لغوص في أعماق الظاهرة اللغوية من خلال بيان كيفية النظم بتشبيهات دقيقة عددت وجوه النظم، انطلاقا من ثنائية "الاختيار والتأليف"؛ فقد كانت المحرك الأساس لتعدد صور النظم، فلكي يتحقق "لا يكتفي بالإدراك الثاقب

---

1)- دلائل الإعجاز، ص 73-74.

2)- انظر: محمد الصغير بناني: المرجع المذكور سابقا، ص 25.

3)- انظر: بشير إبرير: مفهوم النص في التراث اللساني العربي، دمشق، مجلة جامعة دمشق، المجلد 23، العدد الأول، 2007، ص 114.

للمعاني النحوية فحسب "وإنما لا بد من إدراك كيفية استغلال هذه المعاني في بناء العبارة أو في نسجها ونقشها وصياغتها كما يرى عبد القاهر وطريقة بناء العبارة واستغلال المعاني النحوية بها تقوم على عنصرين هما: "الاختيار والتأليف"[1]

-فأما الاختيار فيكون لما يناسب المعنى النفسي لدى المتكلم، وقصده، خاصة وأنّ المعاني النحوية فيها مجال واسع للتعبير بالاسم الظاهر، المعرفة والنكرة والضمير. وأما التأليف فيعني به حسن التعلق بين الحروف في الكلمة الواحدة والكلمات في الجملة الواحدة، والجمل في النص الواحد، حتى يتحقق التماسك داخل النّص، فالصانع اللغوي يختار بين عديد العناصر اللغوية، ما يتناسب والموقف الذي يريده، فلكل عنصر نحوي إمكانية معينة في أداء المعنى، ثم يؤلف بينها في ضوء المعاني النحوية ومراعاة حسن مجاورة لفظة لأخرى داخل التركيب اللغوي.

-وتصل عملية الاختيار إلى القمّة بسقوطها عموديا على عملية التأليف؛ حيث يتحول الالتقاء بينها إلى مجموعة من الخطوط التي تكوّن شبكة كاملة من العلاقات شبيهة بقطعة النسيج التي تتلاصق خيوطها أفقيا ورأسيا، ثم تزداد فنيتها بالأصباغ، والنقوش المختلفة المواقع، فالتخيّرُ ينصب على الخيوط أولاً ثم يتصل بالمواقع ثانيا، وهو الذي يقدّم الصورة النسجية على مستوى التشبيه، والصورة الشعرية على مستوى الواقع".[2]

-هكذا يكون النّظم نسيجا متماسكا محكم البناء، تتحقق شعريته على مستوى الاختيار، والتأليف مع مراعاة المؤْضعية (الموقع) المناسبة، وهذا عائد إلى مهارة المتكلم في القدرة على الاختيار من ممكنات مختلفة تُطرح في "معاني النحو" ودلالات الألفاظ.[3]

---

1)- أحمد درويش: دراسة الاسلوب بين التراث والمعاصرة، القاهرة، دار غريب، مصر، [دط]، 1998، ص 106.

2)- محمد عبد المطلب: قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني، الشركة العصرية العالمية للنشر، لونجمان، مصر، ط1، 1995، ص 98.

3)- نصر حامد أبو زيد:مفهوم النظم عند عبد القاهر الجرجاني، ص 18.

-فالمتكلم يلعب دورًا مهما في تحقيق النظم، باعتباره الصانع له، مثله مثل الصائغ أو النّاسج.

-فقصد المتكلم والمعاني المرتبة في نفسه، وحدها لا تكفي في تحقيق النظم، بل لا بد من تعليق المعاني بعضها بعض، وتعليق الألفاظ والتراكيب بكيفية متسقة مترابطة، تختلف بحسب الموضع والزمن، وبهذا يتحقق النظم الشعري والنثري على أكمل وجه، وهذا هو الذي يكمن الإعجاز فيه، لأن الألفاظ مألوفة، والتراكيب مستعملة لدى العرب، ولكن شعريتها تكمن في كيفية نظمها بطريقة مخصوصة، تراعي المعنى الذي نريد تحقيقه يقول الجرجاني "وإنّما سبيل هذه المعاني سبيل الأصباغ التي تعمل منها الصور والنقوش فكما أنك ترى الرجل قد تهدّى في الأصباغ التي عمل منها الصورة والنقش في ثوبه الذي نسج إلى ضرب من التخير والتدبر في أنفس الأصباغ وفي مواقعها ومقاديرها، وكيفية مزجه لها وترتيبه إيّاها إلى ما لم يتهدّ إليه صاحبه فجاء نقشه من أجل ذلك أعجب، وصورته أغرب كذلك حال الشاعر والناثر في توخيهما معاني النحو، ووجوهه التي علمت أنّها محصول النظم".[1]

-فتخير الرسم والتصوير والنقش على الثوب المنسوج، من خلال الاختيار الأنسب، يشبه تخيّر الناظم لمعاني النحو الأنسب له ولمعانيه النفسية المرتبة في ذهنه، فيكون الناتج نصا محكم البناء والنسج ذا نظم متماسك.

-إن هذه النظرة تتقاطع مع مبادئ وأفكار علماء اللسانيات النصية، أيّما تقاطع، فقد أشاروا كثيرا إلى أن "التماسك خاصيّة نحوية للخطاب تعتمد على علاقة كل جملة منه بالأخرى، وهو ينشأ غالبا عن طريق الأدوات التي تظهر في النّص مباشرة كأحرف العطف والوصل والترقيم، وأسماء الإشارة وأدوات التعريف والاسم الموصول".[2]

-ومما تقدم يمكن الخروج بالملاحظات الآتية:

---

1)- عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص 70.

2)- إبراهيم خليل: اللسانيات ونحو النص، ص 219.

*)- سبقت الإشارة إلى الفرق بين الاتساق والانسجام في الفصل الأول.

1 - يشترط عبد القاهر الجرجاني تحقيق المنظوم للتناسق والتماسك مع بعضه البعض وهذا يتفق إلى حد بعيد جدا مع المفهوم الغربي الحديث Cohérence الانسجام.

2 -لا يمكن أن ترتب الكلمات والألفاظ كيف جاء واتفق، أي بطريقة عشوائية، بل يجب أن ترتب بطريقة منطقية تربط معنى كل لفظة بمعنى اللفظة التي تليها، وهذا حسب ترتب المعاني في النفس، أي ترتب المعاني في أعماق النفس ثم تترجم هذه المعاني إلى ألفاظ تطفو على مستوى السطح، وهذا ما يشبه كثيرا فكرة تشومسكي القائلة بأن المعاني تكون في الذهن أولا، وهذا ما يسمى عنده –تشومسكي– بالبنية العميقة Structure profonde، ثم تخرج ليُعبّر عنها عن طريق ألفاظ، وهي ما تسمى بالبنية السطحية Structure surface.

3 - عندما شبه الجرجاني النظم، بالنسج والتأليف والصياغة والبناء والوشي والتحبير، كل هذه الصناعات –كما وضحنا سابقا– حاول الجرجاني من خلالها أن يقرّب مفهوم النظم الذي يقترب كثيرا من مفهوم الانسجام Cohérence عند الغربين(*).

4 - انطلاقا من بيئته، شبه الجرجاني النظم بالنسج والمنسجة والخيوط التي تذهب طولا وتجيئ عرضا، مشكلة معاقد في شبكة النسج، ليقرّب مفهوم النظم هذا يشبه كثيرا ما قام به رولان بارت، عندما انطلق هو الآخر من بيئته وشبه البناء النصي بالنسج عند العنكبوت التي تذهب خيوطها طولاً وتجيء عرضا محدثة عقدًا في منسجتها العنكبوتية بدقّة ومهارة.

5 -استهدف نشومسكي الوصول إلى الكليات اللغوية، وعبد القاهر الجرجاني استهدف البحث عن النظم الذي يتجسد في الظاهرة اللغوية؛ يعني تحديد العلاقات النحوية التي تصل بين الدوال أو بين التراكيب أي الكشف عن البنية الحقيقية التي لا يمكن إدراكها بالجزئيات، وإنما تدرك من خلال شبكة العلاقات النحوية الكلية.(1)

هكذا لم تكن نظرية النظم بعيدة عن الأفكار اللسانية المعاصرة، كما في لسانيات النص، لأنّ لهما غاية واحدة، هي دراسة النّص في جملته وكيفية تحقق التماسك والتناسق فيه،

---

1)- انظر: محمد عبد المطلب، قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني، ص 84.

وما استخدام الجرجاني لمصطلح النظم إلاّ إقرار بضمّ الحروف والكلم في جمل والجمل في نصوص عبر علائق نحوية لتحقيق نسيج كلي، وما استخدام مصطلح "التعليق" إلاّ إقرار بأن الكلام بناء محكم ونظام مكون من مجموعة عناصر لغوية مترابطة ومنسقة في شبكة من العلاقات السياقية.

إنّ هذا الترابط أو التناسق بين الأدوات فيما يسمى عند المحدثين الغربيين بالاتساق، وكيفية تحققه في النّص مع مراعاة الجانب الدلالي العميق (الحبك) هو ما أشار إليه كل من "هاليداي ورقية حسن"، حيث يريان إنّ النّص يتشكل من مجموعة من الجمل ترتبط فيما بينها، فتشكل وحدة وبنية النّص.[1]

وعليه فإنّ نظرية النظم، نموذج مكتمل لنظرية لغوية عربية، شكلت مثالا حيًّا لتفاعل الأنساق وتعدد المعارف.

وخلاصة القول: إنّ النظم في متون الألفاظ محال عند صاحب دلائل الإعجاز، الذي يقتضي ترتيبها ترتيب معاني النفس. فهو "إذن نظم يعتبر فيه حال المنظوم بعضه مع بعض وليس هو النظم الذي معناه ضم الشيء إلى الشيء كيف جاء واتفق".[2]

وأكّد الجرجاني أنّ النظم هو العماد والأساس في الإعجاز القرآني، وعليه فإنه يعادل الانسجام في اللسانيات النصية الحديثة.

فالنّظم:

على مستوى السياق اللغوي ⟵ Cohésion (الاتساق)

(السبك)

على مستوى سياق الحال ⟵ Cohérence (الانسجام)

(الحبك)

---

1)- انظر محاضرة للأستاذة بونعيجة راشدي سليمة: في إطار دروس لسانيات النص، سنة رابعة ليسانس، سنة 2009.

2)- عبد القاهر الجرجاني: الدلائل، ص 40.

3 - التعليق:

إنّ محاولة استجلاء مفهوم النظم أزالت الغموض عن بعض المصطلحات الهامة في الكتاب، والتي كان لها هيمنة دلالية عالية الكثافة إذ يمكن عدّها مصطلحات مفاتيح للنظرية الجرجانية.

ومن هذه المصطلحات نجد مصطلح "التعليق" الذي له الأهمية البالغة والفعّالة في عملية النظم.

والتعليق من الناحية اللغوية من علَّقَ، يُعَلِّقُ، تعْليقًا، عندما نقول: تَعلَّقَ فلان بفلان، بمعنى ارتبط به معنويا، فالتعليق هو ارتباط وربط معاني الألفاظ بعضها ببعض، سواء أكانت أسماء أم أفعالاً أم حروفا.

أمّا الجرجاني فيقول في كتابه: "واعلم ... أن لا نظم في الكلم ولا ترتيب حتّى يعلّق بعضها ببعض، ويبنى بعضها على بعض، وتجعل هذه بسبب من تلك، هذا ما لا يجهله عاقل ولا يخفى على أحد من النّاس، وإذا كان كذلك، فبنا أن ننظر إلى التعليق فيها والبناء، وجعل الواحدة منها بسبب من صاحبتها، ما معناه وما محصوله، وإذا نظرنا في ذلك علمنا أن لا محصول لها غير أن تعمد إلى اسم فتجعله فاعلا، لفعل، أو مفعولا به أو تعمد إلى اسمين فتجعل أحدهما خبرا عن الآخر أو تتبع الاسم اسما على أن يكون الثاني صفة للأول أو تأكيدا له أو بدلا منه أو نجيء باسم بعد تمام كلامك على أن يكون الثاني صفة أو حالاً أو تمييزًا، أن تتوخى في كلام هو لإثبات معنى أن يصير نفيا أو استفهاما أو تمنيا، فتدخل عليه الحروف الموضوعة لذلك أو تريد في فعلين أن تجعل أحدهما شرطا في الآخر فتجيء بهما بعد الحرف الموضوع لهذا المعنى، أو بعد الاسم من الأسماء التي ضمنت معنى ذلك الحرف وعلى هذا القياس.

وإذا كان لا يكون في الكلم نظم ولا ترتيب، إلاّ بأن يصنع بها هذا الصنيع ونحوه وكان ذلك كلّه مما لا يرجع منه إلى اللفظ شيء، ومما لا يتصور أن يكون فيه، ومن صفته بَانَ بذلك أن الأمر على ما قلناه من أن اللفظ تبع للمعنى في النظم، وأنّ الكلم تترتب في

النطق بسبب ترتب معانيها في النفس، وأنها لو خلت من معانيها حتى تتجرد أصواتا وأصداء حروف لما وقع في ضمير ولا هجس، في خاطر أن يجب فيها ترتيب ونظم، وأن يجعل لها أمكنة ومنازل، وأنّ يجب النطق بهذه قبل النطق بتلك".[1]

إنّ هذا النص النفيس يكاد يلخص نظرية "التعليق" الجرجانية فهو:

1 -يربط عبد القاهر الجرجاني بين النظم والتعليق بطريقة عميقة، تتحول إلى نوع من علاقة للتلازم، أي تلازم في الحضور والغياب، إذ بقول: "واعلم أن ليس النظم سوى تعليق الكلم بعضها ببعض وجعل بعضها بسبب من بعض".[2]

وفي هذا الموضع وفي غيره يؤكد الجرجاني قناعته بعلاقة النظم بالتعليق إلى درجة الدمج بين النظم والتعليق [3]

2 -لا نظم في الكلم حتى يعلّق بعضها ببعض، ولكن كيف يكون هذا التعليق؟

3 -يقوم المتكلم بتعليق دلالات الألفاظ في عقله أولاً، وذلك بضمّ بعضها إلى بعض، ويرتبها بحسب معاني النحو، ووفقا لمقدرة المتكلم اللغوية، فتكون النتيجة نظمها وترتيبها في النطق، أي؛ التلفظ بالجملة، فالتعليق تفاعل يتم في العقل بين دلالات الألفاظ ومعاني النحو،تنشأ من خلاله علاقات الارتباط والربط بين تلك الدلالات، وذلك من خلال اختيار المتكلم بين ممكنات متعددة، تتيحها اللغة من حيث دلالات الألفاظ ومعاني النحو، وتتفاوت المقدرة اللغوية بين الأفراد في هذا.

وما النّظم إلاّ نتيجة لعملية التعليق، ويفهم من هذا أن التعليق ترتيب لدلالات الألفاظ في العقل، والنظم ترتيب للألفاظ ذاتها حسب ترتب معانيها في العقل، ويصعب الفصل بين هاتين العمليتين، لأن المتكلم يؤديهما على حال تكاد تجعلها عملية واحدة.[4]

---

1)- دلائل، ص 44-45.

2)- الدلائل: ص 26.

3)- انظر: حسين خمري، نظرية النص، ص 222.

4)- مصطفى حميدة: نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية؟ الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، 1997، ص 11.

4 -يرجع فساد النظم أو صحته أو جودته أو رداءته إلى صحة التعليق أو فساده فنحكم عن جودة النظم من عدمها من خلال جودة التعليق أو عدمها. [1] "... ليس النظم سوى تعليق الكلم بعضها ببعض" [2] أي؛ أن صحة التعليق وجودته تؤدي إلى صحة النظم وجودته، والعكس صحيح، وهذا راجع إلى براعة المتكلم وقدرته على توخي معاني النحو وأحكامه.[3]

5 -تترتب الكلم في النطق ترتب معانيها في النفس، أي أنّ التعليق يكون بين المعاني النفسية على مستوى العقل، لا بين الألفاظ، يقول الجرجاني "... مما لا يرجع منه إلى اللفظ بشيء... أن اللفظ تبع للمعنى". [4] من هذا يظهر أنّ المعاني يرتبها المتكلم في نفسه أولاً ثم يخرجها إلى السطح ليترجمها إلى ألفاظ مرتبة حسب ترتب معانيها، وهو –الجرجاني– من خلال هذا يشير إلى ما يعرف اليوم بالمعنى الوظيفي والمعنى المعجمي للألفاظ وهما يكونان معًا المعنى المقالي،[5] يقول: "ألا ترى أنّ لو جهدنا كل الجهد أن نتصور تعلقا فيما بين لفظين لا معنى تحتهما لم نتصور".[6]

6 -انطلق عبد القاهر الجرجاني من بيئته الفكرية في عصره، الشيء الذي دفعه إلى الخوض في قضية اشتد حولها النقاش، واختلف فيها العلماء، حول السرّ وراء إعجاز القرآن الكريم؛ أهو في المعنى؟ أم في المبنى؟ أهو في الكلام النفسي المعنوي الذي يحدث في عقل المتكلم؟ أم هو في الكلام اللفظي المنطوق؟ أيكمن الإعجاز على مستوى البنية العميقة أم على مستوى البنية السطحية، بعبارة تشومسكي. هذا ما جعله يهتدي إلى الوجهة السليمة التي خرج من خلالها بنظرية "التعليق".

---

1)- انظر: المرجع نفسه، ص 11.

2)- عبد القاهر الجرجاني: الدلائل، ص 26.

3)- مصطفى حميدة: نفسه، ص 19.

4)- عبد القاهر الجرجاني: الدلائل، ص 44.

5)- مصطفى حميدة: المرجع السابق، ص 12.

6)- عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص 77.

ذلك أن القرآن الكريم إعجاز للمتكلم لا للمتلقي، فجعل ذلك عبد القاهر يولي اهتمامه وغايته بالمتكلم، وأدت فكرة الكلام النفسي إلى فكرة نظم المعاني في النفس، وهي التي تعدّ من أحدث القضايا التي تشغل اللسانيات الحديثة اليوم. هذا ما جعل عبد القاهر الجرجاني ينظر إلى بناء النّص نظرة شاملة لم يسبقه لها غيره. [1] ونظرة في كل هذه النماذج تبين لنا أن مناط "التعليق" هو إنشاء العلاقات بين المعاني النحوية كعلاقة الإسناد والتعدية، والتوكيد والصرفية والمعية والحال، والتمييز، والاستثناء، والإضافة والتبعية والحذف...الخ. وهي كما تراها معاني النحو وأحكامه".[2]

نخلص مما سبق إلى أنّ ترتيب الكلم وتعليقه بعضه ببعض، على أن يكون الترتيب مرحلة لاحقة للتعليق، وتقدير ذلك أن الكلم بأقسامه الثلاث [اسم، فعل، حرف] يترتب بسبب ترتب معانيه في النفس، فلا ترتيب إلاّ بعد تعليق، والتعليق مقرّه النفس، يقول الجرجاني "واعلم أنّ مَثَل واضع الكلم كمثل من يأخذ قطعا من الذّهب أو الفضة، فيذيب بعضها حتى تصير واحدة، وذلك أنك إذا قلت: ضرب زيد عمرًا يوم الجمعة ضربًا شديدًا تأديبا له، فإنّك تحصل من مجموع الكلم على مفهوم هو معنى واحد، لا عدّة معاني كما يتوهم النّاس، وذلك أنّك لم تأت بهذه الكلم لتفيد أنفس معانيها وإنّما جئت بها لتفيد وجوه التعليق التي بين الفعل الذي هو الضرب، وبين ما عمل فيه والأحكام التي هي محصول التعلق"، [3]وهذا الكلام يثبت صحة ما ذهبنا إليه، فالترتيب يكون في المعاني لأنّها مناط اهتمام المتكلم وهي المقصودة من الكلام، ومن هذا فإن ما نلاحظه من تقديم وتأخير في الألفاظ مردّه إلى قصد المتكلم، كما يختلف ترتيبها والمعنى واحد، في حين لا نجد التعليق بهذه المرونة، إذ يلعب الحكم النحوي دورًا في ذلك، فللتعليق وجهة معلومة وهو لا يعدو ثلاثة أقسام، تعلق اسم باسم، وتعلق اسم بفعل، وتعلّق

---

1)- انظر: مصطفى حميدة، المرجع المذكور سابقا، ص 60.

2)- تامر سلّوم: نظرية اللغة والجمل في النقد العربي، ط1، 1983، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، سورية، ص 123.

3)- عبد القاهر الجرجاني: الدلائل، ص 316.

حرف بهما"[1] وهذه أصول القاعدة، ولكل أصل فروعه، ويمكن أن نرصد تشكيل الجملة تجريديا عند عبد القاهر كما يلي:

1 - اسم + (اسم+خبرية)

2 - اسم +(اسم +حالية)

3 - اسم +(اسم +تبعية).

4 - اسم +(اسم +إضافة)

5 - اسم +اسم (تمييز)

6 - (اسم+فاعلية+مفعولية)

7 - فعل+(اسم+فاعلية)

8 - فعل+(اسم+مفعولية)

9 - فعل+(اسم+سببية)

10 -فعل+(اسم+مصدرية)

11 -فعل=(اسم+معية)

12 -فعل +(اسم+ ظرفية)

13 -(فعل+نسخ)+(اسم+خبرية)

14 -فعل+(اسم+حالية)

15 -فعل+(اسم+تمييز)

16 -فعل+(اسم+استثناء)

17 -فعل+حرف+اسم

18 -اسم+حرف+اسم

19 -حرف+جملة

---

1)- عبد القاهر الجرجاني: الدلائل، ص 263.

20 -حرف+اسم

مثل ما يظهر في النداء: يا عزيزُ. [1] وهذه الفروع لا تخلو هي أيضا من فروع يتصرف فيها المتكلم حسب مقاصده، وحسب الوجوه والفروق والموضع.

وهذا "إقرار بأن الكلام بصيغته الاجتماعية بناء محكم ونظام مكوّن من طائفة عناصر لغوية مترابط ومنسقة ضمن شبكة من العلاقات السياقية المحدّدة لوظائف المفردات في السياق من الفاعلية والمفعولية والابتداء والخبر"[2]

والجدير بالذكر في هذا الباب أنّ أهم علاقة تحكم التعليق، هي علاقة الإسناد، ذلك أنّها السبيل الشرعي للتمظهر اللفظي.

وبما أنّ التعليق له وشائج رابطة بالنحو وأحكامه، يمكن أن نقف فيه على درجتين: درجة تقف بك عند حدود الصواب، ودرجة تصل بك إلى الفضائل والمزايا، ونجد عبد القاهر الجرجاني يقول في هذا المعنى: "وإذ قد عرفت هذه الجملة فههنا عبارة مختصرة، وهي أن تقول المعنى، ومعنى المعنى، تعني بالمعنى المفهوم من ظاهر اللفظ والذي تصل إليه بغير واسطة، وبمعنى المعنى أن تعقل من اللفظ معنى ثم يفضي بك ذلك المعنى إلى معنى آخر".[3]

كما سبقت الإشارة، فإنّ الحكم بالصواب والخطأ وظيفة القواعد الإعرابية، في حين موطن المزايا الأحكام النحوية المختلفة التي تسمح بالتفريع عن القاعدة ما لم يضرها شيء.

هذا وإن كان للتعليق طرق معلومة، فله أيضا فوائد مخصوصة، فللبعد التعليقي دوره السابق واللاحق، في تحديد الناتج الدلالي، ثم النظر في توافق كل ذلك مع حركة الذهن عند

---

1)- محمد عبد المطلب: قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني، ص 77.

2)- دلخوش جارالله حسين دره يي: الثنائيات المتغايرة في كتاب دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني، دار دجلة، عمان، الأردن، ط1، 2008، ص 17.

3)- عبد القاهر الجرجاني: دلائل، ص 203.

المبدع[1] وهو أثناء تحديداته المختلفة هذه، لمعاني الكلم، تبعا لمعاني النحو، يترتب ويرتب علاقاته وفق ترتيب المعاني في نفس المتكلم، بحيث لو تغير عنصر من عناصر التركيب لاقتضى تغييرًا في بعض العناصر الأخرى فتختل العلاقة الأولى وتنشأ علاقة أخرى جديدة، تحقق انسجاما جديدا وهكذا دواليك.[2]

يرى عبد القاهر الجرجاني أنّ الألفاظ تترتب في النطق حسب ترتب المعاني في النفس؛ هذه النظرة تتفق إلى حد بعيد مع نظرة "Weil" الذي حين أراد تحديد مفهوم النص، علّق فيه تتابع اللفظ على تتابع الأفكار[3] حسب قول المتكلم ومراده.

ويلاحظ القارئ لكتاب "دلائل الإعجاز" أن عبد القاهر الجرجاني يجعل المتكلم شغله الشاغل، ومحل عنايته الفائقة، فكثيرا ما يعرض أسس نظريته من خلال توحيد الحديث إليه، من ذلك قوله، من هنا قوله: "واعلم أن ليس النظم إلاّ أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله". [4] "واعلم أن مثل واضع الكلام مثل من يأخذ قطعا من الذهب والفضة، فيذيب بعضها حتى تصير قطعة واحدة".[5]

هذه أمثلة من عبارات كثيرة أوردها عبد القاهر في صميم عرضه لنظرية التعليق وهي تشير إلى أنّه أقام تلك النظرية على دراسة دور المتكلم لا المتلقي، دون إهمال وإغفال تام للمتلقي.

ومحصولنا من هذه الوقفة أنّه بغض النظر عن الطريقة التي يتم بها الربط بين كلمة وأخرى، فإنّ فكرة التعليق أساسية في تشكيل النصية، وخلق الروابط اللازمة بين أجزاء النّص، ويذكر عبد القاهر أنّ التعليق يكون بين معاني الألفاظ، ولا يتم بين الألفاظ مجرّدة من

---

1)- انظر: محمد عبد المطلب: المرجع المذكور سابقا، ص 101.

2)- العربي قلايلية: الأسس الفكرية للتراكيب اللغوية وأهميتها التعليمية الموقف الأدبي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، ع 391 تشرين الثاني، 2003، كتاب إلكتروني، لا يوجد صفحة.

3)- بشير إبرير:رحلة البحث عن النّص في الدراسات اللسانية الغربية، منشورات اتحاد الكتاب الجزائريين، ط1، 2009، ص167.

4)- عبد القاهر الجرجاني: الدلائل، ص 64.

5)- مصطفى حميدة: المرجع المذكور سابقا، ص 59.

المعاني، وفي هذا إشارة منه إلى ما يعرف اليوم بالمعنى الوظيفي، والمعنى المعجمي للألفاظ وإلى المعنى المقامي الذي يكون معهما ما يعرف بالمعنى الدلالي.[1]

ونخلص أخيرا إلى أنّ التعليق هو ارتباط الألفاظ بعضها ببعض سواء أكانت أسماء أم أفعالا أم حروفا، ولا يكون هذا اعتباطا، لأن ترتيب الألفاظ يكون بحسب ترتيب المعاني في نفس المتكلم، فالألفاظ هي أوعية المعاني ومن هذا الربط يتكون النظم.

فالتعليق بمعناه عند الجرجاني يقترب جدًا من مفهوم الاتساق عند الغربيين إذن:

التعليق ~~الحبك~~ وهما ما يقابل اتساق Cohésion

4- معاني النحو:

إنّ المتأمل للنظم والتعليق، يدرك بوضوح أن ليس الوقوف عليهما شيء في المتناول، إذ لا يتشكلان خبط عشواء، فهما لا يتمان إلا من خلال معاني النحو. فيقول الجرجاني: "اِعلم أن ليس النظم إلاّ أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها، وتحفظ الرسوم التي رسمت لك فلا تخل بشيء منها وذلك أنا لا نعلم شيئا يبتغيه الناظم بنظمه غير أن ينظر في وجوه كل باب وفروقه، فينظر في الخبر إلى الوجوه التي تراها في قولك؟ زيد منطلق وزيد ينطلق، وينطلق زيد، ومنطلق زيد، وزيد المنطلق، والمنطلق زيد، وزيد هو المنطلق، وزيد هو منطلق.

وفي الشرط والجزاء إلى الوجوه التي تراها في قولك: إن تخرج أخرج، وإن خرجتَ خرجتُ وإن تخرج فأنا خارج، وأنا خارج إن خرجتَ، وأنا إن خرجت خارج، وفي الحال إلى الوجوه التي تراها في قولك: جاءني زيد مسرعا وجاءني يسرع، وهو مسرع أو هو يسرع، وجاءني قد أسرع وجاءني وقد أسرع، فيعرف لكل من ذلك موضعه، ويجي به حيث ينبغي له، وينظر في الحروف التي تشترك في معنى، ثم ينفرد كل واحد منها بخصوصية في ذلك المعنى، فيضع كلا من ذلك في خاص معناه، نحو أن يجيء بـ"ما" في نفي الحال، وبـ"لا" إذا

---

1)- المرجع السابق، ص 12.

أراد نفي الاستقبال، وبـ"أن" فيما يترجح بين أن يكون وأن لا يكون، وإذا فيما علم أنه كائن، وينظر في الجمل التي تسرد فيعرف موضع الفصل فيها من موضع الوصل، ثم يعرف فيما حقه الوصل موضع "الواو" من موضع "الفاء" وموضع الفاء من موضع "ثم" وموضع "أو" من موضع "أم" وموضع "لكن" من موضع "بل"، ويتصرف في التعريف والتنكير والتقديم والتأخير في الكلام كله وفي الحذف والتكرار والإضمار والإظهار، فيضع كلا من ذلك مكانه ويستعمله على الصحة وعلى ما ينبغي له".[1]

يبدأ الجرجاني في هذا الجزء مباشرة في توضيح معنى النظم، بفعل كلامي "اَعلم" لينجز من خلاله أداءً لمعنى النظم، داعيا المخاطب إلى كيفية تحقيقه النظم في خطابه، فيرى أنّه يتحقق من خلال إدراك المعاني النحوية فيربط بين النحو والنظم "بطريقة عميقة تتحول إلى نوع من علاقة للتلازم، أي التلازم في الحضور والغياب، وفي هذا الموضع وفي غيره يؤكد الجرجاني قناعته بعلاقة النظم بالنحو إلى درجة الدمج بين علم النحو والنظم، إذا لم تراع جانب الدلالة فإنّها تحوّل الكلام المنظم إلى مجرد جهاز منطقي ميكانيكي، إذ يمكن أن توجد نصوص تراعي قواعد النحو لكنها من جهة الدلالة المنطقية أو البلاغية غير مقبولة".[2]

فهو بهذا يربط النحو بالنظم ويجعلهما متلازمين متوافقين، ويقصد الجرجاني بالوضع الذي يقتضيه علم النحو، توخي المعاني النحوية، فيربط بين إدراك المعاني النحوية والمعاني النفسية داخل التركيب، فإذا تم ذلك تحقق النظم.

"وإحداث هذا التوافق بين المعاني النفسية والتراكيب الدالة عليها، لا يتم إلاّ بمعرفة عميقة للوظائف النحوية لأدوات النفي أو أدوات الشرط أو أدوات النداء أو الاستفهام، وما

---

1)- دلائل الإعجاز: ص 64-65.

2)- حسين خمري: نظرية النص من بنية المعنى إلى سيميائية الدال، منشورات الاختلاف، الدار العربية للعلوم ناشرون، الجزائر، ص 221-222.

يمكن أن يحدثه وضع أداة مكان أداة من تغيير في المعنى، وكذلك ندرك أثر نوعية الكلمة وموقعها في المعنى، فالكلمة المعرّفة غير الكلمة المنّكرة".[1]

لذلك أكّد الجرجاني على وضع الكلام الوضع الذي يقتضيه علم النحو والعمل على قوانينه وأصوله، فالجرجاني بهذا فرّق بين قوانين النحو ومعاني النحو، فأما قوانين النحو، فهي نظام وقواعد ومعايير قارّة، وهو ما يعادل اللسان عند دوسوسير (الوضع عند العرب)، أما معاني النحو فهي تلك الإمكانات التي توفرها القواعد مشكلة بذلك بدائل متاحة للمتكلم للإفصاح عن مقاصده فيقول: "لو أبقينا الدّهر الأطول نُصعّد ونُصوّب، نبحث وننقب، نبتغي كلمة قد اتصلت بصاحبة لها، ولفظة قد انتظمت مع أختها، من غير أن نتوخى فيما بينها معنى من معاني النحو، طلبنا ممتنعًا وثنينا مطايا الفكر ظلعا".[2] إذن فالغاية ليست قوانين النحو، ولكن غاية عبد القاهر هي معاني النحو، ولو كان الأمر الأول لما تمكّن الأعرابي الجاهل بالنحو، من الكلام ببراعة وحذق يضاهي بهما عالم النحو"، [3] وربما يفوقه- (*)

لذلك أكّد الجرجاني على وضع الكلام الوضع الذي يقتضيه علم النحو والعمل على قوانينه وأصوله، دون خروج عنها، وأورد الفروق بين وجوه الخبر، والحال، والشرط، وإدراك الجرجاني لعلم النحو الذي يتجاوز به قضايا الرفع والنصب والجر إلى معاني النحو، جعل له أثرا بارزا في خدمة نحو النّص فكلامه كلّه دعوة صادقة لتجاوز الجملة للنص، ذلك أنّ النّص لا يكون إلاّ حسب ما تقول به قوانين النحو وأصوله ومناهجه.

صحيح أنّه تكلّم عن نحو الجملة أيضا، لكنّه أكّد على كونه جزءًا يسيرًا من نحو أشمل من ذلك حين تناول فروق الخبر على مستوى الجملة لضرورة النظر في الحروف التي تشترك في معنى، ثم ينفرد كل واحد منها بمعنى خاص، ثم يوسع الأمر ليتكلم عمّا ترتبط به

---

1)- أحمد درويش: دراسة الأسلوب بين المعاصرة والتراث، ص 88.

2)- عبد القاهر الجرجاني: الدلائل، ص 322.

3)- الجرجاني: ص 320.

*)- لأن الأعرابي يتحدث سليقة وطبعا.

الجملة، بعد أن أتّم الحديث عن أركانها الأساسية بغيرها من الجمل، وكأنّه يقصد نحو ما فوق الجملة، كجزء ثان [1] حين حديثه عن الجمل ومواضع الفصل والوصل فيها، ينتقل إلى جزء ثالث من أجزاء علم النحو وهو الأساس في نحو النص باعتباره المميز بين نحو الجملة ونحو النص، حيث تحدث هنا عن جزئيات هي من صميم نحو النّص، يتم فيها الربط بين متتاليات جملية تشكل نصوصا متماسكة ومتكاملة، لينتقل إلى الجزء الرابع من علم النحو الذي يتطرّق للتعريف والتنكير، والتقديم والتأخير والحذف والتكرار، فبهم يُقاس مدى تمايز النّصوص،ووعي النّاص في ترتيب كلامه حسب المعاني في النّفس فأكد على أنّ هذا هو مدخل الإعجاز.[2]

يبدو واضحًا حسب الباحث عمر أبو خرمة أنّ الجرجاني انطلق من نحو الجملة إلى نحو ما فوق الجملة، ثم نحو النّص،وعليه ركّز على المستويات الثلاث:

نحو الجملة ~~نحو ما فوق~~ الجملة نحو النّص ←

وقد يبدو من نصّ الجرجاني السّابق مطابقة النظم لعلم النحو، خاصة مع استعمال أسلوب القصر، إلاّ أنّه يجب التأكيد على الفرق بينهما عند الجرجاني، فأصول النحو يعني بها قوانين التراكيب اللغوية وتنتمي إلى قوانين اللغة، بينما "علم النحو أو النظم فهو الذي يحصِرُ الخصائص الفنية والأدبية في الكلام شعرًا كان أو نثرًا" [3] ولذلك نجد الجرجاني يتحدث عن قوانين محملة حين كلامه عن الأصول، بينما في حديثه عن علم النحو يجعل النظم مقصورًا على اِتّباع قوانينه، التي تمثل نظام اللغة المستعمل من قبل الجماعة اللغوية، فيتم على أساسه الاتصال اللغوي، وهذا يعني أنّ الجرجاني كان يقصد "الكفاءة اللغوية" التي يمتلكها المتكلم المثالي حسب "نوّام تشومسكي" والتي تمكنه من إنتاج وتوليد جمل أصولية خاضعة لقواعد النحو وقوانينه، وهي الجمل التي يتحقق بها النظم باعتبارها سليمة راعى فيها المتكلم قواعد

---

1)- انظر: عمر أبو خرمة: نحو النّص نقد النظرية وبناء أخرى، الأردن، عالم الكتب الحديث، ط1، 2000، ص 45.

2)- انظر؛ المرجع نفسه، ص 46-47.

3)- نصر حامد أبو زيد: مفهوم النظر عند الجرجاني، مجلة فصول، القاهرة، مصر، الهيئة المصرية العامة، المجلد 5، العدد1، 1984، ص 15.

الصحة، وتعد هذه النقطة من أهم الأفكار التي جاءت بها المدرسة التوليدية التحويلية (الكفاءة/الأداء) كان للجرجاني فضل السبق التاريخي في طرحها بأسلوبه الخاص.

وإذا كان الجرجاني أكّد أنّ النظم هو وضع الكلام بحسب ما يقتضيه علم النحو ف "لا معنى للنظم غير توخي معاني النحو فيما بين الكلم" [1] هذه المعاني التي للفكر تَعَلُّقٌ بها، لأنّها معبّرة عن المعاني النفسية، إذ "الكلم تترتب في النّطق بسبب ترتب معانيها في النفس". [2]

لذلك يجب التفريق بين النحو بالمعنى الشائع (قواعد تتحقق في الإعراب، أقصى ما تفيده تقويم اللسان عند نطق الكلمات، فهذه لا يتحقق على مستواها النظم)، وبين المعاني النحوية الوظيفية داخل التراكيب،وارتباطها بالمعنى النفسي الذي من خلاله يتم الاختيار والتأليف بين الألفاظ والعبارات وعلى أساسها يتحقق النظم، هذه المعاني تقع في طوائف منها ما يلي:[3]

1 -معاني أقسام الكلم: كالحدث والزمن والاسمية والكلية والاستعلاء وابتداء الغاية والعطف والاستدراك...الخ.

2 -معاني الصيغ: كالطلب والصيرورة والمطاوعة...الخ.

3 -معاني أبواب النحو: كالإسناد والتعدّية والظرفية...الخ

4 -معاني أساليب الجمل: كالخبر والتأكيد والشرط والإنشاء والطلب والتعجب.

وتشكل هذه المعاني النحوية أدوات ربط مهمة، مادية ومعنوية، يتحقق على أساسها التّماسك النّصي، فهي تتجاوز الجملة، وتضاهي عند علماء لسانيات النص الغربيين على غرار "فانديك" الذي يقسم الروابط إلى نوعين: روابط منطقية ناتجة عن تنضيد الجُمل

---

1)- الجرجاني: الدلائل، ص 313.

2)- الجرجاني، نفسه، ص 40.

3)- تمام حسان: مقالات في اللغة والأدب، القاهرة،مصر، عالم الكتب، ج1، ط1، 2006، ص 33.

وترتيبها وفق المعنى وتساهم في تسلسل وانسجام تراكيب النص مع مقاصد المتكلم، وروابط طبيعة، ناتجة من التركيب اللغوي.[1]

إنّ معنى النظم يكمن في قصد المتكلم إلى اختيار ما يناسب أغراضه من المعاني النحوية ويرتبها في نفسه، ثمّ يبني لها الكلمات [البناء]، ثم يرتبها [الترتيب] منشئا بينها العلاقات بواسطة الربط والمطابقة والإضافة...[التعليق] حتى يخرج بنظم جيّد.

وأساس العملية هو معرفة القصد والغرض، فإدراك الغرض وفهم المقصود، أسمى من معرفة الإعراب، وهذا الذي ينبغي أن نهتم به في تعليمنا النحو". [2] لذلك وجدنا الجرجاني يربط النحو بعلم المعاني، متجاوزًا التركيز على الإعراب، وحفظ القواعد، إذ لا تفيدنا شيئا ما دامت معزولة عن سياقاتها، غير موظفة فيها لذلك علينا تعليم النحو ومعانيه داخل التراكيب الجيدة التي تعين على تحصيل الملكة، وكل هذا يُعدُّ آراء ومبادئ تربوية تعليمية مهمة، نحن اليوم في أمسِّ الحاجة إليها، كان قد بيّنها الجرجاني، الذي تجاوز بفكره الوقاد عصره، ليتقاطع مع علوم اللغة والتربية الحديثة.

ومما تقدّم يمكن أن نصل إلى كون النظم يتحقق من خلال المعادلة التالية الموضحة لهيكل النظم".[3]

النظم= التعليق «═══» علم النحو وقوانين النحو وأصوله ومناهجه «═══» المعنى الدلالي بين السامع والمتكلم.

هذا المعنى الذي يمرّ بمراحل حتى يتحقق نظمه بداية بترتيب المعاني في النفس للنطق بالألفاظ على حذوها، ولا يكون ذلك إلاّ بالفكر والرويّة. "فإذا وجب لمعنى أن يكون أولا في النفس، وجب للفظ الدال عليه أن يكون مثله أولاً في النطق".[4]

---

1)- انظر: إبراهيم خليل: في اللسانيات ونحو النّص،عمّان، دار المسيرة، ط1، 2007، ص 197.

2)- أنظر: المرجع السابق، ص 196.

3)- خليل أحمد عمايرة: المسافة بين التنظير النحوي والتعليق اللغوي، عمّان، دار وائل،ط1، ص 302.

4)- عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص 43.

بناء على هذا لا يجب الفصل بين الألفاظ والمعاني، لأنّ الألفاظ انعكاس لترتيب المعاني في النفس، فتتيح معنى عن الكلام، يتجاوز معاني الوحدات اللغوية كما في المعجم، حيث يفرض السياق معاني جانبية تؤدي الغرض المقصود، فالنظم إذن يقدم لنا جانبين: "الأول نفسي يضم الدلالة أو المعنى النفسي، ويشكل قصد المتكلم أو غرض الكلام، والثاني لغوي يضم الألفاظ المنطوقة حيث تتلاحم الدلالات المعجمية بالدلالات السياقية على مستوى التأليف"[1] إضافة إلى الجانب التفسيري الخاص بالمتلقي؛ أي تفسير النّص من قبل المتلقي، وهكذا يكون النظم نتاج المعنى الذي قصد إليه المتكلم،والمعنى الذي فسّره المتلقي، فإذا وصل المتكلم إلى النظم، تجاوز هذه المستويات كلّها، نقول أنّه حقق كفاءة إبداعية، أوما يسمى اليوم بالكفاءة التداولية المكونة من خمس ملكات. كان قد تعرّض لها الجرجاني بمفاهيمها دون أن يذكرها بمصطلحات، وهذه الملكات هي الملكة اللغوية والملكة المنطقية والملكة المعرفية والملكة الإدراكية والملكة الاجتماعية، كما حددها فانديك.[2]

ومن هنا تتبدى لنا معاني النحو مستوى أعمق من النحو ذاته، فليس المهم أن نعرف عبارات النحويين واصطلاحاتهم النحوية، ولكن أن نفهم مدلول هذه العبارات.

إنّ ما يقوله الجرجاني ونقوله معه، لا يعني أبدًا إغفال القاعدة النحوية، بقدر ما يعني هضمها وتجاوزها إلى مستوى أعمق، فغياب هذا المستوى "يؤدي بالضرورة إلى فقدان الجوانب الدلالية حيث تصبح الألفاظ أشتاتا مبعثرة، لا تمثل أي قيمة دلالية، في حين إنّها في الوضع الأول كونت نسقا إبداعيا"، [3] أي بتوخي معاني النحو، والنحو ذاته. ومحصّلة القول، إنّ النحو علم معياري يشترك فيه العام والخاص، وهو قواعد قارة في أصل اللغة تمنحها خصوصيتها وتميزها، في حين معاني النحو هي دلالات وفروق محدثة في تلك القاعدة تعطي إمكانيات وطاقات تعبيرية، شريطة الدراية بها مع القدرة التي تمكن المتكلم من استخدام هذا العلم وتوظيفه توظيفا مؤثرا دالا.

---

1)- سعيد حسن بحيري: القصد والتفسير في نظرية النظم، مصر الأنجلو مصرية، [دط]، 1995، ص 28.

2)- انظر: فانديك النص والسياق، ص 274.

3)- انظر: نصر حامد أبو زيد: مفهوم النظم عند عبد القاهر الجرجاني، قراءة في ضوء الأسلوبية، ص 17.

5- الوجوه والفروق والموضع:

إنّ المتأمل لمعاني النحو يجدها لا يمكن أن تتأتى إلا من خلال مصطلحات أخرى، تعد مصطلحات مفاتيح في النظرية الجرجانية، هذه المصطلحات تسير جنبا إلى جنب هي: الوجوه والفروق والموضع، وهذه المصطلحات تدل على أن اللغة لها إمكانات متعددة للتبليغ مع مراعاة الفروق في المعنى بين إمكانية وأخرى، وهو أمر لا يتأتى إلا من خلال معرفة الفرق بين موضع وآخر، وهذا ما لا يمكن أن يلّم به إلاّ حبير بأسرار اللغة.[1]

وقد أوضح عبد القاهر الجرجاني بإسهاب الإمكانات التي تعطي البدائل، ومن ثمّ الاختلاف فيما بينها، والتمييز في استخدامها، وتسمى هذه الخطوات العلمية الثلاث بالوجوه، والفروق والموضع، يقول: "وذلك أنّا لا نعلم شيئا يبتغيه الناظم بنظمه غير أن ينظر في وجوه كل باب وفروقه، فينظر في الخبر إلى الوجوه التي تراها في قولك: زيد منطلق، وزيد ينطلق، وينطلق زيد، ومنطلق زيد، وزيد المنطلق، والمنطلق زيد، وزيد هو المنطلق/ وزيد هو منطلق، وفي الشرط والجزاء إلى الوجوه التي تراها في قولك: إن تخرج أخرج وإن خرجتَ خرجتُ، وإن تخرج فأنا خارج، وأنا خارج إن خرجت، وأنا إن خرجت خارج، ... فيعرف لكل من ذلك موضعه، ويجيء به حيث ينبغي له".[2]

علمنا أن هذه الأقطاب الثلاث ليست من السهولة بمكان، إذ لا بد لها من عالم حصين باللغة، مالك لقدرة إبداعية، حتى يشكلها كيف شاء، من ذلك معرفة وجوه كل أصل من أصول النحو، أي فروق اختلاف كل أصل من هذه الأصول من حيث نمط علاقته بأنماط علاقات الأصول الأخرى، بالإضافة إلى معرفة الفروق والإمكانيات العلاقية التي يتوفر عليها كل أصل من هذه الأصول.

---

1)- بشير إبرير: مفهوم النص في التراث اللساني العربي، مجلة جامعة دمشق، ص 109.

2)- عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص 64.

ولكي نقف على مقصوده من الفروق وقبلها الوجوه وتعالقها بالمواضع، تقف على الفروق الموجودة في الخبر، والفروق في وجوه الشرط والجزاء وكذلك الفروق في الحال.

5-1- الفروق في الخبر:

تتحقق الفروق في الخبر من خلال نظرية النظم التي وجدناها في المقطع الأول يجعلها في توخي معاني النحو ممثلة في توخي تلك العلاقات الوظيفية بين التراكيب لا المعاني الإفرادية، فهو يستمد نظرية النظم من رافدين: الأول: معجمي وضعي يكون في الألفاظ المفردة قبل دخولها في التراكيب،والثاني: معنى وظيفي تركيبي يتم من خلال دخول اللفظة في تركيب لغوي معين يكسبها معاني جانبية إضافية تشكل من خلالها علاقات روحية وظيفية، فإذا قلنا: "زيد منطلق" فمعناها النحوي هو العلاقة بين معنى "زيد باعتباره اسم علم دال على شخص معين معلوم لدى المتلقي، ومن حيث إنّه أراد الإخبار عن انطلاقه،وبين معنى"منطلق" باعتباره دالاً على حدث متعيّن معلوم للسامع ومن حيث مراد الإخبار به عن زيد، ومسند إليه مع تقرير لوقوعه منه.[1]

لذلك نجد أنّ العلاقة بين "زيد" و "منطلق" تتنوع لحد لا حصر له، إلاّ أنّه تتكون في ضوئه علاقات نحوية روحية، مبنية على قوانين النحو وأصوله بطريقة لا تخرج عن وجوه التركيب، ولذلك ذكر عبد القاهر الجرجاني لهذه العلاقات ثمانية وجوه: تنطلق من أصل واحد قائم فيها جميعا، هو إثبات وقوع فعل الانطلاق من شخص معين هو "زيد"، إلاّ أن لكل وجه هنا خصوصية عن الآخر في الدلالة على معنى لا يتضمنه غيره، هذا المعنى الزائد المتنوع بتنوع النمط التركيبي هو مناط المفاضلة، أمّا المعنى الأول الذي هو إثبات وقوع الفعل فهو الانطلاق من شخص معين هو زيد، فذلك لا تفاضل فيه بين أحد لأنّه ثمرة نمط تركيبي موروث".[2] وبالتالي: فإنّ لانطلاقة زيد عدّة وجوه تصويرية تتوفر على كفاءة لغوية منجزة، من خلالها تظهر بلاغة المتكلم من حيث قدرته على النظر في الوجوه والفروق واختيار ما

---

1)- انظر: محمد توفيق محمد سعد: نظرية النظم وقراءة الشعر عندعبد القادر الجرجاني، جامعة الأزهر.- كتاب إلكتروني.

2)- انظر/ المرجع السابق، محمد توفيق محمد سعد: كتاب إلكتروني مذكور سابقا.

يتناسب مع موضوعه في كلامه فيوظفه حيث ينبغي له. أمّا فيما يخص الفروق الدقيقة في الخبر التي أوردها الجرجاني فقد خصص لها فصلاً بدأ ببيان أنّ الخبر ينقسم قسمين:[1]

1 -خبر يشكل جزءًا أساسيا من الجملة،ولا تتم الفائدة دونه.

2 -خبر ليس بجزء من الجملة، زيادة في خبر آخر سابق له.

مثال الأول: خبر المبتدأ مثل: "منطلق" من قولنا "زيد منطلق" والفعل مثل قولنا: "خرج زيد" فكلا المثالين جزء أساسي من الجملة وأصل في تحقيق الفائدة.

ومثال الثاني: هو الحال كقولنا: "جاءني زيد راكبا" على أساس أن الحال في حقيقته خبر يثبت به المعنى لذي الحال، مثلما يثبت بخبر المبتدأ للمبتدأ وبالفعل للفاعل".[2]

ثم يؤكد الجرجاني أنّ الفرق بين الخبرين أننا في جملة، "جاءني زيد راكبًا"، زدنا على إخبارنا بالمجيء لزيد، أن حددّنا الهيئة في مجيئه، بينما جرّدناه في الخبر المنطلق، مثل "زيد منطلق"، لينتقل بنا إلى فروق في الخبر بين الإثبات بالاسم وإثباته بالفعل، لأنّ ذلك مما تمس الحاجة إليه فيعلم البلاغة، وبيانه: "أن موضوع الاسم على أن يثبت به المعنى للشيء من غير أن يقتضي تجدده شيئا بعد شيء، وأما الفعل فموضوعه على أنّه يقتضي تجدّد المعنى المثبت به شيئا بعد شيء.[3]

يبدأ الجرجاني تحليله لفروق الإثبات هذه في الاسم بالأمثلة: "زيد منطلق"، "زيد المنطلق"، "زيد هو المنطلق"، "المنطلق زيد"، حيث يمثل التركيب الأول التشكيل الأساسي أو ما يسمى عند أصحاب النظرية التوليدية التحويلية الحديثة بالجملة النواة، بينما يشكل الباقي صورًا لجمل محوّلة عنها، في كل منها فرق دقيق يدل على معنى خاص، نتج من خلال قوانين تحويلية مختلفة: كالزيادة، والاستبدال والحذف، دخلت على الجملة النواة هذه القوانين التي سماها الجرجاني "قوانين النحو وأصوله".

---

1)- انظر عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص 138.

2)- انظر: دلائل الإعجاز، ص 138.

3)- المرجع نفسه، ص 138.

فالتركيب: زيد منطلق يمثل جملة نواة، ثمّ انطلاقا منها جملة من التحويلات حدّدت فروقا دقيقة يناسب كل منها مقامًا ووضعًا محددًا، وتتضح الفروق في الخبر المثبت بالاسم من خلال الجدول التالي:[1]

فروق في المعنى بين وجوه الخبر حسب الموقع			
زيد منطلق	**زيد المنطلق**	**زيد هو المنطلق**	**المنطلق زيد**
تركيب نواة موجه لمخاطب (سامع) لم يعلم أن انطلاقا كان لا من زيد، ولا من غيره. ويمثل جملة نواة باعتباره إخبارا دلاليا موجها لسامع خالي الذهن من حدوث أي انطلاقٍ لا من زيد ولا من عمرو، وهو إخبار مجرّد من التوكيد والاختصاص فكان إثبات الانطلاقة للسامع من طرف زيد.	تركيب توليدي محوّل عن الجملة النواة، بواسطة زيادة أداة التعريف (ال)، لأن المخاطب هنا يعلم أن انطلاقا قد تم، لكنه يتردد، في من قام به، فجاءت الأداة (ال) لإزالة الشك وإعلام السامع أنّ انطلاقا ما تم ولا يعلم ممن تمّ إمّا من زيد وإمّا من عمرو فأنت تعلمه أنه من زيد دون غيره	تركيب توليدي محوّل بالإضافة باعتبارها من قواعد التحويل، فتم إضافة "ضمير الإحالة" "هو" بين الجزئين، تأكيدًا على أنّ الانطلاق تمّ من زيد مرّة واحدة، وهو وحده المختص بهذا الانطلاق، وبذلك تم تأكيده فالضمير "هو" الذي يحيل إلى زيد.	تركيب توليدي محوّل عن طريق التقديم والتأخير في إخبار دلالي لسامع، رأى انطلاقا تم من إنسان عن بعد ذلك لإثبات فيها ولكن السامع لا يدرك إن كان المنطلق زيد أم عمرو، فأثبت المتكلم أن الانطلاق من زيد لا من غيره عن طريق تقديم الخبر لكن لا على نية تأخيره بل، ليكون كمبتد أ لكن ليتحول هو الآخر إلى خبر.

بهذا يكون لكل تركيب محوّل مقام تخاطبي يستدعيه، وهنا تبرز دقّة النظم في اختيار التركيب المناسب للموضع المناسب، وكل هذه الفروق تمثل أسمى ما تبحث فيه اللسانيات التداولية حيث تراعي المتكلم (من يتكلم؟) والمخاطب (مع من يتكلم؟) وغرضه (ماذا يقصد حين يتكلم؟)، وحال المخاطب (متى يتكلم؟)، ولماذا يتكلم؟، وماذا يقول بالضبط حين يتكلم؟.

---

1)- انظر: بشير إبرير: دلائل اكتساب اللغة في التراث اللساني العربي،منشورات مخبر اللسانيات واللغة العربية، 2007، [دط]، ص 103.

ويلخص الدكتور عبد الرحمن الحاج الصالح ما جاء في هذه الوجوه والفروق بقوله: إنّ الذي يقصده الجرجاني هو تصرف المتكلم في الكلام بحيث ينتقل من وجه إلى وجه ابتداء من أصل وهو أقل هذه الوجوه لفظا ومعنى، أي ما ليس فيه زيادة إطلاقا... ويتصرف المتكلم انطلاقا من هذه النواة من الكلام حسب ما تقتضيه دلالتها الوضعية الأصيلة، ومجموع هذه الدلالات الفرعية تكون وضعًا ثانيا غير الوضع الأول ويمكن أن نسميه ب: الوضع البلاغي "Expressive".[1] وهذا ما وضحه من خلال ما يلي:[2]

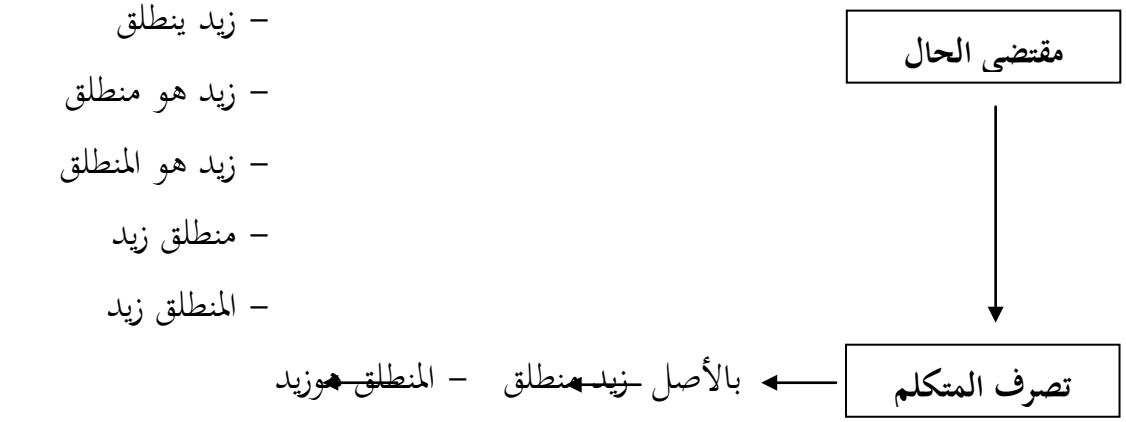

فنجد أنّ لكل وجه من الوجوه مزية دلالية لا توجد في الوجه الآخر، وبالتالي لكل وجه مقتضى بلاغي يفرضه ولا يدركه إلاّ الخبير بدقائق العربية وأسرارها البلاغية.

5-2- الفروق في وجوه الشرط والجزاء:

1)- عبد الرحمان الحاج صالح: بحوث ودراسات في علم اللسان،دار موفم للنشر، 2007، ص 347.

2)- نفسه، ص 347.

يقول الجرجاني في دلائله: "وفي الشرط والجزاء إلى الوجوه التي تراها في قولك: إن تخرج أخرج وإن خرجتَ خرجتُ وإن تخرج فأنا خارج، وأنا خارج إن خرجت، وأنا إن خرجت خارج".[1]

يعرض في هذا النّص وجوها في الشرط والجزاء، بينها فروق في المعنى تختلف في توظيفها حسب السيّاق والغرض الذي يقصده المتكلم، لقد أورد عبد القاهر الجرجاني، جملا شرطية مختلفة تارة بصيغة الفعل الماضي، وتارة بصيغة الفعل المضارع، ويضيف لهما صيغة اسم الفاعل، ودائما بأداة الشرط [إنْ] وفي كل وجه فرق دلالي معيّن، إلاّ أنّها جميعا تساهم في ربط أجزاء الجمل والنّصوص، تحقيقا للاتساق والانسجام داخل النّص.

فكل ما يقوم به المتلقي (السامع) مرهون بما سيقوم به المتكلم (المخاطب) في بناء لغوي متماسك.

وتختلف هذه الوجوه باختلاف صياغتها، فدلالة الفعل الماضي، تختلف عن المضارع وكلاهما يختلف عن دلالة صيغة اسم الفاعل، مع تأكيد نقطة مهمة، وهي خروج الصيغة الماضية مثلا عن دلالتها الحقيقية للدلالة على المستقبل في مواضع معينة "فالماضي إذا وقع في جواب الشرط، على هذا السبيل كان مستقبلا في المعنى، فإذا قلت: إذا خرجتَ لم أخرج، كنت قد نفيت خروجا فيما سيستقبل"[2]

فالجمل تختلف حسب السيّاق العام الواردة فيه، والصيغة التي أتت فيها ويمكن تحديد ذلك كالتالي:[3]

- إن تخرج أخرج: ربط سببي في المستقبل فقد أفادت الأداة (إن) ربط خروج المتكلم في المستقبل بخروج السامع،مع تجدد الحدث كلما أقبل السامع على الخروج

---

1)- دلائل الإعجاز: ص 64.

2)- المرجع السابق، ص 209.

3)- انظر بشير إبرير/ دلائل اكتساب اللغة في التراث اللساني العربي، ص 104.

- إن خرجتَ خرجتُ تفيد الحاضر مع ربط الخروج للمتكلم بالمتلقي فيخبره بربط خروجه في الحاضر (حالا) بخروجه هو ودائما فيها ربط سببي (خُروجُك سبب خروجي)
- إن تخرج فأنا خارج ربط سببي مستقبلا مع العطف للتأكيد على أنّه خروج المتكلم بسبب خروج السامع، ويعقبه مباشرة، والفاعلية هنا متحققة في الصيغة الصرفية من البداية قبل دخولها للسياق، لا من علاقة الإسناد.
- أنا خارج إن خرجت ربط سببي حيث يتحقق خروجي إذا تحقق خروجك وصيغة الماضي هنا دالة على المستقبل، لأنّها واقعة في جواب الشرط مع وجود الضمير "أنا" لتأكيد الحدث مباشرة بعد خروج المتلقي.
- أنا إن خرجتَ خارج فيها ربط سببي مؤكد على تحققه بالضمير حيث إن خروج المتكلم مشروط بخروج السامع، قُدّمَ الضمير، لأنه محل الاهتمام والعناية.

وهذه الفروق في وجوه الشرط "تساهم بشكل كبير في تحقق التماسك النحوي، داخل الجمل والنصوص، أما الربط السببي الذي يتحقق بواسطته التحام أجزاء الجمل، وصولا للنّص فهو الذي يشكل أحد آليات التماسك في لسانيات النص.

5-3- الفروق في الحال:

يقول الجرجاني مبينا وجوه الحال "وفي الحال إلى الوجوه التي تراها في قولك: جاءني زيد مسرعا، وجاءني يسرع،وهو مسرع أو هو يسرع، وجاءني قد أسرع، وقد أسرع. فيعرف لكل من ذلك موضعه".[1]

لقد بدأ الجرجاني مبيّنا حديثه عن الحال والفروق في وجوهه، بتحديد الهيئة التي يأتي عليها، فهو إمّا حال مفردة أو مركبة، هذا المركب الذي يأتي في قوالب عدّة: تركيب فعلي ماضٍ أو مضارع، مثبت أو منفي،وأن يكون تركيبا اسميا خبره اسم ظاهر، وهو في

1)- دلائل الإعجاز، ص 640.

حقيقته يشكل النوع الثالث لخبر المبتدأ، الذي يعدُّ جزءًا من الجملة، لكنّه زيادة في خبر سابق، فالحال خبر في الحقيقة، حيث يثبت به المعنى مثلما يثبت خبر المبتدأ للمبتدأ، أو الفعل للفاعل.

ثم تطرق الجرجاني إلى أحكام الوجوب والجواز كي يقترن الحال المركب بالواو، بما يقابله من التراكيب. كل هذا تمهيدا لذكر الأسرار الدلالية،والعلل البلاغية المؤثرة في هذا الإجراء الذي يستدعي ذكر الواو أو حذفها، باعتبارها ذات تأثير كبير على المعنى.[1]

بيان ذلك أنّ الجملة الواقعة حالا إذا لم تسبق "بالواو" فالغاية منها "ضم الفعل الواقع في التركيب الرئيسي، وإثباتهما إثباتا واحدا"[2]

وهذا ما صرّح به الجرجاني في كتابه حيث يكون الغرض من عدم ذكر الواو كون الجملة بأكملها خبراً واحدًا، لا يمكن فصله إلى جملتين هما: [الجملة الأصلية+ الجملة الواقعة حالا]

خبر مثبت جملة واحدة لها دلالة المفرد.

بينما الجملة التي تقتضي "الواو" فإنّها تدل على إثبات استئناف الجملة، دون وصل المعنى الثاني (الحالي) بالمعنى الأول للجملة، فلا تؤدي الجملة دلالة المفرد، بمعنى لا تنزل دلالة المفرد، ذلك أنها تدل على استئناف إثبات الفعل الأول منفردًا ومنفصلاً عن فعل الجملة الحالية، المثبت بعد فصله عن الجملة الأولى لذلك نجد الجرجاني يقول: "فاعلم أن كل جملة وقعت حالا ثم امتنعت من "الواو" فذلك لأجل أنّك عمدت إلى الفعل الواقع في صدرها فضممته إلى الفعل الأول في إثبات واحد، فكل جملة جاءت حالا، ثم في الإثبات، تفسير هذا أنك إذا قلت "جاءني زيد يسرع" كان بمنزلة قولك "جاءني زيد مسرعا" في أنك تثبت مجيئا فيه إسراع، وتصل أحد المعنيين بالآخر، وتجعل الكلام خبرًا واحدا".[3]

---

1)- انظر: دلخوش جار الله حسين دره بي: الثنائيات المتغايرة في دلائل الإعجاز، ص 230.

2)- انظر: دلخوش جار الله حسين دره بي: مرجع سابق، ص 232.

3)- دلائل الإعجاز: ص 165.

وعليه فجملة جاءني زيد يسرع جاءني زيد مسرعاً = إثبات المجيء لزيد مع وصله بالسرعة، وتكون الدلالتان ممزوجتين معًا، كخبر واحد مضمومة أجزاؤه، إذ يحدث في التركيبتين: المجيء والسرعة معًا دون فصل بينهما.

جاءني زيد يُسرع تفيد تحقيق خبر واحد فيه إثبات
جاءني زيد مسرعا للمجي والإسراع دون فصل بينهما

لكن مع بيان دلالة الفعل المضارع على تجدد الحدث، بينما يدل الاسم (اسم الفاعل) على عدم الثبوت للحدث مع فارق زمني بينهما، بينما إذا تمت عملية التحويل في الجملتين وأدخلنا عليهما "الواو" مع الضمير "هو" فتصير "جاءني زيد وهو يسرع، أو "جاءني زيد وهو مسرع" فإنهما تفيدان استئنافًا لإثبات السرعة بعد المجيء لزيد منفردا ومنفصلا عن الإسراع، وكأن بين المعنيين فصلاً فجيء "بالواو" ذلك أن علّة دخول الواو على الجملة أن تستأنف الإثبات ولا تصل المعنى الثاني بالأول في إثبات واحد، ولا تنزل الجملة منزلة المفرد".[1]

نوضح ذلك بالشكل التالي:

جاءني زيد وهو يُسرع
ثبات للسرعة بعد إثبات المجيء مع فصل بينهما في المعنى
جاءني زيد وهو مسرع

ولذلك جيء بالواو مع إضافة الضمير هو لتحقيق الاتساق والانسجام بين جملتين وصولا إلى معنى كلّي لا يعلمه إلاّ الخبير بأسرار البلاغة من حيث الفرق بين التركيبين وسياق كل منهما (المقام).

فوظيفة واو الحال هنا هو تحقيق علاقة الربط والتضام بين التراكيب، هذه الوظيفة التي لها دور كبير في لسانيات النص من حيث تحقيقها للتماسك النّصي.

---

1)- دلائل الإعجاز: ص 166.

ويحاول الجرجاني توضيح الفرق بين "جاءني زيد يسرع" و"جاءني وهو يسرع" أن التركيب الثاني جيء فيه بضمير دال على زيد، وكأننا قلنا: "جاءني زيد وزيد يسرع" وفي هذه الحالة، لا يمكن إدخال الفعل المضارع يُسرع في صلة المجيء وإثباته معه، ذلك أنّ إعادة ذكر زيد، تبين إرادة استئناف بحيز جديد، وهذا لا يتحقق إلاّ بواو الحال التي تفصل التركيبين مع تضامهما في تركيب واحد، محتفظ بمسافة الفصل بين الجملة الحالية وما قبلها.

وأمّا التركيب الجملي "جاءني قد أسرع" فتكون للإخبار عمّن اعتاد المجيء بسرعة، والسامع يعلم ذلك، ولا يشك في هذا المجيء السريع. فيحقق له المتكلم ذلك بالأداة "قد" حتى لا يدع مجالا للشك.

أمّا التركيب "جاءني وقد أسرع"، فتكون لسامع يشك في المجيء بالسرعة لإنسان ما فيضع له المتكلم "واو الحال" + أداة التحقيق لتأكيد المجيء مع السرعة "وإذا أردنا ترجمة هذا إلى لغة اللسانيات المعاصرة حسب الباحث حمّادي صمود نقول: "إنّ الوظيفة النحوية – الحال مثلا– تمثل نواة عميقة يمكن تحويلها إلى جملة من البنى اللغوية السطحية، تتعلق كل واحدة منها بخاصية معنوية تنضاف إلى الأصل وتوافق ظروفا مقالية معينة". [1] ذلك أنّ الجمل الحالية تتفق في المعنى الأصلي، وتختلف في الزيادات الإضافية عن ذلك بما تتلاءم مع أغراض المتكلم ومقاصده. [2] وبهذه التفاصيل الدقيقة كان للجرجاني فضل سبر أغوار التراكيب الحالية، مما جعل نظريته محورًا للدرس المعاصر حيث تدور كل أبحاثه في فلكها، ونجد لكل ما في علوم اللغة الحديثة والمعاصرة نظيرًا في نظرية النظم، أو تقاطعا معرفيا مهما.

وخلاصة القول: إنّ "الوجوه" و"الفروق" و"الموضع" ثلاثة مصطلحات هامة في معرفة غرض صاحبه من معاني النحو وثلاثتها تتضافر لتدل على أنّ اللغة توفر لمستعملها، أكثر من إمكانية لصياغة نفس الوظيفة النحوية، وأنّ بين هذه الإمكانيات المتنوعة في البناء

---

1)- حمادي صمود: التفكير البلاغي عند العرب، أسسه وتطوّره إلى القرن السادس (مشروع قراءة)، منشورات كلية الآداب، منوبة، تونس، 1994، ط2، ص 515.

2)- انظر، نفسه، ص 516.

فروقا معنوية، وأنّ كل بنية مع ما يصاحبها من خصوصيات معنوية، توافق مقاما معينا وتخدم غرضًا دون غرض.[1]

6-5- أدوات الربط والارتباط:

يقول الجرجاني: "وينظر في الحروف التي تشترك في معنى واحد ثم ينفرد كل واحد منها بخصوصية في ذلك المعنى، فيضع كلاّ من ذلك في خاص معناه، نحو أن يجيء بـ"ما" في نفي الحال، وبـ"لا" إذا أراد نفي الاستقبال، و"أن" فيما يترجح أن يكون وأن لا يكون، وبـ"إذا" فيما يعلم أنّه كائن، وينظر في الجمل التي ترد، فيعرف موضع الفصل فيها من موضع الوصل، ثم يعرف فيما حقه الوصل موضع "الواو" من موضع "الفاء" وموضع "الفاء" من موضع "ثم" وموضع "أو" من موضع "أم"، وموضع "لكن" من موضع "بل".

ويتصرف في "التعريف" والتنكير، والتقديم والتأخير في الكلام كلّه، وفي الحذف والتكرار والإضمار والإظهار، فيضع كلا من ذلك مكانه ويستعمله على الصحة وعلى ما ينبغي له".[2]

يزخر هذا المقطع بكثير من دلائل الدراسة النصّية، باعتباره تناول أغلب العناصر المحققة للتماسك النّصي، مثلما استقر عليها الدرس اللساني المعاصر، كما يتناول الفروق بين استعمال الأدوات المختلفة ليتحقق بها الاتساق والانسجام على مستوى البنية السطحية والبنية العميقة، كما يتضمن دعوة صريحة لتجاوز الجملة وصولاً للنّص من خلال عرضه لأدوات الربط بين الجمل وأين توظف وكيف؟.

وهو نفس الاهتمام الذي شغل "فانديك" حيث اهتم بالروابط هذه مقسما إلى الربط بالعطف والوصل والفصل، كما أشار إلى العلاقات المكانية والسببية والحالية والزمنية،

---

1)- حمادي صمود: "المرجع نفسه، ص515.

2)- عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص 64.

وكل هذه العلاقات تدخل في إطار معاني النحو عند الجرجاني كما أشرنا إليها سابقا، مع أفضلية السبق الزمني لعبد القاهر الجرجاني.[1]

ففي نص الجرجاني الأخير، نجده يؤكد على قدرة المتكلم اللغوية، وكفاءته ومهارته في تحمل الممكنات المختلفة التي تطرحها اللغة، في معاني النحو والفروق فيما بينها حسب مقتضى الحال، و"ما" مثلا يفيد النفي، و"لا" كذلك يُفيد النفي، فهما تشتركان في معنى النفي، لكن تنفرد كل منهما بمعنى لا يوجد في الأخرى، ف "ما" تفيد نفي الحال، و"لا" تفيد نفي الاستقبال. [2] وعلى المتكلم مراعاة ذلك أثناء كلامه، ويعرف موضع استعمال "إن"،و"إذا"، مع مراعاة الفصل والوصل ومواضعهما، في الكلام، حسب غرض وقصد المتكلم لما بينها من معاني دقيقة يناسب كل منها أسلوبا معينا،وهذا القصد يشكل أحد المعايير النصيّة التي تحقق نصوصية النص (الاتساق، والانسجام والإخبار، والقصد، والتناص، والمقامية، والاستحسان).

كما تشكل ظواهر: التقديم والتأخير والتعريف والتنكير والحذف والتكرار والإضمار والإظهار، آليات أساسية في تحقيق الاتساق والانسجام، وصولا بالنّص إلى تماسك محكم الصياغة، وكأني بعبد القاهر الجرجاني يؤسس للسانيات النص ذلك أنّه تحدث بالتفصيل عن أدوات الربط المختلفة بين الحمل والعبارات، وأكد عليها بالأمثلة التطبيقية وعلاقتها بالسيّاق وخضوعها لقصد القائل وظروف السامع وكل هذه الآليات كانت مدار بحث كل من "هاليداي"، و"رقية حسن"، و"وفانديك"، في تأسيسهم لنظريات الاتساق والانسجام، فكان لعبد القاهر الجرجاني فضل السبق.

1- التقديم والتأخير: حيث يرى عبد القاهر الجرجاني أنّ باب التقديم والتأخير "باب كثير الفوائد، جمّ المحاسن،واسع التصرف، بعيد الغاية لا يزال يفترّ لك عن بديعه، ويقضي بك

---

1)- أنظر: إبراهيم خليل: اللسانيات ونحو النّص، ص 197.

2)- انظر: بشير إبرير:دلائل اكتساب اللغة في التراث اللساني العربي، ص 104.

إلى لطيفه، ولا تزال ترى شعرا يروقك مسمعه، ويلطف ليدرك موقعه،ثم تنظر فتجد بسب أن راقك ولطف عندك أن قُدّم فيه شيء،وحوّل اللفظ عن مكان إلى مكان".[1]

فكما هو معلوم أنّ الألفاظ قوالب المعاني، لذا وجب أنّ يكون ترتيبها الوضعي حسب ترتيبها الطبيعي، ومن البيّن أن رتبة المسند إليه التقديم، لأنّه محكوم عليه، ورتبة المسند التأخير إذ هو المحكوم عليه وما عداهما فهو متعلقات وتوابع تأتي تالية لهما في الرتبة، ولكن قد يعرض لبعض الكلم من المزايا والاعتبارات ما يدعو إلى تقديمها، وإن كان من حقها التأخير، فيكون من الحسن تغيير هذا الأصل وإتباع هذا النظام.[2] وهو على ضربين:

* تقديم على نية التأخير: ويكون ذلك بتقديم الوحدات النحوية،موضعا لا حكما، كتقديم الخبر على المبتدأ، وتقديم المفعول على الفاعل. [3] يقول الجرجاني: "اعلم أن تقديم الشيء على وجهين، تقديم يقال إنّه على نية التأخير، وذلك في كل شيء أقررته مع التقديم على حكمه الذي كان عليه، ولي جنسه الذي كان فيه، كخبر المبتدأ إذا قدمته على المبتدأ والمفعول إذا قدّمته على الفاعل، كقولك: منطلق زيد وضرب عمرا زيد، معلوم أن (منطلق) "وعمرًا" لم يخرجا بالتقديم عما كانا عليه،من كون هذا خبر مبتدأ ومرفوعا بذلك وكون ذلك مفعولا ومنصوبا من أجله كما يكون إذا أخرت"[4]

* تقديم على غير نية التأخير أو التقديم: ويكون بتغيير مواضع العناصر النحوية،وإبدال رتبتها مع اكتسابها حكما،كما في تقديم الخبر المعرّف على المبتدأ وجعله مبتدأ بذاته، وتقديم المفعول المنصوب وصيرورته مبتدأ مرفوعا. [5] إذ يقول "...وتقديم لا على نية التأخير، ولكن على أن تنقل الشيء عن حكم وتجعله بابا غير بابه، وإعرابًا غير إعرابه، وذلك أن تجيء إلى اسم من يحتمل كل واحد منهما أن يكون مبتدأ أو يكون الآخر خبرًا له، فتقدم تارة هذا

---

1)- عبد القاهر الجرجاني، ص 83.

2)- أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، تدقيق: يوسف العميلي، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ط2، 2000، ص 123.

3)- دلخوش جار الله حسين دره بي: الثنائيات المتغايرة في كتاب دلائل الإعجاز،لعبد القاهر الجرجاني، دراسة دلالية، ص 53.

4)- دلائل الإعجاز، ص 83.

5)- دلخوش جار الله حسين ذرة بي: الثنائيات المتغايرة، ص 53.

على ذاك وأخرى ذاك على هذا. ومثاله ما تصنعه بزيد والمنطلق حيث تقول مرة. "زيد المنطلق"، وأخرى "المنطلق زيد"، فأنت في هذا لم تقدّم المنطلق على أن يكون متروكا على حكمه الذي كان عليه مع التأخير، فيكون خبر مبتدأ كما كان بل على أن تنقله عن كونه خبرا إلى كونه مبتدأ، وكذلك لم تؤخر زيدا على أن يكون مبتدأ، كما كان بل على أن تخرجه عن كونه مبتدأ إلى كونه خبرا، وأظهر من هذا قولنا: "ضربت زيدًا، وزيد ضربته"، لم تقدم زيدًا على أن يكون مفعولا منصوبا بالفعل كما كان ولكن على أن ترفعه بالابتداء، وتشغل الفعل بضميره وتجعله في موضع الخبر له".[1]

وبناء عليه، يتضح أنّ الجرجاني لم يتمسك كالسابقين بترديد العناية والاهتمام دون التماس الأسرار الدلالية المؤدية إلى هذا التغير اللغوي، حيث خلق أواصر قوية بين كل تغيير بنيوي وآخر دلالي منوّها بالقيمة الجمالية والطاقة البيانية التي تتآتى من إدراك كيفية صياغة الكلام، وتنسيقه حسب مقتضيات الظروف والمواقف والدّوافع النفسية والشعورية.[2]

فالتقديم والتأخير يشكلان أحد أهم عناصر الربط عند الجرجاني، فهو يحقق قوة السبك وجودته، ليحقق تماسكا دلاليا مهما، حيث يحدث التقديم والتأخير للأهمية أو التخصيص أو التشويق، فكل تقديم أو تأخير يوحي بمعنى يقصده المتكلم.

7- الفصل والوصل:

الفصل والوصل هو العلم بمواقع الجمل، والوقوف على ما ينبغي أن يصنع فيها من العطف والاستئناف والتهدّي [الاهتداء] إلى كيفية إيقاع حروف العطف مواقعها أو تركها عند عدم الحاجة إليها، فالوصل عطف جمل على أخرى "بالواو" ونحوها من حروف العطف مثل: الفاء، ثم، أو، أم، بل، لكن، والفصل ترك هذا العطف،[3] حيث يقول

---

1)- عبد القاهر الجرجاني: ص 83-84.

2)- دلخوش جار الله حسين ذرة بي: الثنائيات المتغايرة، ص 52.

3)- أحمد الهاشمي: المرجع المذكور سابقا، ص 179.

الجرجاني "أعلم أنّ العلم بما ينبغي أن يصنع في الجمل من عطف بعضها على بعض أو ترك العطف فيها والمجيء بها منشورة تستأنف واحدة منها بعد أخرى من أسرار البلاغة".[1]

يتجلى من هذا القول أنّ من أدرك كيفية ربط الجمل بعضها ببعض وفق قوانين الفصل والوصل، قد أدرك سرًا من أسرار البلاغة، فنجد الجرجاني قد ميّز بين العطف بالواو واختلاف المعنى فيه عن بقية حروف العطف، إذ يفيد العطف بالواو الربط وتشريك ما بعدها لما قبلها في الحكم، وشرط هذا العطف أن يكون بين الجملتين جامع كالموافقة في نحو: (يقرأ)، و(يكتب)، أو المضادة كـ (يضحك) أو (يبكي).[2]

وعليه فإن الوصل واجب في الأمثلة السابقة، وذلك أنّ الجمل إذا تداخلت ووقع بعضها إثر بعض، وجب أن تربط "بالواو"، ولكن قد يطرأ عليها ما يوجب ترك "الواو" فيها، وبالتالي يكون الفصل، ونحدد هذه العوارض من خلال الأمثلة التالية، مثال قوله تعالى: ﴿أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُون أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ وبَنِينَ﴾".[3]

ونلاحظ أن في الجملتين التحامًا تامًا وامتزاجا معنويًا حتى كأنهما أفرغتا في قالب واحد.

أن يكون بين الجملتين تباين تام، دون إيهام خلاف المراد، نحو قولك: حضر الأستاذ، حفظه الله، تكلَّم إني مصغٍ.

والمانع من العطف في هذا الوجه هو التباين بين الجملتين، لهذا وجب الفصل بينهما

وكذلك الأمر مع (أل) التعريف التي تجاوز بها الجرجاني دلالتها على التعريف إلى دلالتها على شيء سبق ذكره ويعلمه السامع، كما رأينا قولنا: "زيد المنطلق"، حيث دلّت على أنّ السامع يعلم أن انطلاقا قد كان سابقا، فهي تساهم في تحقيق الربط بين المعاني السابقة والحاضرة لتحقيق التماسك على مستوى البنية السطحية فقط، بل حتى على مستوى البنية العميقة.

نجد كذلك من أدوات تحقيق التماسك النّصي عند الجرجاني:

---

1)- عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص 152.

2)- انظر: أحمد الهاشمي: المرجع السابق، ص 180.

3)- الشعراء: 132-133.

8- **الحذف**: إذ يشكل آلية مهمة لانسجام جمل النّص، يقول فيه الجرجاني "باب دقيق المسلك لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فإنّك ترى فيه ترك الذكر أفصح من الذكر والصمت عن الإفادة أزيد في الإفادة". [1] ويكون الحذف من أدوات تحقيق التماسك لكونه يجنب تكرار الكلمات بطريقة تفقد النص توازنه، ومن حيث إشراك السامع في تشكيل النّص، ببحثه عن الحفذوف من خلال السيّاق. ففيه نوع من الإستراتيجية التضامنية التي يأخذ فيها المتكلم بيد المتلقي ليشركه في نسج معاني النص من خلال تقدير المحذوف "إن الحذف علاقة داخل النّص، ...وفي هذا يعني أن الحذف عادة علاقة قبلية والحذف كعلاقة اتساق لا يختلف عن الاستبدال إلاّ بكون الأوّل "استبدالا بالصفر" أي أن علاقة الاستبدال تترك أثرا، وأثرها هو وجود أحد عناصر الاستبدال، بينما علاقة الحذف لا تخلّف أثرًا، ولا يحل المحذوف أي شيء". [2]

ويراعي الحذف عدّة قرائن معنوية ومقالية ولذلك يدخل فيه السيّاق والمقام وتكون الجمل المحذوفة مساهمة في ربط أجزاء النّص بما فيها من محتوى دلالي، وفي هذا يقول "دوبوغراند": "إنّه استبعاد العبارات السطحية لمحتواها المفهومي أن يقوم في الذهن أو أن يوسع أو يُودّعَ بواسطة العبارات السطحية". [3]

فالمعنى في الجملة لا يتم عبر الجملة السطحية فقط، بل وعبر البنية العميقة، بعد استرجاع المحذوف منها من طرف السامع، فيشترك المتكلم والسامع في تحقيق معنى النص المنسجم، والمتسق بمراعاة المقام التواصلي الذي يرد فيه، والحذف أنواع: فقد يكون حذف كلمة مثل حذف المبتدأ، كما في قول القائل:

"قالت سُميّة قد غويت بأن رأت حقا تناوب مالنا ووفودًا

غيّ لَعمرك لا أزال أعوده مادام مال عندنا موجودًا

---

1)- عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص 112.

2)- محمد خطابي:لسانيات النّص، مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط2،2006،ص 21.

3)- روبرت دي بوغراند: النص والخطاب والإجراء، ترجمة:تمام حسّان، القاهرة، عالم الكتب، ط1، 1998، ص 301.

والمعنى [داك غيّ لا أزال أعود إليه فدعي عنك لومي]". [1]

وقد يحذف المفعول به، وقد يتعدّى الحذف إلى جملة،فتحذف بأكملها والحذف في لسانيات النص يشكل أحد قواعد التماسك النّحوي، وقد أشار "فانديك" وركّز عليه في كتابه "النّص والسياق"وهو عند "هاليداي" و"رقية حسن" [الحذف]، استبدال من الصفر، باعتباره لا أثر له إلاّ الدلالة ولا يحيل أي شيء محلّ المحذوف.[2]

وقد قسماه إلى حذف اسمي وحذف فعلي، وحذف داخل ما يشبه الجملة.

بيد أن دراسة عبد القاهر الجرجاني كانت أسبق بكثير من علماء الغرب مما يؤكد أنّ الدلائل"كتاب في لسانيات النص بامتياز.

نجد كذلك " **التكرار**" ظاهرة مهمة من ظواهر تحقيق التماسك النصي ويسميه القدماء "التكرير"... إنّه من أشكال تحقيق التماسك المعجمي، ويعني إعادة اللفظ سواء حرفيا أم بالضمير أم بالمعنى: وهو أنواع: تكرار محض،تكرار جزئي، تكرار مرادف، شبه تكرار،"ويعدّ التكرار عند الجرجاني من معاني النحو التي تبث في النظم (الكلام) الانسجام والاتساق والتناسق".[3]

إضافة إلى هذا نجد للأسماء الموصولة دورًا كبيرًا في تحقيق الربط، وصولا به للتماسك داخل الجمل ثم النصوص خاصة "الذي" باعتباره يحمل أسرارا خاصة.[4]

كانت هذه بعض الأدوات والآليات التي من خلالها يتحقق التماسك النصي، وعبد القاهر في دراسته لتلك الآليات لم يقف بها عند حد الكلمة فقط بل تجاوز ذلك إلى أدوات الربط مثلا فيما بين الجمل، فلم يكتف في تناوله للعطف بدوره بين الكلمات فقط، بل تنبه أيضا إلى عطف الجملة على جملة أخرى، وما يشكله تلاحمهما من معنى محكم السبك والبناء، وكذلك الأمر مع كثير من أدوات الربط التي بحثها الجرجاني مثلا: الإحالة التي لم يكن

---

1)- عبد القاهر الجرجاني: ص 117.

2)- انظر: محمد خطابي: المرجع السابق، ص 21.

3)- إبراهيم خليل: في اللسانيات ونحو النّص، ص 231.

4)- عبد القاهر الجرجاني: ص 156.

لها بابٌ واضح في الدلائل،لكنها توجد في ثنايا مباحث الكتاب فقد مثل بقوله "جاءني زيد وهو مسرع" فهي من حيث الدلالة واللفظ نظير قولهم: "جاءني زيد وزيد مسرع" وعقب على ذلك مؤكدًا أنّ الضمير هو أغنى عن تكرير زيد"[1]

إن مثال الجرجاني السابق يشبه إلى حدّ بعيد، حسب الباحث إبراهيم خليل مثال "رقية حسن" اغسل وانتزع نوى ست تفاحات، ضعها في طبق مقاوم للنار".

فقد علّقت عليه بأن الضمير يشكل ربطًا يقوم بضم الجملة الثانية بالجملة الأولى، وإذا أردنا وضع كلمة في مكان الضمير فيجب تكرار "تفاحات".[2]

كانت هذه بعض الأدوات التي إذا ما تم مراعاتها تحقق التماسك النصي بأنواعه، نحويًا ومعجميًا ودلاليًا... للوصول إلى نص محكم السبك جيد الصنع والصياغة، وكأني بعبد القاهر الجرجاني يتكلم عن لسانيات نصية عربية متجاوزًا التنظير للتطبيق في الآيات القرآنية والأشعار العربية الفصيحة.

وهذا ما يؤكد لنا أن ما تناوله الجرجاني في كتابه هو حقيقة من دلائل الدراسة النصية بحق، فالتقاطع بين ما وصل إليه هو وما يوجد في الدرس اللساني الغربي الحديث واضح جدًا، ويمكن توضيح أدوات التماسك النصي من خلال المخطط التالي:[3]

أدوات التماسك النصي

1)- إبراهيم خليل: السلسانيات ونحو النص، ص 227.

2)- أنظر: إبراهيم خليل: في اللسانيات ونحو النّص، ص 228.

3)- انظر: لحمادي فطومة: التماسك النصي بين النظرية والتطبيق "سورة الحجر أنموذجا"، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في علوم اللسان العربي، إشراف أ.د محمد خان، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2004/2003، ص 45.

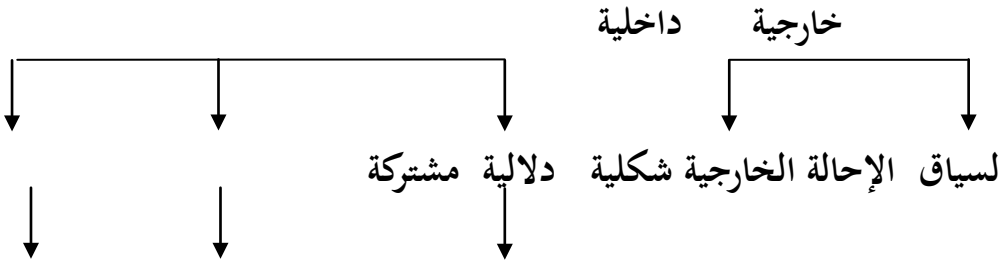

الوصل الإحالة العطف

التكرار الاستبدال الاستبدال

الاستبدال الحذف

الفصل والوصل المقارنة

التقديم والتأخير التكرار بالمعنى

الترادف

العطف

ونلاحظ مما سبق أن نص الجرجاني القائل: "واعلم أنْ ليس النظم إلاّ أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو... على ما ينبغي له". [1] يلخص النظرية الجرجانية، ويصُّب في صميم لسانيات النص الحديثة، ويمكن تلخيص النص السابق في الجدول التالي:

الرقم	البنية اللغوية	دلالتها الابتدائية
01	وضع الكلام بما يقتضيه علم النحو وقوانينه	صحة البنية التركيبية، ومنه البنى (لمستويات أخرى)، قبلها وبعدها فالمستوى النحوي، مستوى وسيط بعد المستوى الصوتي والصرفي والدلالي

1)- انظر عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص 64.

02	حفظ الرسوم التي رسمت لك	الجاري على أساليب العرب
03	النظر في وجوه كل باب وفروقه، وضرب مثالاً للوجوه بالخبر والشرط والجزاء	طرق استخدام البنيات النحوية المختلفة في الباب الواحد، والفرق بين استخدام وآخر مما يشكل فروقا إستعمالية في الكلام أيضا (الفرادة)
04	أن يعرف لكل ذلك موضوعه، ويجيء به حيث ينبغي له	الدراسة بالسياق بمعناه الواسع،والمقام بالخصوص
05	ينظر في الحروف التي تشترك في معنى واحد، ثم ينفرد كل واحد منها لخصوصية في ذلك المعنى	الوجوه والفروق والمواضع، كما يرتبط هذا بعلم الدلالة
06	وينظر الجمل (نلاحظ أنه لم يقل جملة واحدة)، ويعرف موضع الوصل من الفصل	انتقال من الجملة إلى النّص كَلُحمة واحدة
07	يتصرف في التعريف والتنكير والتقديم والتأخير وفي الحذف والتكرار، والإضمار والإظهار	نلحظ أن الحذف يحمل في جنباته معنى الاستبدال والإضمار، يتطلب العلم بالفروق بين الحذف والإضمار والذكر والإظهار، وهي مباحث لسانيات النص على مستوى الشكل (السبك)
08	يستعمله على الصحة وعلى ما ينبغي له	أي ضرورة العلم بالقواعد والأحكام والإتيان بها في أماكنها الصحيحة (المواضع)، وبمعنى آخر، مراعاة السيّاق الداخلي (اللغوي) والخارجي. (المقامي)

وهكذا تقف نظرية النظم جنبا إلى جنب مع أحدث النظريات اللغوية في الغرب بل وتفوقها في مجال التراكيب اللغوية "وكأن هذه الدراسات الحديثة بُنيت أساسا على نظرية النظم، لأن هذا التقاطع والتشابه الكبير بين نظرية النظم [السابقة]، واللسانيات النصية [اللاحقة]، لا يمكن أن يكون من محض الصدفة، إذ تعتبر تطويرا لنظرية النظم العربية، كما وضعها واحتج لها العالم اللغوي العربي الشهير، عبد القاهر الجرجاني.

سبق أنّ بيّنا أنّ نظرية النظم تشكل بحثا عميقا في نحو النّص، سبق فيه عبد القاهر الجرجاني بفكره الثاقب، وبصره الناقد، علماء هذا الاتجاه بقرون، لذلك سنعرض له بصورة مختصرة هنا:

فإذا كان علماء "اللسانيات النصية" يرون أنّ النّص "نسيج من الكلمات يترابط بعضها ببعض كالخيوط التي تجمع عناصر الشيء المتباعد في كيان كلي متماسك ... ولا عبرة بطوله أو قصره، وهو ترابط مستمر يوافق فيه محور الاستبدال محور المجاورة، بحيث يتجلى فيه الترابط النحوي على أشده".[1]

فإن الجرجاني ألحّ على هذا قبلهم بكثير في نظرية النظم الذي شبهه بالنسيج. فالنظم "كالبناء والنسج يتمّ في معاقد النّسب والشبكة، فمعاقد النّسب تبرم الخيوط التي تذهب طولا، ومعاقد الشبكة تبرم الخيوط التي تذهب عرضًا، فإذا نُسجت خيوط الطول في خيوط العرض حصل النظم".[2]

ويقول الجرجاني في الدلائل "هذا كلام وحيز يطلع به الناظر على أصول النحو جملة، وكل ما به يكون النظم دفعة، وينظر منه في مرآة تريه الأشياء المتباعدة الأمكنة قد التقت له، حتّى رآها في مكان واحد".[3]

وتحقق التماسك النّصي كما قال به كل من "هاليداي، ورقية حسن"، حيث إنّ أهم ما يحدّدان به النص، هو علاقات الترابط التي تشكل بنية فيما بينها بواسطة التعليق، كما قال به الجرجاني.

ثم إنّ الجرجاني قد عقد بابًا للحديث عن الفصل والوصل الذي يعد خير مدخل قدّمه للسانيات النّص وسبق به علماء اللسانيات النصية الغربية، حيث تجاوز به حدود الجملة ليمتدّ إلى علاقة الجمل بالجمل التي تأتي قبلها وبعدها، وهو ما صار فيما بعد موضوعًا للسانيات النّص، والجرجاني بهذا كان قد وصل إلى ما جاء به في القرن العشرين "زليغ هاريس" Z. Harris في دعوته لضرورة تجاوز مشكلتين وقعت فيهما الدراسات اللغوية

---

1)- إبراهيم خليل: في اللسانيات ونحو النّص، ص 217-218.

2)- محمد الصغير بناني: المرجع المذكور سابقا، ص 25.

3)- عبد القاهر الجرجاني: الدلائل، ص 26.

والاعتماد على ركيزتين؛ العلاقات التوزيعية بين الجمل، والربط بين اللغة والموقف الاجتماعي.[1]

كما أنّ للجرجاني أفكارًا طيّبة في هذا المجال حينما شبّه النّظم بالصياغة قائلا: "إنّما سبيل هذه المعاني سبيل الأصباغ التي تعمل منها الصور والنقوش" [2] فشبه نظم المعاني والعلاقة فيما بين الألفاظ بالصياغة للمادة الخام، كالخاتم مثلا، ليدل على انصهار وتكاثف المعاني والألفاظ داخل النّص، وفي هذا المعنى يقول "روبرت دوبوغراند" في كتابه "النص والخطاب والإجراء"، "وعندما كل قطعة من النّص (مهما كان طولها وطبيعتها) ثم تضاف إلى المادة التي سبقت صياغتها يتم بالتدريج تشكيل مساحة نموذجية داخل نموذج عالم النص".[3]

ومن أهم الوسائل التي تحقق نصيّة النص: وسائل الترابط المختلفة، حروف العطف والتقديم والتأخير والذكر والحذف واتحاد المرجع والتكرار والإحالة بأنواعها، وكنا قد تطرّقنا لبعض هذه الآليات الأساسية في تحليل نصوص نظرية النظم، فنظرة الجرجاني: إذن تتقاطع مع أفكار "دوبوغراند" في نظرته للكفاءة النّصية من حيث ضرورة تقديم اللغة بنسج بدائل متعددة لسبك عبارات سطحية، دون إهمال ترابط المعلومات الكافية تحتها رغم حجمها الكبير، وهو ما يمثل الاستخدام الأمثل لوسائل السبك: إعادة اللفظ، التعريف، الإحالة بواسطة الكنايات، الإحالة لغير مذكور، الحذف والربط[4]

كل هذه الآليات كان الجرجاني قد تطرّق لها في مباحث عديدة من نظرية النظم، كالفروق في وجوه الخبر وفي الحال، والشرط والجزاء، وخاصة الفصل والوصل بين الجمل والنّصوص.

---

1)- انظر: جميل عبد المجيد: بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، مصر، الهيئة المصرية العامة، 1998، ص 66.

2)- عبد القاهر الجرجاني: ص 70.

3)- روبرت دوبوغراند: النص والخطاب والإجراء، ترجمة تمام حسان، القاهرة، عالم الكتب، ط1، 1998، ص 288.

4)- أنظر: المرجع نفسه، ص 294.

كما أدرك الجرجاني بوعيه الحصيف أنّ الوصول إلى الانسجام يُحتم تضافر النحو والبلاغة، وعملهما متكاملين فيما بينهما، ذلك أنّ النحو بدون بلاغة قوالب شكلية فارغة، والبلاغة بدون نحو مجرّد صور مفككة، ولذلك يجب توخي معاني النحو فيما بين الكلم، وتأكيد ارتباطها فيما بينها وفق معاني النفس، لتصل لتركيب النّص، ونظرًا لما يساهم به السيّاق في تحقيق التماسك النصي وأداء المعنى فإنّ إمام البلاغة "عبد القاهر" لم يفته التأكيد على دوره في أداء المعنى منسجما، واضحا جليا في إطار ما يسمى بالتعليق "فلا نظم في الكلم ولا ترتيب، حتى يعلّق بعضها ببعض، ويبنى بعضها على بعض وتجعل هذه بسبب من تلك".[1]

النظم عند عبد القاهر الجرجاني لا بد له من أمرين اثنين: المعنى الذي نريد التعبير عنه، فلا بد أن يختلف اللفظ، وهذا جوهر ما تعنى به نظرية السيّاق، ومنه فبحث الجرجاني في النظم هو في حدّ ذاته بحث في السياق، وفي اتساق وانسجام النّص، يقول الجرجاني: "وهل يقع في وهم –وإن جهد– أن تتفاضل الكلمتان المفردتان من غير أن ينظر إلى مكان تقعان فيه من التأليف والنظم، أكثر من أن تكون هذه مألوفة مستعملة،وتلك غريبة وحشية... وهل تجد أحدًا يقول هذه اللفظة فصيحة إلاّ وهو يعتبر مكانها من النظم وحسن ملاءمة معناها لمعاني جاراتها وفضل مؤانستها لأخواتها".[2]

يبدو واضحا في هذا المقطع وعي الجرجاني بالنظام، وإدراكه أن قيمة اللفظة تكمن في حسن ملاءمتها لمعاني جاراتها داخل التركيب، لا وهي منعزلة عنه ذلك أنّها تكتسب الفضل والمزية من خلال العلاقات التي تقيمها مع غيرها من الألفاظ.

---

1)- عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص 44.

2)- عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص 36.

-خلاصة:

وعلى العموم فإنّ نظرة عبد القاهر الجرجاني في "الدلائل" كانت نظرة نصيّة كاملة تعالج كل ما يساهم في بناء نسيج النص بإحكام، مما جعلها تتقاطع مع نظرة "فانديك" إلى النسيج المتشابك للنص من المنظور النحوي، فاعترض "فانديك" على آليات النحو القديم الكلاسيكي الذي يعجز عن تلبية دراسة النصوص، ودعا إلى الاهتمام والوقوف في تحليل النصوص على آليات الإضافة والحذف والذكر والاستبدال، ليخرج من دراسته "لنحو الجملة" إلى نحو يفوقها هو "نحو النص": وهي النظرة التي وجدناها عند الجرجاني نظريا وتطبيقيا.

المنظومة المفهومية لمصطلحات تحليل الخطاب في دلائل الإعجاز

سبق أن تناولنا المصطلحات الخاصة بمفاهيم لسانيات النّص في دلائل الإعجاز وسنتناول في هذا الفصل، المصطلحات الخاصّة بتحليل الخطاب، لتكتمل الرؤية نظرا للصلة الوثقى بين لسانيات النّص وتحليل الخطاب،ونظرا لأنّ الدلائل مدونة لغوية،لها خصوصيتها وأصالتها، التي تتأسس من الناحية المعرفية على كثير من المفاهيم التي راينا بعضها في الفصل السابق، ونحاول تخصيص هذا الفصل لمفاهيم تحليل الخطاب، كما نستشفها من الدلائل، ويقتضي منا ذلك محاولة تحديد مفهوم تحليل الخطاب،فهو كما ورد في معجم تحليل الخطاب، لباتريك شارودو ودومينيك منغونو بأنّه: "فن حديث العهد نسبيا، جاء هذا المصطلح بفضل زيليغ هاريس Z. Harris سنة 1952، ويعني به توسيع الطرق التوزيعية التقليدية لتشمل ما فوق الجملة(*)، ويطلق تحليل الخطاب بصفة عامّة على العلاقة التي بين النّص والمقام، وهومتعلق بالسيّاق.[1]

أمّا معجم Dictionnaire de linguistique et des sciences du langage، فلا يختلف تعريفه لتحليل الخطاب كثيرا، عمّا جاء به "باتريك شارودو، ودومينيك مانغونو"، وجاء تعريفه كما يلي: نسمي تحليل الخطاب، قسمًا من اللسانيات الذي يحدد القواعد التي تحكم إنتاج متواليات من الجمل المهيكلة.

"تحليل الخطاب أو تحليل الملفوظ" يعود أصله عندما ميّز دوسوسير بين اللغة والكلام، رغم أنّه يعتبر الكلام راجعًا إلى الصدفة والقرار الشخصي، ولا يرجعه إلى دراسة دقيقة... لا تتوقف اللسانيات على دراسة الجملة فقط، بل تتعدى إلى دراسة المتتاليات من الجمل".[2]

---

*)- يطلق بعض الباحثين مثل هاريس، مصطلح تحليل الخطاب على ما يسمى أيضا بلسانيات النص.

1)- انظر: باتريك شارودو، دومينيك مانغونو، معجم تحليل الخطاب، ترجمة عبد القادر المهيري، وحمادي صمود، دار سيفاترا، المركز الوطني للترجمة، تونس، 2008، (دط)، ص 43-44.

2)- Jean Dubois, Dictionnaire de linguistique et des sciences du langage la première édition, 1994,Larousse. P 34 .

" On appelle analyse de discours la partie de la linguistique qui détermine les règles commandant la production des suites des phrase structurées.

L'analyse de discours, ou analyse d'énoncé, trouve son origine dans la distinction faite par F. de Saussure, entre la langue et la parole, bien que le linguiste genevois ait pensé que cette dernière, soumise au hasard et à la décision individuelle, ne relevait pas d'une étude rigoureuse … la linguistique essaie de rendre compte non seulement de la phrases, mais aussi des suites de phrases.

أما معجم مفاهيم التعليمية بين التراث والدراسات اللسانية الحديثة، فقد أورد مفهوم تحليل الخطاب على النحو التالي: "يعد تحليل الخطاب، تخصصا علميا ثريا خصبا اكتسب صدارته المعرفية وسيادته العلمية لكونه يوفّر للباحث مداخل منهجية مختلفة لتحليل النصوص والخطابات بالنظر إلى المدارس اللسانية والنقدية المختلفة، وخلفياتها النظرية ومرجعياتها الفكرية، فتحليل الخطاب هو تحليل اللغة في الاستعمال، أي ما يعادل الكلام بالمفهوم السوسيري. كما أنّه يتداخل عند البعض مع مفهوم النّص، على اعتبار أن النّص ما هو إلاّ كلام مكتوب، بالإضافة إلى أنّ هناك من لا يفرق بين الخطاب والنّص، وهكذا يتحوّل تحليل الخطاب إلى امتداد لنحو الجملة، أي البحث في قواعد وضوابط بناء المتتاليات من الجمل،كما نرى ذلك عند هاريس.[1]

ومنه نستخلص أن تحليل الخطاب، بدأ في الستينات، بافتتاحية العدد الثالث عشر [13] من مجلة اللغة " Langage" المعنونة بتحليل الخطاب،مع ترجمة مقالة اللساني الأمريكي زيليغ هاريس "Z. Haris" المعنونة بـ تحليل الخطاب Discoure analyses" التي أصدرها سنة 1952، وركز فيها على وصف مواقع الألفاظ في الخطاب بغية معرفة تكافؤ مواقعها من حيث الشكل، دون اللجوء إلى المعنى، ولهذا حاول هاريس تجاوز مستوى الجملة في التحليل إلى وحدة لغوية أكبر منها، سماها الخطاب، ويعد ذلك فتحا جديدا بالنسبة للدراسات الغربية.[2]

ويتأسس تحليل الخطاب في دراسته على عناصر أساسية هي:

1 - المخاطب [المتكلم]: Destinateur, locuteur: وهو الذي يرسل الكلام ويحدث الخطاب.

2 - المخاطَب [السامع]: Destinataire, interlocuteur: وهو الذي يستمع ويتلقى الخطاب.

---

1)- انظر: بشير إبرير وآخرين: مفاهيم التعليمية، مخبر اللسانيات واللغة العربية، ط1، 2009، ص 59-60.

2)- انظر: بشير إبرير دراسات في تحليل الخطاب غير الأدبي، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن 2010، ط1، ص 77.

3 - مقام الخطاب Situation du discours:وهي مجموعة من العوامل التي تحيط بالكلام، وتساهم في إيضاحه وتساعد على فهمه وتفسيره.

4 - الخطاب Discours: هو الحدث اللغوي الذي يرسله المخاطب [المتكلم] نحو السامع.

5 - قناة الخطاب canal du discours: وهي الوسيلة المستعملة في العملية التواصلية.

6 - وضع الخطاب Code: هو تواضع بين المتكلم والسامع، لا يعرفه غيرهما.

7 - التناص Intertextualité: مدى إفادة صاحب النص من نصوص أخرى.

8 - القصد Intentionnalité : غاية النص وهدفه

هذه أهم الركائز التي يقوم عليها تحليل الخطاب في دراسته، فهل يوجد في دلائل الإعجاز للجرجاني، مفاهيم يمكن أن تتشابه مع المفاهيم التي جاء بها تحليل الخطاب؟ هذا ما سنحاول الإجابة عنه في هذا الفصل.

لقد تجلى لنا بوضوح، زئبقية النظم عند الجرجاني، وتشكله بحسب القوالب الحديثة التي صبَبناه فيها صبّا، ومازال كرم عبد القاهر الجرجاني يزيد، بأن اتسع صدر النظم، ليضّم علوم اللغة جميعها، ومنها تحليل الخطاب، فمن يقرأ كتاب دلائل الإعجاز في علم المعاني، لعبد القاهر الجرجاني، يجده مؤسسا على مجموعة من العناصرالتي تكون ردفا لها من مثل: الخبر، والمخبر، والمخبر عنه، ومقام التحدث، وكذلك المتكلم والسامع والغرض والقصد...الخ.

وأهم ما ركّز عليه عبد القاهر الجرجاني في دلائل الإعجاز هو انطلاق الحديث من المتكلم نحو السامع، ويبرز ذلك في كثير من نصوصه، اخترنا منها جملة من الأقوال التي رأيناها مفاتيح الدلائل، يمكن أن نستدل بها عن نظرية في تحليل الخطاب، عند عبد القاهر الجرجاني، وبالرغم من أنّه يصعب الفصل الصارم بين هذه العناصر، لأنّها متداخلة، والكلام عن أحدها يؤدي بالضرورة إلى الكلام عن الآخر، فإنه يمكنه تناولها محاولة منا لإيضاحها.

يقول عبد القاهر الجرجاني في دلائل الإعجاز: "...مما يعبر عن فضل بعض القائلين على بعض، من حيث نطقوا وتكلموا، وأخبروا السامعين عن الأغراض والمقاصد"[1]

إنّ المتأمل لهذا النّص، يخرج بثلاثة مصطلحات أساسية: القائل أو المتكلم والسامع والأغراض أو المقاصد، فتتناول أولاً المتكلم، ثم السامع، ثم القصد.

1- المتكلم **Locuteur**:

يعدُّ عنصرًا اساسيا في دلائل الإعجاز، ويبرز ذلك في كثير من أقوال عبد القاهر الجرجاني،فمن يقرأ الكتاب يجد عبد القاهر يجعل المتكلم شغله الشاغل، ومحل عنايته، فهو يوجه كلامه دائما نحو مخاطب أو سامع، فيفيده فائدة ما، أو يعلمه أو يخبره خبرًا ما، ذلك ما تدل عليه كلمة "اعلم" التي غالبا ما يستهل بهاعبد القاهر فقرات كتابه، "دلائل الإعجاز" فهي أسلوب معمول به في زمانه، وهي من ناحية أخرى تدل على ثقة الرجل بنفسه وفي مدى إفادة السامع منها، فكأنّه عندما يستعمل واعلم إنّما ليفيد السامع أخبارًا ومعلومات جديدة عليه، تختلف عمّا ألفه هذا السامع في الدراسات السائدة، ففي "اعلم" تنبيه للسامع، وإذا شئنا قلنا بلغة المحدثين، إنّها وظيفة انتباهية.

ونجد عبد القاهر يولي اهتمامًا بالغًا بالمتكلم، ذلك أنّ القرآن الكريم [موضوع الإعجاز] اعجاز للمتكلم لا للمتلقي، فهو يخاطبه دائما على مدار صفحات كتابه وكثيرا ما يوجّه الكلام إليه، باعتباره أحد أهم طرفي معادلة الخطاب التي تقوم بين متكلم [مبدع] وسامع [متلق]، ويلعب الأول دور المنتج، بينما الثاني دور المستهلك. [2] فيقول مرّة عبد

---

1)- عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص 35

2)- انظر: محمد عبد المطلب: قضايا الحداثة عند عبد القاهر، ص 194.

القاهر "واعلم أن ليس النظم، إلا أن تضع كلامك الوضع التي يقتضيه علم النحو..." [1] وتارة يقول "وتكون معرفتك معرفة الصانع الحاذق...".[2]

وهنا تظهر أهمية المتكلم الذي يمثل المحرّك الأساس في عملية الخطاب، لأنّه هو الذي يعمل على تزويد الخطاب بالمادّة اللازمة حسب الموضوع، فيرتب المعاني في نفسه أولا، ثم يرسلها إلى السامع بواسطة الألفاظ المنطوقة (أو الإشارة) المرتبة. حسب ترتيب المعاني في النفس، لذلك دعا عبد القاهر الجرجاني المتكلم أن يرتب عناصر خطابه في نفسه أولا، ثم في النطق، لأنّ المعاني تترتب في عقل المتكلم قبل أن يعبر عنها بالعلامات الصوتية والألفاظ، وما الألفاظ إلاّ أوعية للمعاني. وتشير العبارات الكثيرة التي أوردها عبد القاهر مخاطبا المتكلم، إلى أنّه قام بنظريته [النظم] على دراسة دور المتكلم لا المتلقي، [3] دون إغفال لدور المتلقي.

"وإذا كانت الفصاحة عبارة عن مزية هي من المتكلم قطعا، وجب أن نعلم أن إضافة الفصاحة إلى المتكلم تحوله من المستوى الإيصالي المجرد، إلى المستوى الإبداعي، لأنّها تصرف حركته عن المستوى السطحي المتعلق بالألفاظ المنطوقة أو المسموعة إلى المستوى الدلالي المتعلق بالتراكيب. [4] ومن هنا يصبح المتكلم ليس مجرد متكلم ينقل أخبارًا فقط،وإنّما يصبح مبدعًا للكلام، بحسب ما تتيحه له اللغة من اختيارات من خلال الوجوه والفروق والمواضع، ومن هنا يمكن الحديث عن تفاضل بين مبدع وآخر، حسب قدرة كل مبدع على الاختيار من ممكنات اللغة، وحسب قدرته على النظم والتأليف. ومن هنا يفضل النظمُ النظمَ والتأليفُ التأليفَ على رأي عبد القاهر الجرجاني [5] فإمكانات النحو متاحة أمام كل من يرغب في التعامل بها، لكن؛ انتقالها إلى المستوى

---

1)- عبد القاهر الجرجاني: ص 64.

2)- عبد القاهر الجرجاني: ص 31.

3)- مصطفى حميدة: نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية، ص 59.

4)- محمد عبد المطلب: قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني، ص 212.

5)- عبد القاهر الجرجاني: ص 29.

الأدبي الإبداعي، يأتي عن طريق ارتباطها بالحركة النفسية عند المتكلم، بمعنى أن المتكلم يرتب المعاني أولاً في الداخل [في نفسه]، ثم ينعكس ذلك الترتيب خارجيا من خلال الصياغة والتأليف وهي صياغة دلالية، لأنّ افتراض خلو اللفظ من المعنى محال، ومن ثم يكون النظم عملية دلالية بالدرجة الأولى.[1]

حصر عبد القاهر عملية الإبداع في التأليف، لأن المتكلم له مجموعة من المقاصد والأغراض الواعية التي يريد إيصالها إلى سامع أو متلقٍ، فيكشف له عمّا في نفسه، وهذا كلّه مرتبط بعملية التأليف، من حيث الحسن وعدمه والوضوح والغموض، ورصد كل ذلك لا يتم إلاّ برصد ضغوطها على المتلقي في أحواله الشعورية المختلفة،وما ينتج عن ذلك من ردود فعل متباينة.[2]

كما أن نصوص عبد القاهر ترّد القدرة على النظم إلى كفاءة المبدع [العقلية] في المفاضلة بين الممكنات المختلفة للغة في معاني النحو، ثم على معرفة المتلقي كذلك، تلك الفروق بينها، ليقدّر صنيع المبدع أي؛ أنّ كلاً من المبدع والمتلقي يتعامل مع اللغة وتراكيبها كما يتعامل الرسّام مع الأصباغ.[3]

فـ[الفروق والوجوه كثيرة، ليس لها غاية تقف عندها، ونهاية لا تجد لها إزديادًا بعدها... ثم اعلم أن ليست المزية بواجبه لها في أنفسها،ومن حيث هي على الإطلاق، ولكن تعرض بسبب المعاني والأغراض التي يوضح لها الكلام... وإنّماسبيل هذه المعاني سبيل الأصباغ التي تعمل فيها الصور والنقوش".[4]

ومن يتابع عرض عبد القاهر لنظريته، يجده حريصا من أول الكتاب إلى آخره على دراسة دور المتكلم في بناء الجملة، لا دور المتلقي في فهمها، فهو يتناول "النظم من

---

1)- محمد عبد المطلب، مرجع سابق، ص 212.

2)- المرجع نفسه، ص 214.

3)- ماجد بن محمد الماجد: المتلقي عند عبد القاهر الجرجاني، جامعة الملك سعود، كتاب إلكتروني.

4)- عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص 69.

حيث هو صادر عن المتكلم وهو يقولها صراحة في نصه التالي. [1] "وشبيه لهذا التوهم منهم، أنك قد ترى أحدهم يعتبر حال السامع، فإذا رأى المعاني لا تترتب في نفسه إلاّ بترتب الألفاظ في سمعه، ظنّ عند ذلك أنّ المعاني تبع للألفاظ، وأنّ الترتيب فيها مكتسب من الألفاظ ومن ترتبها في نطق المتكلم وهذا ظنّ فاسد ممن يظنّه، فإن الاعتبار ينبغي أن يكون بحال الواضع للكلام والمؤلف له، والواجب أن يُنظر إلى حال المعاني معه، لا مع السامع".[2]

ونلاحظ هنا أنّ عبد القاهر يقترح إسقاط المتلقي، أي السامع مؤقتا لأن وجوده في هذه المرحلة يوهم أنّ النظم عملية لفظية خالصة، وأنّ الترتب فيها مكتسب من الألفاظ لا من المعاني، وتكون نتيجة هذا الإدراك الخاطيء أن نفصل الصياغة عن مبدعها، ونعتبر حال السامع، فنقيم فهمنا لها على إدراكه لها، والواجب اعتبار حال المبدع لا السامع.[3] هذه الفكرة تشير إلى أنّ عبد القاهر اتخذ من الفكرة العامة لعملية الاتصال اللغوي منطلقًا للوصول إلى نظريته، وذلك قبل أن يتفطن إليها درس فلسفة اللغة عند الغربيين على يد "جون لوك John Lock" في أواخر القرن السابع عشر الميلادي، أي بعد وفاة عبد القاهر[1078م] بمئات السنين. والمعلوم في تلك العملية أنّ المتكلم يبدأ من المعنى لينتهي إلى المبنى حتى يَصِحَّ أن يقال إنّ عملية التعليق تنشأ في الجهاز المركزي لدى المتكلم من خلال تفاعل دلالات الألفاظ مع معاني النحو، فهو الكفيل بعملتي الارتباط والربط بين معاني الألفاظ وفق معاني النحو والكفاءة اللغوية الإنتاجية Productive Compétence لدى المتكلم.[4]

فالمبدع عند عبد القاهر يتجلى وجوده في عملية التعليق أو النظم، أما تجليه في عملية الاختيار فهو محدود ببعض المواصفات التي رصدها البلاغيون، وخاصة ما

---

1)- مصطفى حميدة: نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية، ص57-58.

2)- عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص 319-320.

3)- انظر: محمد عبد المطلب: قضايا الحداثة عند عبد القاهر، ص 212-213.

4)- مصطفى حميدة: نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية، ص 56.

يتصل بالمستوى الصوتي. [1] وإعطاء عملية الاختيارهذه أهميتها من حيث اتّصالها بالمفردات التي يتم الوقوع عليها من خلال حقولها الدلالية، يتم غرسها في السياق بعد ملاحظة توافقها منه.[2]

فإذا ما تمّ مراعاة النظم والاختيار والتأليف تتحقق فصاحة المتكلم، ويمكن تلخيص ذلك في المعادلة التالية:

الاختيار الحسن [من المتكلم] + التأليف الحسن [من المتكلم] = النظم الجيد، ويستلزم ذلك فصاحة المتكلم.

وأخيرا: يمكن أن نستنتج بوضوح عناصر الخطاب من دلائل الإعجاز، باعتبارها نشاطا تواصليا، ووسيلة لنقل المعلومات وتبادلها، تسهل على أفراد المجتمع الإنساني، التفاهم وتبادل الآراء والأخبار،ويكون هذا التخاطب باللغة سواء أكانت منطوقة أم مكتوبة، ولا يقف الأمر عند اللغة، بل يتعدى ذلك إلى حركات اليدين، وتعابير الوجه والرمز والإشارة، يؤكد ذلك الجرجاني في قوله: [وإنّما دعونا إلى اللفظ الجزل، والقول الفصل، والمنطق الحسن، والكلام البيّن وإلى حسن التمثيل والاستعارة، وإلى التلويح والإشارة...][3] نجد في هذا النّص تدرجًا بدأ باللفظ الجزل،مرورًا بالقول الفصل والمنطق الحسن والكلام البيّن،وحسن التمثيل والاستعارة، وصولا إلى التلويح والإشارة، فكل هذه اللطائف المتدرجة واحدة بعد أخرى، إنّما هي شروط تحقق الخطاب، إنْ جاز هذا التعبير فترفعه من معنى إلى آخر، ومن درجة دنيا إلى درجة أعلى إلى أن يصل إلى درجة الشرف ويكون ذلك باللغة المنطوقة وبغيرها من الإشارات والتلميحات والإيماءات، وكأنّه يحدثنا عن التواصل باللغة والتواصل بغيرها، لأنّ اللغة كثيرا ما تعجز عن إيصال المعنى المراد، فيلجأ المتكلم إلى استعمال الإشارة لتبليغ مراده وبلوغ مرامه، طبقا للقول العربي الشهير: "رُبَّ إشارة أبلغ من عبارة".

---

1)- محمد عبد المطلب: ص 222.

2)- نفسه، ص 214.

3)- الجرجاني عبد القاهر: ص 57.

وخلاصة القول: إنّ المتكلم هو عماد عملية التخاطب، فهو المزوّد بالأخبار وهو المحرك للأحداث،وكل عناصر التخاطب الأخرى ليست إلاّ عوامل مساعدة تعاون المتكلم على أداء دوره في التعبير عن مقاصده وأغراضه المختلفة، فتتحقق بذلك الوظيفة التعبيرية La F. expressive كما هو الشأن عند علماء تحليل الخطاب في عصرنا، سواء عند عبد القاهر الجرجاني أو عند علماء تحليل الخطاب اللاحقين.

2- السامع **Interlocuteur**:

يعدُّ السامع واحدًا من أطراف الخطاب، بدونه لا تحصل الفائدة، فهو الذي يتلقى الخطاب من المتكلم، وهو الذي يتحمل عبء فهمه وتحليله، فمنذ اللحظة التي نظر فيها عبد القاهر إلى مصطلحات مثل البلاغة والفصاحة، وهو ينبه إلى الطبيعة المخصوصة للتلقي، فيراه تعاملا مع المستتر، وترويضا للعصيّ الدفين،وذلك من أسس مفهومه للمتلقي الذي يكشف السّر، ويطلب المخبوء مستدلا بالإشارة والإيماء، إنّه متلقٍ فوق الوضوح أو الشروح [1] يقول عبد القاهر: "ولم أزل منذ خدمت العلم، أنظر فيما قاله العلماء في معنى الفصاحة والبلاغة، وفي بيان المغزى من هذه العبارات،وتفسير المراد بها، فأجد ذلك كالرمز والإيماء والإشارة في خفاء،وبعضه كالتنبيه على مكان الخبيء ليطلب وموضع الدفين ليبحث عنه".[2] إن هذه المصطلحات بلاغية في أصلها وحقيقتها، ويمكن أن تكون مصطلحات سيميائية في عصرنا.

ووفق هذا المفهوم يصبح النص عند عبد القاهر "شفرة" بين المبدع والمتلقي كلّما أوغل الأول في تعميتها، كان الآخر أمكن في فكها وفهمها حين يوظف خصوصية التلقي

---

1)- انظر: ماجد بن محمد الماجد، المتلقي عند عبد القاهر الجرجاني، جامعة الملك سعود، كتاب إلكتروني.

2)- عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص 28-29.

لديه،والمتلقي حين يتعامل مع النص في أوج اكتماله، لا تشغله الألفاظ، ولا تموضعها الجزئي، بل هو ينظر إلى تعالقها، أو كما يقول الجرجاني انتظامها فيما بينها.[1]

وقول عبد القاهر الجرجاني في دلائل الإعجاز "... وتوضع الأشياء مواضعها والنزاع إلى بيان ما يشكل، وحلّ ماينعقد، والكشف عما يخفى، وتلخيص الصفة، حتى يزداد السامع ثقة بالحجة...".[2]

وفي هذا النّص، دليل على أهمية السامع للمتكلم، حيث إنّ المتكلم يبذل ما في وسعه، فيقدم البراهين والحجج، حتى يقنع السامع بكلامه، لأنّ السامع عند الجرجاني صاحب ممارسة فكرية تهيء له قدرًا من التمييز بين الجيد والرديء، فهو ناقد أولاً، ثم قاريء ثانيا.[3] لذلك وضع الجرجاني شروطا لا بد من توفّرها في السامع كما يلي:

أ- أن يكون عالما باللغة،حيث طالب السامع بالإلمام بقضايا اللغة وقواعدها النحوية، حتى يكون معبّراً جيّدا عن معاني الكلام فيقول: "لا يخلو السامع من أن يكون عالما باللغة وبمعاني الالفاظ التي يسمعها..." [4] فالسامع لا يُعقل أن يستوعب مضمون الكلام، إن كان جاهلاً بقواعد اللغة وعلومها،وعليه نصح عبد القاهر السامع باكتساب قواعد اللغة وأساليب العرب في التعبير لأن القواعد اللغوية هي بمثابة علامات يستعملها كل من المتكلم والمتلقي لفهم بعضهما البعض. وهذا ما يمثل عند أصحاب تحليل الخطاب المحدثين "وضع الخطاب" الذي يمثل –كما بيَّنا سابقا- في اللغة، القواعد النحوية، وهذا شرط من شروط الخطاب، فعلى المتكلم والسامع أن يعرفا هذه القواعد معًا، حتى يتمكنا من التواصل.

---

1)- ماجد بن محمد الماجد: المتلقي عند عبد القاهر الجرجاني.

2)- عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص 49.

3)- انظر: محمد عبد المطلب: قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني، ص 240.

4)- الدلائل: ص 180.

ونجد عبد القاهر في تحليله للعلاقات النحوية: مثالا إلى ربطها بالسامع باعتبار وجوده في عملية النظم وجودًا أساسيا ظاهرًا يقول: "... معلوم أنّك أيها المتكلم، لست تقصد أن تعلّم معاني الكلم المفردة التي تكلمه بها فلا تقول: خرج زيد لتعلمه معنى خرج في اللغة، ومعنى زيد كيف، ومحال أن تكلمّه بألفاظ لا يعرف معانيها كما تعرف".[1]

ويجب على السامع إدراك ضروب الكلام وأساليبه المختلفة، فهناك ما يبنى على الحقيقة نحو قولك مثلا: "خرج زيد"، حيث يكون واضحا من ظاهرِه، وضرب آخر يحتم عليه إدراك معناه عن طريق معرفته المسبقة بالصور البيانية، كالمجاز والكناية وغيرها. ذلك أنّ العرب تنقل كلامها من صورة إلى صورة أخرى مراعية أساليبها وسننها في الكلام، فقد تستخدم في المجاز طريقا في نظم الكلام: "ومدار هذا الأمر على الكناية والاستعارة والتمثيل... ألا ترى أنّك إذا قلت: هوكثير، رماد القدر، أو قلت طويل النجاد، أو قلت في المرأة نؤوم الضحى فإنّك في جميع ذلك لا تفيد غرضك الذي تعنى من مجرد اللفظ، ولكن بدل اللفظ على معناه الذي يوجبه ظاهره ثم يعقل السامع من ذلك المعنى على سبيل الاستدلال معنى ثانيا هو غرضك كمعرفتك من كثير رماد القدر، أنّه مضياف، ومن طويل النجاد أنه طويل القامة، ومن نؤوم الضحى في المرأة أنها مترفة مخدومة، لها من يكفيها أمرها".[2]

ومن ثمّ فإنّ بلوغه التفسير الكامل للكلام لن يتأتى إلاّ بمعرفته الضمنية لنظام اللغة وقواعدها ووجوده في تصريف الكلام، فإدراك السامع دلالات الصور البيانية، نحو ذلك فلان كثير الرماد، الذي ينتج عن احتراق الحطب فيشكل الرماد ويطهي الطعام،ومعنى باطني يتطلب من السامع الوصول إليه [هذا المعنى الباطني هو البنية العميقة]، والمتمثل في الدلالة على الكرم، فكثرة الطهي، تدل على حسن الكرم، ولذلك لا يبقى السامع حبيس

---

1)- الدلائل: ص 375.

2)- الدلائل: ص 177.

المعنى الظاهري من أثناء تحليله للخطاب عليه الولوج إلى المعنى الباطني، وإلاّ فإنه يشوّه مضمونه، ولا يصل إلى المراد منه.

ب- استعداده لتلقي الكلام: فقد رأى الجرجاني أنّ حرص السامع على تلقي الكلام أمر ضروري يمكّنه من استيعابه، لذا حث المتكلم أن يوجه خطابه لمن هم أهل له، حتى يعيروه عناية واهتماما، وبالتالي يفهموه جيّدا، فيقول: "أنت لا تستطيع أن تنبه السامع لها وتحدث له علما بها حتى يكون مهيئا لإدراكها وتكون فيه طبيعة قابلة لها، ويكون له ذوق وقريحة يجد لهما في نفسه إحساسا".[1]

ومن ثمّ فإنّ إقباله على تلقيه بإرادة وعزيمة، وتذوقه له، من شأنها أن تساعده على فهمه، وبالتالي تحصل الفائدة العامة التي يهدف إليها الخطاب، قال عبد القاهر الجرجاني: "واعلم أنّه لا يصادف القول في هذا الباب موقعا من السامع ولا يجد لديه قبولا، حتى يكون من أهل الذوق والمعرفة".[2]

ولذلك فإن معرفة السامع بعلوم اللغة وتهيؤه لاستقباله وتلقي الكلام، يعينانه على بلوغ مقاصد ومعاني الكلام ومزاياه.

ج- **إعمال الفكر في تحليل الخطاب**: ينبه عبد القاهر الجرجاني السامع إلى أنّ معرفته بحال المتكلم تساعده على إدراك وفك رموز الخطاب، ذلك أنّ: "الاعتبار ينبغي أن يكون بحال الواضع للكلام والمؤلف له..." [3] حاثا إيّاه على إعمال فكره للوصول إلى معانيه، وهذا لن يأتي له إلاّ بالمشقة، والغوص في مضامينه، يقول: "قد تعمل فيه المشقة الشديدة وقطع إليه الشقة البعيدة، وأنّه لم يصل إلى دره حتى غاص، وأنه لم ينل المطلوب منه حتى كابد منه الامتناع والاعتياص".[4]

---

1)- الدلائل: ص 348.

2)- الدلائل: ص 195.

3)- نفسه: ص 267.

4)- نفسه، ص 145.

فهو يتحمل مشقة بلوغ معنى الامتناع،والاعتياص وكأني به يطلب من السامع أن يعيش نفس التجربة التي عاشها المتكلم، متحملا مغامرته، ومشقته معيدًا صياغة الخطاب في صورة أخرى، أو لنقل أنه بناء الخطاب من حيث الدلالة.

ونجد الجرجاني قد ميّز بين السامع العالم باللغة، ومعاني الألفاظ، والجاهل بها، لذلك فهو يؤكد تفاوت درجات فهم المتلقين حيث يقول: "ألا ترى أنه لا يفهمه حق فهمه إلاّ من له ذهن ونظر، ويرتفع به عن طبقاته العامة، فلا تراه إلاّ في الآداب والحِكم المأثورة عن الفضلاء وذوي العقول الكاملة".[1]

فالخطاب إذن يتلقاه السامع، وهو يقوم بفك ألغاز مختلفة مستوياته الواحدة تلو الآخر، وينتقل فيه من البنى السطحية إلى البنى العميقة،وعندما يفك رموز الكلمات فإنّه لا يعير اهتمامه إلاّ للمعاني اللازمة لفهم الخطاب.

ويتضح لنا جليا مماسبق مدى عنايته —عبد القاهر– بعملية التخاطب، وأركانها في كتابه القيم "دلائل الإعجاز" إذ يستخرج من السامع كل طاقاته في التسامي إلى ميزة الخطاب المعجز، وما يعرض له فيه من تقديم وتأخير،وذكر وحذف ووصل وفصل وقصر. "حيث تنظر بقلبك وتستعين بفكرك،وتعمل رؤيتك وتراجع عقلك، وتستنجد في الجملة بفهمك".[2] وهي التي أطلق عليها الدرس اللساني الحديث اسم "قواعد التماسك النحوي".[3]

إذن؛ فعبد القاهر استطاع أنّ يقدّم لنا تصورًا متكاملا لعملية التخاطب من خلال حديثه عن نظم الكلم، محددًا الشروط الواجب توفرها في كل ركن من أركانها، فمن نصوصه أنيرت لنا الطريق للوصول إلى معرفة دور السامع التي تسند إليه وظيفة فهم الخطاب، عند تلقيه له، ولن يتحقق له ذلك إلاّ بعد ما يعمل بالشروط التي أوردها عبد القاهر ومن سبقه من العلماء، فهو المفسَّر والمؤول للخطاب أو لِنَقُل هو

---

1)- نفسه، ص 225.

2)- الدلائل: ص 26.

3)- انظر: إبراهيم خليل: في اللسانيات ونحو النص، ص 219.

شريك المتكلم في عملية التخاطب وانطلاقا من تحليلنا لبعض نصوص عبد القاهر نخرج بما يلي:[1]

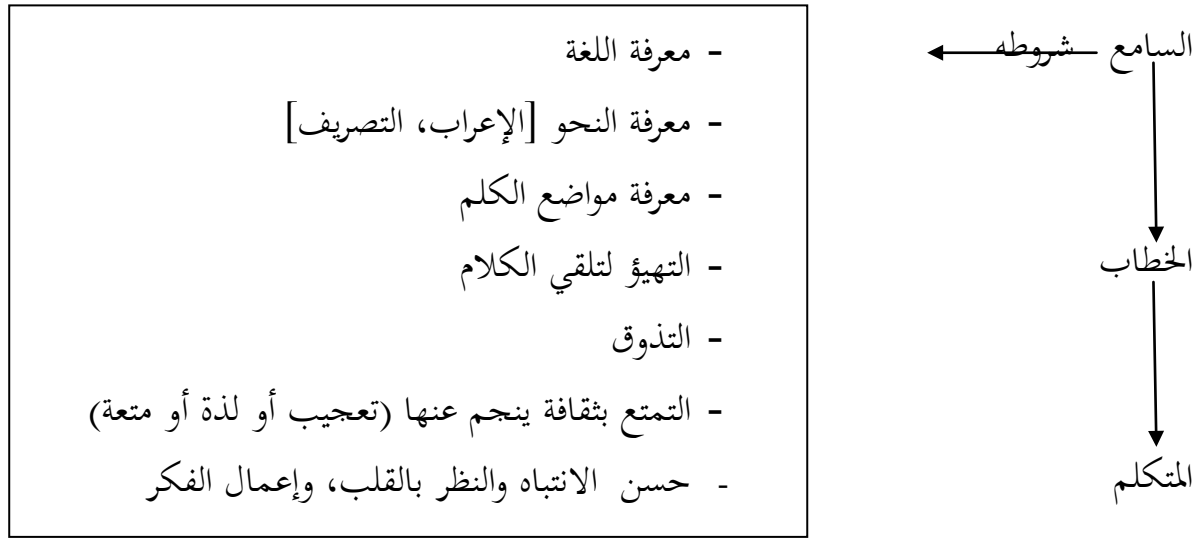

وهي التي أكدها "رولان بارت" الذي اعتبر أن حجم ثقافة السامع التي يتمتع بها هي التي تحدد تلذذه بالخطاب، ومدى تأثيره فيه.[2]

ويظهر هذا في المخطط التالي: [3]

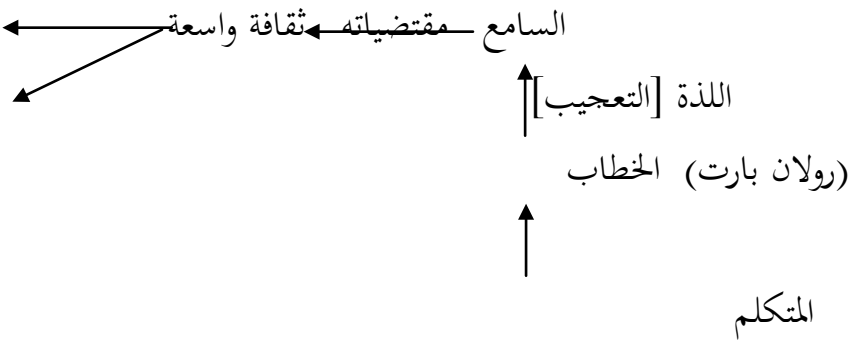

1)- انظر: فاتح زيوان: أسس تحليل الخطاب في التراث العربي من القرن 2هـ إلى القرن 5هـ، في ضوء الدراسات اللسانية، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، ص 286.

2)- رولان بارت: لذة النّص، ترجمة فؤاد الصفاء، الحسن سحبان، دار توبقال للنشر، ط1، الدار البيضاء،1988، ص 53.

3)- انظر: فاتح زيوان، أسس تحليل الخطاب في التراث العربي، ص 286.

وخلاصة القول: إنّ السامع موجود في وعي المتكلم، لذلك يجب على السامع أن يكون عارفا بنظام اللغة،وقواعد الخطاب، لأنّ هذا ما يمكنه من استيعاب الخطاب كاملاً دون نقصان، هذا ما يجعله يُعمل فكره وعقله في تحليل وتفسير مضمون الخطاب وسبر أغواره، والغوص في أعماق أعماقه، ولا يبقى حبيس التفسيرات السطحية، بل إنّه بفضل ثقافته الواسعة واطلاعه على قواعد اللغة والخطاب، يستطيع التغلغل في أعماق البنى العميقة وإذا كانت الوظيفة التعبيرية عند المتكلم تتحقق من خلال التعبير عن أغراضه ومقاصده، فإنّ الوظيفة الإفهامية تتحقق عند السامع في تلقي الخطاب وإدراكه وفهمه وتحليله.

الخطاب: Le discours:

لا يمكن أن تتم عملية تخاطبية، بين متكلم وسامع، دون أن يكون هناك موضوع يتبادلان حوله الحديث، وهذا الموضوع هو الخطاب؛ يرسله المتكلم نحو السامع فيعلمه بخطابه أو بكلامه هذا، بمعلومات كان السامع يجعلها، وهذا السامع يتفاعل مع كلامه، فيقابله بالاستحسان أو عدمه.

ويتفاوت الكلام [الخطاب] المنظوم، بعضه على بعض، حسب مقدرة المتكلم على اختيار ما يتناسب مع السياق، وكان الجرجاني قد اشترط في نظم الكلم المؤلَّف من الألفاظ والمعاني التتابع التعبيري السليم، بحيث تكون متناسقة مترابطة فيما بينها موضوعة في جمل أو في بنى لغوية، إذ انّ اللفظة المفردة في رأيه هي مجرد فكرة أو علامة دالة على شيء، ولكنها لا تحدث معنى مفيدا إلاّ داخل الجملة بضمها مع غيرها من الألفاظ. إذ "ليس النظم سوى تعليق الكلم بعضها ببعض، وجعل بعضها بسبب من بعض]؛[1] فحينما توضع الكلمة في الجملة، تكتسب مع غيرها معنى جديدا، "فينبغي أن ينظر إلى الكلمة قبل دخولها في التأليف، وقبل أن تصير إلى الصورة التي بها يكون

1)- عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص 26.

الكلم إخبارا وأمرًا ونهيا واستخبارًا وتعجبا، وتؤدي في الجملة معنى من المعاني التي لا سبيل إلى إفادتها إلاّ بضم كلمة إلى كلمة،وبناء لفظة على لفظة،... وهل يقع في وهم – وإن جُهِد– أن تتفاضل الكلمتان المفردتان، من غير أن ينظر إلى مكان تقعان فيه، من التأليف والنظم بأكثر من أن تكون هذه مألوفة مستعملة، وتلك غريبة وحشية".[1]

فالنظم برأيه هو الذي يحقق للفظة أو الكلمة المعنى المفيد، الذي تفتقده وهي مفردة، واشترط في نظم الكلم أن تكون متلائمة متناسبة، ففصاحتها تتحدد من خلال مكانها الذي وضعت فيه، حيث يقول: "... وهل تجد أحداً يقول هذه اللفظة فصيحة، إلاّ وهو يعتبر مكانها من النظم، وحسن ملاءمة معناها لمعاني جاراتها وفضل مؤانستها لأخواتها".[2]

هذا يعني أن اللفظة تأخذ معنى من خلال موقعها مع أخواتها، بمعنى داخل البناء اللغوي، وليس خارجه، فاللفظة الوحشية تعرف من التركيب أو البنية، في حين إنّ اللّفظة المستكرهة القلقة، هي اللفظة التي لا تتلاءم مع الألفاظ الأخرى داخل الجملة، فالجرجاني يؤكد في كثير من نصوصه على حسن النظم والتأليف، لأنه الموّصل إلى المعنى، قال عبد القاهر: "إذا كان النظم سويا، والتأليف مستقيما كان وصول المعنى إلى قلبك، تلو وصول اللفظ إلى سمعك، وإذا كان خلاف ما ينبغي، وصل اللفظ إلى السمع وبقيت في المعنى تطلبه وتتعب فيه، وإذا أفرط الأمر في ذلك صار التعقيد الذي قالوا إنّه يستهلك المعنى".[3]

ويمضي عبد القاهر في سرد شروط نظم الكلم، فبالإضافة إلى اشتراطه للنحو معيارًا في تأليفه، وتوجيهه السديد بمعنى النظم، وبيانه أن الألفاظ أوعية للمعاني، ثم ذكّر ناظم الكلم بنصيحة في غاية الأهمية، وهي أنّ ضروب الكلام مختلفة، فهناك "ضرب أنت تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده ... وضرب آخر أنت لا تصل منه إلى غرض

---

1)- نفسه، ص 36.

2)- عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص 36.

3)- نفسه، ص 47.

بدلالة اللفظ وحده، ولكن يدلك اللفظ على معناه الذي يقتضيه موضوعه في اللغة لذلك المعنى دلالة ثانية تصل بها إلى الغرض، ومدار هذا الأمر على الكناية والاستعارة والتمثيل... وإذ قد عرفت هذه الجملة فها هنا عبارة مختصرة وهي أن تقول: المعنى ومعنى المعنى، تعني بالمعنى المفهوم من ظاهر اللفظ، والذي تصل إليه بغير واسطة،وبمعنى المعنى أن تعقل من اللفظ معنى ثم يفضي بك ذلك المعنى إلى معنى آخر كالذي فسرت لك".[1]

في هذا النّص يكشف لنا عبد القاهر عن مستوى آخر من المعنى، يفارق مستوى المعنى الناتج عن تفاعل العلامات اللغوية مع معاني النحو، يطلق عليه اسم "النظم"، إنّ المعنى في "المجاز" يخضع لما يخضع له المعنى في تمييز "المجاز" من قوانين النظم ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿وفَجَّرْنَا الأَرْضَ عُيُونًا﴾" [2] فالتفجير للعيون في المعنى أوقع على الأرض في اللفظ، وقد أفاد أنّ الأرض قد صارت كلّها عيونا، وأنّ الماء قد كان يفور من كل مكان منها، ولو جرى اللفظ على ظاهره فقيل: وفجرّنا عيون الأرض أو العيون في الأرض، لم يفد ذلك،ولم يدل عليه، ولكان المفهوم منه أنّ الماء قد كان فار من عيون متفرقة في الأرض. ويزيد الجرجاني على المعنى المجازي، معنى آخر هو ما يطلق عليه علماء اللغة المعاصرون ومفهومه لـ: "المعنى" و"معنى المعنى" ما يماثل مفهوم العلاقات الاستبدالية.

وإذا كان هؤلاء العلماء لا يفصلون بين المستويين، وينظرون إلى المعنى الدلالي للنص على أنّه محصلة لتفاعل هذين النوعين من العلاقات، فإن عبد القاهر يفصل بينهما أحيانا، ويدرك ترابطهما أحيانا أخرى، وعليه يمكن القول : إنّ معنى المعنى يُفهم من الصياغة/ النظم، ولهذا أعدَّ الجرجاني المعنى الثاني، الصياغة والصورة، لما لها من قدرة على إبراز تفاوت المعاني والدلالات.[3]

---

1)- عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص 202-203.

2)- سورة القمر: الآية 12.

3)- محمود درابسة: التلقي والإبداع، قراءات في النقد العربي القديم، مؤسسة حمادة للدراسات والنشر، والتوزيع،

مما مضى نجد الجرجاني قد اهتم بمعنى المعنى بشكل واضح وجلي، وقد قصد بالمعنى الأول ظاهر الكلام، وهو المعنى المباشر، والمقصود من الكلام، وهو يعني بذلك البعد اللغوي للمعنى، وأما معنى المعنى، فهو المعنى الثاني من الكلام، وهذا الفهم يتجاوز به الجرجاني المفهوم اللغوي المباشر، إلى المعنى الأدبي للكلام وفي توضيح أكثر من ذلك، فهو يقصد المعنى المجازي/ وبالتالي فإنّ حديث الجرجاني عن معنى المعنى مرتبط بالسيّاق أيضا، وهو ما جاء الحديث عنه في إطار نظرية النظم في كتابه دلائل الإعجاز.[1]

أي أنّ عبد القاهر الجرجاني يقرّ بوجود معنين، معنى ظاهري، وآخر باطني، أو معنى سطحي وآخر عميق، ولعل هذا ما يقابل في النحو التوليدي التحويلي "البنية السطحية والبنية العميقة" بمعنى أنّ المعاني الثواني [الثانية] تتناسل وتتوالد عن المعاني الأولى التي تتشكل من المادة اللغوية والتي تفضي فيما بعد إلى إنتاج وخلق المعنى الثاني، فهو المعنى الأدبي الجمالي.[2]

وعلى هذا فإنّ فكرة النظم عند عبد القاهر الجرجاني تتشكل من مستويين:

المستوى الأول ينّص على أنّ اللغة هي مجرد إشارة أو علامة تدل على شيء محدد، بينما ينصّ المستوى الثاني على أنّ اللغة هي مجال للتعبير عن الانفعال والاندهاش أو التأثر ولذلك فإنّ للفظة المفردة عند الجرجاني، معنى المعنى محددًا معبرًا عن شيء محدد فقط، وأنّ هذه اللفظة لا تتجاوز معناها المحدد، إلاّ إذا دخلت في سياق لغوي معين بمنهج هذه اللفظة المفردة دلالتها.

إنّ هذا الطرح لقضية معنى المعنى توصل إليه الجرجاني من خلال السيّاق حيث "أصبح ينظر إلى اللغة من خلال السياق والدلالات والمعاني المتعددة التي هجرها السياق اللغوي،ذلك السيّاق الذي يعتمد على الإيحاء والإشارة في لغة الإبداع الأدبي، إذ أن اللغة تتمحور حول الاستعارة والمجاز والإشارة التي هي منبع الشعرية وأساسها التي أطلق عليها

أربد، الأردن، 2003، ص 105.

1)- نفسه، ص 96.

2)- محمود درابسة: المرجع المذكور سابقا، ص 102.

الجرجاني فيما بعد معنى المعنى، موضحا بذلك الفرق بين اللغة التقديرية وهي المستوى اللغوي المباشر من الكلام، وبين اللغة الانفعالية أو اللغة المجازية، وهي المستوى غير المباشر من الكلام".[1]

إذن فمرحلة المعنى هي المستوى الفني المتكون من الاستعارة والتشبيه، والكناية، وفي هذه المرحلة يكون التفاوت والتعدد في الدلالات الناجمة عن الصياغة، فمن مرحلة المعنى يتكون علم المعاني، ومن مرحلة معنى المعنى يجيء علم البيان. [2] فتتحقق الوظيفة البيانية أو الوظيفة الشعرية بلغة علماء الخطاب المحدثين.

وخلاصة القول إن الخطاب هو حدث لغوي يرسله المخاطِب [المتكلم]، نحو المخاطب [السامع] بواسطة اللغة أو الإشارة، وللخطاب مستويان: المستوى المباشر، وهو المعنى الأول الذي يُفهم من الخطاب، والمستوى العميق أو المستوى الأدبي وهو ما عبّر عنه الجرجاني بـ: معنى المعنى، والذي يختفي وراء المعنى الأول، ويستلزم من السامع أن يكون صاحب ثقافة واسعة ومتمكنًا من اللغة وقواعدها، حتى يستطيع فهمه والكشف عنه.

4- وضع الخطاب/السنن: Le code:

باعتبار أنّ اللغة أقوى الروابط بين أفراد المجتمع الإنساني، أولى علماؤنا الأوائل أهمية بالغة بها، لأنّها رمز لحياة الأفراد المشتركة بينهم، والعلاقة التي تربط بين اللفظ والمعنى، وهي علاقة اعتباطية،ويوضح ذلك الجرجاني بقوله: "لو أنّ واضع اللغة كان قد قال "ربض" مكان "ضرب" لما كان في ذلك ما يؤدي إلى فساد".[3] طالما لا يوجد تفسير منطقي لماذا استعملت العرب "ضرب" ولم تستعمل "ربض"، هذا ما أشار إليه دوسوسير بثنائية "الدال

---

1)- محمود درابسة: المرجع المذكور سابقا، ص 203-204.

2)- إحسان عبّاس: تاريخ النقد الأدبي عند العرب، دار الثقافة، ط2، 1978، ص 428.

3)- دلائل الإعجاز، ص 40

والمدلول" التي تربط بينهما علاقة اعتباطية فكلمة "أخت" مثلا لا نجد رابطًا منطقيا بين الدال والمدلول؛ أي بين الصورة السمعية [أ.خ.ت] التي تشمل التتابع الصوتي للفظة والمفهوم أو المعنى، فاللغة إذن هي منظومة من العلامات، تواضع عليها أفراد المجتمع، ليتخذوها وسيلة لنقل خطابهم ونظمه مراعين فيه نظامها وأساليبها التي اتفقوا عليها، على اعتبار أنّ اللغة لم تنشأ بالصدفة وإنّما بالمواضعة التي لا تكون "ولا تتصور إلاّ على معلوم، فمحال أن يوضع اسم أو غير اسم لغير معلوم، ولأنّ المواضعة كالإشارة، فكما أنّك إذا قلت: خذ ذاك، لم تكن هذه الإشارة لتعرف السامع المشار إليه في نفسه، ولكن ليعلم أنّه المقصود من بين سائر الأشياء التي تراها وتُبصرها، كذلك حكم اللفظ مع ما وضع له".[1]

فالمواضعة إذن تستند إلى أشياء معلومة، ومقصودة، تعارف عليها الواضعون من أبناء المجتمع، حيث يتصرفون، ويتحكمون في الاستعمالات اللغوية التي يريدونها مدركين مواطن أو موضع القصد أو الغرض الذي يختارونه "واعلم أنّا لم توجب المزية من أجل العلم بأنفس الفروق والوجوه فنسبته إلى اللغة، ولكننا أوجبنا للعلم بمواضعها، وما ينبغي أن يصنع فيها، فليس الفضل للعلم بأن الواو للجمع والفاء للتعقيب بغير تراخٍ... ولكن لأن يتأتى لك إذا نظمت وألفت رسالة أن تحسن التخيّر وأن تعرف لكل من ذلك موضعه".[2]

فالناظم للكلم إذا يتوخى في كلامه منحى العرب في كلامهم، حيث يحسن اختيار اللفظ ومعناه، ويضعه في موقعه الصحيح من التركيب، دون أن يحدث فيه تنافر، مع غيره من الألفاظ، متحاشيا في ذلك ما تحاشته العرب من كلامها، وقد جمع هذا كلّه عبد القاهر في بيتين شعريين راعى فيهما صاحبهما موقع اللفظ وموضع الحذف، في قول "الأقيشر في عم له موسر سأله فمنعه، وقال: كم أعطيك مالي وأنت تنفقه فيما لا

---

1)- نفسه، ص 199.

2)- نفسه، ص 169.

يعنيك، والله لا أعطيك، فتركه حتى اجتمع القوم في ناديهم وهو فيهم فشكاه إلى القوم وذمّه فوثب إليه ابن عمّه فلطمه، فأنشأ يقول:

سريعٌ إلى ابن العمِّ يَلْطُمُ وجْهَهُ وليْسَ إلى دَاعِي النّدى بسريع

حريصُ على الدُّنيا مُضَيِّع لدينه وليْسَ لمَا في بيْتِهِ بِمُضَيْعِ

فتأمل الآن هذه الأبيات كلُّها، واستقرها واحدًا واحدًا، وانظر إلى موقعها في نفسك وإلى ما تجد وألطفت النظر فيما تحس به...".[1]

فإجراء الكلام ووضعه وفق ما يقتضيه نظام اللغة العربية النحوي، بلا شك ينجم عنه جلاءٌ لمعاني الخطاب واتضاحها، وهذا لا يحصل إلا بعد وصل ما هو مستعمل في تلك اللغة بالقصد الذي يرتبط بالمتكلم.

فإجراء الكلام إذًا من قبل المخاطِب (المتكلم) على العرف العربي، ووضعه وفق ما يقتضيه نظامها النحوي، بلا شك ينجم عنه جلاء لمعاني الخطاب واتضاحها، وهذا لن يحصل إلاّ بعد وصل ما هو مستعمل في تلك اللغة بالقصد الذي يرتبط بالمخاطب، لأنّ التلفظ الذي يعتمد الصوت وحده لا يكفي في حصول الخطاب، وإنّما ينبغي على واضعه أن ينسّقه ويرتّبه وفق ما اقتضاه منطق اللغة، وفي هذا الشأن يقول الجرجاني "...ليس الغرض بنظم الكلم أن توالت ألفاظه في النطق، بل أن تناسقت دلالته وتلاقت معانيه على الوجه الذي اقتضاه العقل".[2]

فالمواضعة إذن تعني الاتفاق بين أبناء الجماعة الواحدة على استخدام مصطلحات أو ألفاظ أو علامات خصوصية، يفهمها المخاطِب والمخاطَب، تكون خاضعة لقواعد الربط بين المتخاطبين، فالمخاطب يجب عليه قبل إرساله خطابا معينا إلى المخاطَب، أن يتولى تسنينه وفق مستويات وقواعد اللغة، (صوت وصرف، ونحو ودلالة) المتفق عليها

---

1)- نفسه، ص 11.

2)- عبد القاهر الجرجاني، الدلائل، ص 23.

من أبناء الجماعة. [1] ذلك إنّه: "لا تبليغ ولا إفادة يمكن أن يحصلا إلاّ بالوضع، لأنّه شيء مشترك بين الأفراد في زمان معين ومكان معين"[2]

وفي ضوء هذا الكلام، يتحدد لنا الوضع على أنّه القدر المشترك من المعرفة اللغوية بين المتحاورين، يحمل معاني متفق عليها على أساس أنّ المواضعة La covention في اللسانيات هي "جملة الاتفاقات أو العقود الضمنية التي بها يشترك أفراد مجموعة لسانية في استعمالها، فيتكوّن النمط اللغوي أو السنن اللغوية". [3] وصفوة القول: إنّ عبد القاهر الجرجاني كان على دراية تامة بوضع الخطاب موضعه الصحيح، بناء على تصريفه بوجوه مختلفة، يفهمها كل من تحدث باللسان العربي مراعيا فيه صاحبه، حال المخاطَب، محددًا مقاصده، ومتقيدًا فيه بأساليب العرب في كلامها باعتبار أنّ اللغة مواضعة واصطلاحًا بين أبناء الجماعة الواحدة، حتى يتحقق تمام الخطاب، وتتم العملية التواصلية، لأنه إذا خرج المتكلم عمّا تواضعت عليه العرب، فإنّ خطابه يتحوّل إلى ألغاز لا فائدة منها. [4] لذلك شدّدت اللسانيات الحديثة التي خصّ فيها أصحابها نظرية التواصل بالدراسة إلى أنّ وضع الخطاب وفقا لسنن لغة التخاطب أمر ضروري لحصول الغاية منه، فعنه تنتج الوظيفة الشارحة [الواصفة] حسب رأي: "رومان جاكبسون"، وإنّ لم يكن هناك مواضعة بين المتخاطبين، فإن العملية تتعثر، ويعسر حدوث التفاهم بينها أو كان المخاطب مثلا يستخدم لغة لا يفهمها المخاطَب، لذلك أوصى عبد القاهر المتكلم بأن ينحي منحى العرب في الكلام.[5]

5- السيّاق/ المقام Contexte :

---

1)- فاتح زيوان: المرجع المذكور سابقا، ص 321.

2)- عبد الرحمن الحاج صالح: اثر اللسانيات في النهوض بمستوى مدرسي اللغة العربية، مجلة اللسانيات، صدرت عن معهد اللسانيات والصوتيات (سابقا) ، الجزائر، 1974، ص 92.

3)- عبد السلاّم المسدّي: الأسلوبية والأسلوب، الدار العربية للكتاب، تونس،ط2، 1982، ص 206.

4)- انظر: فاتح زيوان، المرجع المذكور سابقا، ص 325.

5)- انظر: فاتح زيزان، المرجع المذكور سابقا، ص 325.

عرّف فانديك السياق بأنه: "... ليس مجرد حالة لفظ، وإنّما هو على الأقل متوالية من أحوال اللفظ... فكل سيّاق هو عبارة عن اتجاه مجرى الأحداث". [1] وعرّفه معجم تحليل الخطاب "لباتريك شارودو" "ودومينيك مانغونو": "إنّ السياق عنصر ما "س" هو مبدئيا كل ما يحيط بهذا العنصر، وعندما يكون "س" وحدة لغوية [الصوت، والصرف، والكلمة، والجملة] وغير لغوية [السيّاق المقامي والاجتماعي والثقافي]، ويستعمل لفظ "سيّاق" بحسب المؤلفين للإحالة خاصة إمّا إلى المحيط اللغوي للوحدة، وإمّا إلى نظام التخاطب"[2]

وللسيّاق مراتبه ومستوياته، وهو يمثل فاعلية في إنتاج النصوص، وفهم الخطاب وقراءتها، وطاقة مؤلدة للمعاني والدلالات الجديدة، حسب أنواع السياقات المختلفة، بدءًا بالسياق المباشر والسيّاق الاجتماعي الأوسع والحقل الثقافي والمؤسساتي، أو الجهاز التلفظي الذي يأخذ بعين الاعتبار المخاطِب والمخاطَب.[3]

نجد عبد القاهر غير بعيد عن هذه الأفكار، فهو يتحدث أولا عن السيّاق اللغوي الذي هو روح النظم في دلائل الإعجاز فيقول: "فينبغي أن ينظر إلى الكلمة قبل دخولها في التأليف، وقبل أن تصير إلى الصورة التي بها يكون الكلم إخبارًا، وأمرًا ونهيا، واستخبارا وتعجبا، وتؤدي في الجملة معنى من المعاني التي لا سبيل إلى إفادتها إلاّ بضمّ كلمة إلى كلمة، وبناء لفظة على لفظة، هل يتصور أن يكون بين اللفظتين تفاضل في الدلالة حتى تكون هذه أدّل على معناها الذي وضعت له من صاحبتها على ما هي موسومة به.[4]

ومن هذا النّص، ندرك عمق فلسفة عبد القاهر اللغوية، فالكلمة قبل أن تدخل التأليف، لا معنى لها، حيث يتآتى معناها عندما تُضم إلى صاحبتها وتدخل في النظام

---

1)- فانديك: النص والسيّاق، استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، ص 258.

2)- باتريك شارودو: دومينيك مانغونو: معجم تحليل الخطاب، ص 133.

3)- انظر: نفسه، ص 133.

4)- عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص 35.

اللغوي الذي يقترب هنا من معنى التعليق، فضمّ كلمة إلى كلمة بواسطة أدوات التعليق المختلفة من أسماء الإشارة والضمائر والتعريف والتنكير، والتقديم والتأخير، والوصل والفصل وغيرها من وسائل وأدوات التعليق المختلفة حسب السيّاق اللغوي الذي يتطلبه مقام التحدث بين المتكلم والسامع، وحسب قصد المتكلم، فتكون الكلمات المرصوصة على نحو مخصوص، وبطريقة منسقة إمّا إخبارًا أو نهيا أو استخبارًا أو تعجبا، فتكتسب معناها من الجملة التي وضعت فيها. ولا تكون مزية بين لفظتين وهما خارج السيّاق؛ فالكلمات في المعجم [أي بعيدة عن السيّاق]، لا تتفاضل فيما بينها، لأنها تصبح مجرّد رموز دالة، مكلّفة بمهمة التسمية. أما المزية والفضل، فتظهر من خلال السيّاق الذي يحي هذه الكلمة ويميت الأخرى، فتكون الكلمة الأكثر مناسبة لهذا السيّاق هي الأفضل، يقول الجرجاني: "وهل يقع في وهم –وإن جهد– أن تتفاضل الكلمتان المفردتان من غير أن ينظر إلى مكان تقعان فيه من التأليف والنظم". [1] حيث يؤكد أنّ الكلمات لا تتفاضل وهي مفردة إلاّ من خلال المكان، أو الموضع الذي توضع فيه داخل السيّاق، فحسن الاختيار، وحسن التأليف، وحسن اختيار المواضع حسب الوجوه والفروق، تساهم في تحديد السيّاق اللغوي الذي هو روح النظم عند الجرجاني، وكأنَّ دلائل الإعجاز كتابا في السيّاق على مدار جميع صفحاته.

فضمّ كلمة إلى كلمة في نظام خاص، وفقا لقصد المتكلم ومراده ومبتغاه الذي يريد إيصاله إلى السامع، هو ما يمثل السيّاق اللغوي. ولكن عبد القاهر لم يكتف بالسيّاق اللغوي، وإنّما تحدث أيضا عن المقام الذي يحدُث فيه الخطاب بين المتكلم والمخاطب ومقتضيات التخاطب المختلفة، وما تحتاجه من استعمالات لغوية.

إنّ العلاقات اللغوية في الشعر هي التي تسهم في تبيان مستوى اللغة الشعرية من حيث الفصاحة والبيان، ولكن القرآن الكريم، جاء متجاوزًا لمستوى اللغة الشعرية من حيثُ الفصاحة والبيان، فاللغة الشعرية التي اعتاد عليها العرب وهم فرسان الكلام، وُجِد

---

1)- المرجع السابق، ص 36.

مستوى أعلى منها في لغة القرآن، مع أنّ الألفاظ واحدة، أو تكاد أن تكون واحدة، ولكنّ النظم مختلف، وعبد القاهر لم ينظر إلى اللغة نظرة عقلية منطقية، بل كانت اللغة عنده أوثق اتصالا بالشعر منها بالمنطق، يؤكد ذلك اهتمامه بالشعر، وربطه بين اللغة والشعر. فمحال أن نعرف الجهة التي منها قامت الحجة بالقرآن، إلاّ إذا عرفنا الشعر، الذي هو ديوان العرب، وعنوان الأدب، والذي لا يُشك أنّه ميدان القوم إذا تجاروا في الفصاحة والبيان، وتنازعوا فيهما قصد الرهان.[1]

فلغة الشعر ليست مجرد معنى عقلي، بل هي مشحونة بالعواطف والأحاسيس، والصور والموسيقى بمستوياتها الثلاثة: الخارجية، والداخلية،والخفية، أي موسيقى الانفعال، ومن ثمة فإنّها لا تنقل الفكرة وحدها، بل تنقل الإحساس أيضا، وهكذا ربط عبد القاهر الجرجاني بين اللغة والشعر حيث يقول [ولو وقفت اللغة عند حدود نقل الفكرة لما كان هناك داعٍ، لأن تعرض المزية في الكلام أو يفضل بعضه بعضا".[2]

إذًا: يؤكد الجرجاني أن لا معنى لتفاضل الكلمات من غير النظر إلى السيّاق الذي وردت فيه، وقد مثل ذلك بقوله: ولو عمدت إلى بيت شعر أو فصل نثر فعددت كلماته عدًّا، كيف جاء واتفق، وأبطل نظامه الذي عليه بنى، وفيه أفرغ المعنى وأجرى وغيرت ترتيبه الذي أفاد ما أفاد، فقيل: "قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل، ومنزل قفا ذكرى من نبك حبيب" خرج عن كمال البيان إلى مجال الهذيان، وسقطت نسبته إلى صاحبه".[3]

هذا التعريف الموجز والشرح الشافي الذي قدّمه الجرجاني، لا يختلف عن مفهوم الناقد الأمريكي [روبتر تشولز] الذي يعرّف النسق من منظور بينوي، يجب أن نؤكد أنّ النسق اللغوي ليس وجودًا محسوسا... إن أي نظام إنساني، لكي يصبح علما، يجب أن ينتقل من الظواهر التي يسجلها إلى النسق الذي يحكمها من الكلام، إلى اللغة، إذا لا

---

1)- محمد مندور: في الميزان الجديد،مؤسسات ع. عبد الله، تونس، ط1، 1988، ص 143-144.

2)- عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص 207.

3)- نفسه، ص

يمكن لمنطوق أدبي أن يكون له معنى إذا افتقدنا الإحساس الأدبي الذي ينتمي إليه، فالمعنى عنده مئات من السيّاق، لا من اللفظ أو المعنى".[1]

إنّ دراسة الأنماط النحوية للجملة خارج السيّاق الكلامي غير كافية لتبيان كيف تؤدي اللغة وظيفة الاتصال، ويعني ذلك أنّه يجب دراسة، كيف تحمل الأنماط النحوية للجملة. فائدة بالنسبة للسامع [المخاطَب] تتجلى في حصوله على شيء جديد، حين يدرك غرض المتكلم من كلامه، ويتم ذلك بربط دراسة الأنماط النحوية للجملة بقضية الإبلاغ، حسب المقام أو الموقف الكلامي، فنظرية النظم انبنت أساسا على قضية السيّاق أو الموقف الكلامي الذي يُتطلب كلّما تغير نمط معين من التركيب ويدخل ضمن الموقف الكلامي كل ما يتصل بظروف عملية الإبلاغ من مخاطِب ومخاطَب.[2]

إنّ اللغة لا معنى لها من دون سيّاق يحكم العلاقات، أي أنّ تحقق الدلالة أو المعنى لا يتم إلاّ بوجود نسق لغوي أو سيّاق لغوي، هو قانون الإرسال والتلقي الذي يتفق عليه المتلفظ والمستمع.[3]

وهكذا فإنّ السيّاق هو الذي يتحكم في عملية الإبلاغ، ويمكّن المتكلم والسامع من التواصل، لذلك نجد الجرجاني يركز في صفحات كتابه على السيّاق ودوره المهم في عملية الفهم والإفهام، وإدراك الوظيفة المرجعية الكامنة خلف السياقات المختلفة اللغوية منها وغير اللغوية.

إن كل هذه المصطلحات مترابطة بعضها ببعض، في شكل منظومة اصطلاحية أسس عليها عبد القاهر كتابه، بدءًا بالنظم، والتعليق، والموضع...ووصولا إلى الخطاب، والمتكلم والسامع والسيّاق، كل هذا مرتبط بمصطلح ومفهوم القصد.

6- فالقصد Intention:

---

1)- نظرية النقد عند عبد القاهر الجرجاني: محمد جنيد الوقفي، كتاب إلكتروني .www.ta5atub.com

2)- مسعود بودوخة: السيّاق عند البلاغين، ملامحه وتطبيقاته، مجلة التراث العربي، العدد 111، أيلول 2008، ص 12.

3)- انظر: عبد العزيز حمودة: المرايا المقعرة نحو نظرية نقدية عربية، عالم المعرفة، عدد 272، أوت 2001، ص 226.

يشكل في النظرية اللغوية الحديثة، وبخاصة النظرية التداولية منها، أساسا مهما لا يمكن تجاوزه، إن كل شيء في الخطاب مرتبط بمقاصد المتكلم وأغراضه من الخطاب، فماذا يقصد بخطابه؟ وما هي الأغراض الذي يريدها عندما يتوجه إلى مخاطَب معين بخطابه؟ وتبدي القراءة المتأنية في دلائل الإعجاز أن مفهوم القصد، مفهوم أساسي في الدلائل، عليه تبنى نظرية النظم؛ فانطلاقا من المقصد الذي يؤمه المتكلم يتخير له اللفظ المناسب، ويضع ذلك اللفظ في موضعه المناسب من السيّاق اللغوي، حسب المقام الذي يحدث فيه الخطاب. وبناء عليه، فإنّ القصد مبدأ أساسي في النظرية اللغوية العربية القديمة ومفهوم له أصالته، وخصوصياته المميزة التي اكتسبها من خلال النشاط العلمي في مجال اللغة الذي قدّمه علماء الأصول وعلماء الكلام والفلاسفة الذين أسسوا نظرية مستقلة في المقاصد كان لها بالغ الأثر بعد ذلك عند النقاد ودارسي الشعر، منهم مثلا حازم القرطاجني الذي درس الشعر انطلاقا من هذه النظرية. وإنّ أهم النصوص الدّالة على أهمية هذا المفهوم في دلائل الإعجاز هذا النص: "... ممّا يعبّر عن فضل بعض السامعين عن الأغراض والمقاصد، وراموا أن يعلموهم ما في نفوسهم، ويكشفوا لهم عن ضمائر قلوبهم".[1]

إنّ هذا النص النفيس يؤكد أنّ نظرية النظم تشكل بؤرة مركزية، يمتد إشعاعها لكل المدارس والاتجاهات اللسانية الحديثة، وتنطبق عليها في جلّ أفكارها، حيث وجدناها نظرية لسانية نصية تارة، ونظرية في تحليل الخطاب تارة أخرى، وها هي الآن نظرية تداولية، فهي إذن مثال حيّ لتكامل المعارف وتفاعل الأنساق، وربّما عاد هذا لكونها تمخضت عن فكرة الإعجاز القرآني، غاية ما يصبو إليه علماؤنا، فكانت نظرية خالدة،ومنفتحة على كل الاتجاهات الحديثة، مرنة، ومطواعة اكتسبت كذلك من بحثها في القرآن الكريم المعجزة البيانية. فالتداولية هي أحدث المناهج والاتجاهات اللسانية في يومنا الحاضر، تقوم على دراسة الوظيفة التواصلية التبليغية، وتبحث في ما يؤديه تداول

---

1)- دلائل الإعجاز، ص 35.

اللغة بين متكلم ومستمع في سيّاق اجتماعي ومادي ثقافي إنّها "دراسة للمعنى في سيّاق التواصل".[1] وتعرف كذلك بأنّها "دراسة الاتصال اللغوي في السيّاق"[2]، ومن أبرز مفاهيم التداولية: متضمنات القول ومبدأ **الإفادة** Imformativité أو الإخبارية في لسانيات النص وتحليل الخطاب،وبخاصة في المقترحات التي قدّمها الدّارسان الألمانيان، "دوبوغراند ودريسلار" في كتابيهما: "مقدمة في دراسة النصوص اللغوية". فالإفادة تعطيك مجموعة من الأخبار والمعلومات الجديدة التي لا يعلمها السّامع من قبل، وهي تختلف عن المعنى، لأنّ المعنى قد يعلمه السّامع من قبل، وعليه فإنّ الإفادة نعدها مصطلحا مهما في دلائل الإعجاز وفي التراث العربي ككل، بدءًا من سيبويه. ويمكن أن نستفيد منها في توظيفها في الدراسات المتعلقة بتحليل الخطاب ولسانيات النص في وقتنا. ومبدأ آخر من مبادئ التداولية، هو مبدأ القصدية الذي هو أساس العملية التواصلية، لأن اللغة وجدت أساسا لعملية التواصل التي يتبادل المتكلمون والسامعون من خلالها، الأغراض والمقاصد. لذلك كان الجرجاني دائما ينطلق في تحليلاته من الاهتمام بالمتكلم وأغراضه، فيقول: "...فاعلم أنّ الفائدة في العلم بها [يعني معاني الكلام]، واقعة من المنشيء لها [المتكلم]، صادرة عن القاصد إليها...".[3] وكثيرا ما كان ينصح المتكلم بتوخي معاني النحو في كلامه حتى يتمكن من إيصال قصده للسامع على أكمل وجه. وبعدما يهتم بالمتكلم ومقاصده،يتوجه للسامع، ذلك أنّه يبحث في كلام الله المعجز في نظمه وبنائه، حتى إنّ العرب أهل البيان والبلاغة، عجزوا عن الإتيان بمثله، فكان الجرجاني يبحث في أوجه النظم القرآني، لذلك اهتم بالمتكلم وقصده (معاني النفس) ليبيّن عظمة الخالق وكان يرمي إلى جعل الأدب العربي والبلاغة، تستفيد من نظم القرآن، وهذه نظرة تداولية في صميمها تهتم بالمقصد.

---

1)- عبد القادر بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، بيروت، دار الكتب الجديد،ط1، 2004، ص 22.

2)- نفسه، ص نفسها.

3)- دلائل الإعجاز: ص 418.

كما يتحقق مبدأ القصد عند الجرجاني من خلال نظريته في "النظم"، حيث ألحق الألفاظ بالمعاني وربطها بمقصد المستعمل لها (المتكلم). وعندما تطرّق لحالات ذكر المفعول وحذفه، رأى أن ذلك يعود إلى مُراد المتكلم وقصده. [1] ثمّ إنّ قصديّة المتكلم يقابلها عند الجرجاني "معاني النّفس" التي يرتبها في ذهنه، ثم يأتي بالألفاظ ليبنيها على منوال ذلك الترتيب. ويضيف إلى هذه المعاني "الغرض" يعني غرض المتكلم الذي يجعله يذكر أو يحذف، أو يصل مرة ويفصل أخرى .

ومن جهة أخرى، ترتبط المقصدية "بالمخاطب" أو الطرف المستمع، لا بوصفه طرفًا منتجًا أساسيا، بل لكونه طرفًا فاعلاً في العملية التواصلية، لأننا إذ نتكلم لا ننظر إلى الآخرين باعتبارهم طرفًا مستهلكا سلبيا، بل طرفًا فاعلاً". [2]

"فكل بنية تركيبية إذن معناها ومقصدها وغايتها التداولية، ولكل صيغة لفظية وظيفية إبلاغية توجبها ملابسات الخطاب وأغراضه، ومن أهم تلك الملابسات والأغراض في مراعاة حال السامع والفائدة التي يجنيها من الخطاب". [3]

بناء على هذا يكون القصد طاقة محركة لبنية الخطاب، مولّدة لمعانيه ودلالاته، يعني ذلك أنّ النّظم ليس بنية عشوائية، وإنّما هو عمل مقصود، من المتكلم الذي يهدف إلى أن يعبّر عن أغراضه ومقاصده بخطاب متناسق مترابط من أجل تحقيق هدفه أثناء عملية التواصل مع السامع، فقد يقصد إلى التأثير فيه، بأقواله أو إقناعه أو دفعه إلى فعل شيء ما، أو إفادته بمعلومات، ويكون كل ذلك مبنيا على إستراتيجية في الخطاب، أساسها القصد الذي يوّد المتكلم تحقيقه، فالقصد إذن مفهوم إجرائي في بناء المعنى والتفاعل مع المتحدثين ومستعملي اللغة حسب مقامات الاستعمال المختلفة. وبناء على ذلك يتم التفاعل مع النصوص والخطابات والدخول معها في حوار يضع في اعتباره، إن جاز التعبير، الشراكة الموجودة بين المتكلم والمخاطب ومقاصدهما من الخطاب.

---

1)- انظر: نواري سعودي أبو زيد: في تداولية الخطاب الأدبي، سطيف، بيت الحكمة، ط1، 2009، ص 33.

2)- المرجع نفسه، ص 33.

3)- مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب،بيروت، دار الطليعة، ط1، 2005، ص 192.

فهنالك إذن تخطيط مسبق مع المتكلم لبناء خطابه لغويا،هذا التخطيط مبني على مقاصده المختلفة، وإذا كانت المقاصد والمعاني والأغراض التي يؤمها المتكلم كبيرة، تم التعبير عنها بما يناسبها من الخطاب، بمعنى أن المعاني القوية والمقاصد الشريفة تحتاج إلى ألفاظ قوية وتعابير شريفة.

ويمكن أن يُبلّغ القصد على أكمل وجه إلاّ إذا عرَف المتكلم كيف يحسن إيصاله إلى السامع من خلال حسن اختياره وحسن تأليفه بين الألفاظ والمعاني، وهذا ما يجعله فصيحًا؛ فالفصاحة واحدة من أهم المصطلحات التي جاء بها دلائل الإعجاز.

7- الفصاحة/البيان Le bon usage:

إنّ الأبحاث البيانية كانت على رأس الأعمال العلمية الأولى التي انتقلت بالثقافة العربية الإسلامية، وقد تطورت الأبحاث البيانية التي انطلقت مع بداية عصر التدوين تطوراً عظيما، واتسعت دائرة اهتمامها لتشمل الخطاب العربي ككل، من شعر وخطابة، وفنون من القول، وعندما نرجع بكلمة من كلمات العربية إلى معناها اللغوي، مستندين في ذلك إلى المعاجم القديمة، فإننا نرجع بها في الحقيقة إلى مجالها التداولي الأصلي.[1]

فالفصاحة لغة: هي الإبانة والظهور، قال تعالى: ﴿وأَخي هَارُونَ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعي رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إنّي أخَافُ أَنْ يُكَذِّبُون﴾.[2]

فالفصاحة اصطلاحا هي البيان وسلامة الألفاظ من الإبهام، وسوء التأليف.[3]

أمّا البيان لغة: فهو الفصاحة واللّسْنُ، وكلام بيّن فصيح.[4]

ومنه فالفصاحة = البيان.

---

1)- محمد عابد الجابري: بنية العقل العربي، ص 14.

2)- سورة القصص، الآية 34.

3)- المعجم الوسيط: باب الفاء، مادة فَصَحَ، ص 690.

4)- لسان العرب: مادة [يَ، يَ، ن].

ولعلّ كلمة "بيان" أكثر الكلمات العربية تعبيرا عن خصائص الرؤية التي تقدّمها المنظومة العربية أو الحقل المعرفي العربي، عن العالم، ليس فقط، لأنّها من الكلمات الخاصة باللغة العربية، إذ لا نجد لها ما يقابلها في اللغات الأخرى، ولا لأنها من أكثر الكلمات استعمالا في القرآن [وردت مادة ب،ي،ن في القرآن أكثر من 250 مرّة] بل أيضا لأنها أصبحت عندما تمت عملية تقنين اللغة العربية، وضبط أساليبها التعبيرية، عَلَمًا على علم من العلوم العربية الخالصة [علم البيان]، وأكثر من ذلك وأهم، أنّها أصبحت تدل على نظام معرفي معين، أخذ الوعي به كرؤية ومفاهيم وطريقة في التفكير يتبلور ويتعمق مع الأيّام داخل الثقافة العربية الإسلامية.[1]

وقد عرّف الجرجاني الفصاحة بقوله:"...إنهم قالوا إنّ الفصاحة لا تظهر في أفراد الكلمات؛ وإنّما تظهر بالضمّ على طريق مخصوصة، فتراهم في الجميع قد دفعوا إلى جعل المزية في معاني النحو وأحكامه من حيث لم يشعروا..."[2]

إنّ المتأمل لهذا النّص، يدرك بوضوح أنّ الفصاحة ليست شيئا في المتناول؛ إذ لا تتشكل خبط عشواء، فقد ربطها الجرجاني بـ: نظام اللغة، أو النحو بما فيه من إمكانات تسمح بإجراء علاقة تواصلية، إلاّ أنّه منذ البدء، يضع القارئ على بينة من أمره من خلال تفريقه بين النحو ومعانيه التي بها تتحقق الفصاحة، لأنّ الفصاحة خاضعة لحسن الاختيار وحسن التأليف من المتكلم، فالمتكلم الفصيح يحسن الاختيار من ممكنات اللغة،ويجيد التأليف بينها: حسب الوجوه والفروق والموضع والقصد، فالمتكلم الفصيح يعرف كيف يتحكم في الفروق بين الوجوه ويحسن اختيار الموضع الصحيح للفظة الصحيحة في المكان المناسب لها، وقد أسقط الجرجاني اللفظة من حساب الفصاحة، لافتقارها إلى صفة الأدبية، التي تخوّل لها مكانها من النظم، ومدى أنسها وانسجامها لمعاني جاراتها انسجاما يجعلها تتألق بينها تألقا باهرا.

---

1)- محمد عابد الجابري: مرجع مذكور سابقا، ص 16.

2)- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 38.

فها هو يقول: "قد اتضح إذن اتّضاحا لا يدع للشك مجالا، أن الألفاظ لا تتفاضل من حيث هي ألفاظ مجرّدة، ولا من حيث هي كلم مفردة، وأنّ الألفاظ تثبت لها الفضيلة وخلافها في ملاءمة معنى اللفظة لمعنى التي تليها... ومما يشهد لك أنّك ترى الكلمة تروقك وتؤنسك في موضع، ثم تراها بعينها تثقل عليك وتوحشك في موضع آخر".[1]

إذن فالفصاحة لا تكمن في تخيّر الألفاظ المنمقة، بعيداً عن جاراتها، وإنّما تكمن في حسن اختيار اللفظة في موقعها المناسب لها، مراعيا في ذلك ما يليها وما يسبقها من جاراتها متوخيا في ذلك معاني النحو وأحكامه حسب القصد والغرض المراد إيصاله إلى السامع.

فالفصاحة مرتبطة بالمتكلم الذي يستطيع بقدرته على الربط والتنظيم، خلق انسجام النّص، وفي هذا إشارة واضحة من الجرجاني إلى ما يعرف بالسيّاق في تحليل الخطاب. فالعبرة بمكان الكلمة من النظم وارتباطها بما جاورها من الكلمات، ولهذا قد تكون في موضع معين أفصح منه في موضع آخر، فاللفظة لا حياة لها دون أخواتها، ولا معنى لها خارج السيّاق.

ثمّ نجده استعمل مصطلحي: المؤانسة /الوحشة،بمعنى استحسان المتلقي لما قاله المتكلم أو عدم استحسانه، وهذا ما يتوافق إلى حدّ كبير مع مفهوم Acceptabilité "الاستحسان"، وقد أكّد ذلك في تعريفه للفصاحة بقوله [إنّها خصوصية في الكلم، وضمّ بعضها إلى بعض عن طريق مخصوصة أو على وجوه تظهر بها الفائدة أو ما أشبه ذلك من القول المجمل، كافيا في معرفتها ومفتيا في العلم بها، لكن مثله في معرفة الصناعات كلّها، فكان يكفي في معرفة نسج الديباج الكثير التصاوير أن تعلم أنّه ترتيب للغزل على وجه مخصوص، وضمّ لطاقات الإبرسيم بعضها إلى بعض في طرق شتى...].[2]

---

1)- عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص 38.

2)- عبد القاهر الجرجاني: ص 30.

في هذا التعريف يجعل عبد القاهر: المتكلم يتعدّى كونه مخبرًا عن معلومات وأخبار معينة، إلى أن يصير مبدعًا للكلام الجميل، يسمو بكلامه إلى جودة وجمال متأتٍ من عملية الاختيار والتآليف؛ "حيث تحدد مفهوم الفصاحة بكونه إفصاح المبدع عمّا في نفسه، بمعنى إخراجه من حيّزه الداخلي، إلى الخارج التعبيري، وهو مصطلح يستمد وضعيته من البعد اللغوي، إذ تقول العرب: أفصح الصبح إذا أضاء".[1]

فمراعاة الاختيار والتأليف تحقق فصاحة المتكلم المبدع الذي يجعل السامع أو المتلقي يستأنس بما تلقاه وسمعه، فتتحقق الفائدة المرجوة، فالفصاحة نابعة من عند المتكلم، وهي خصوصية في النظم الذي يساوي النسج عند الجرجاني، الديباج يساوي الكلم، وترتيب الغزل يساوي تنظيم الكلم،وكلّها صناعات تتطلب دراية وخبرة، ودربة وتنسيقاً وإبداعًا من قبل صانعها، أراد الجرجاني من خلالها أن يشبه المتكلم الفصيح المبدع، بالصانع المبدع.

إنّ الفصاحة متأتية من عند المتكلم، مرتبطة بحسن اختياره من ممكنات اللغة، وحسن التأليف بين ما اختاره، وفقا للفروق بين الوجوه، وحسن تخيّر الموضع المناسب للسيّاق المناسب والفصاحة هي البيان، والبيان كلمة لها دلالة خاصة، أبدعها العرب، وحملوها بصماتهم، فهي كلمة عربية، لا يوجد ما يساويها في اللغات الأخرى، وهي أقرب إلى كلمة Le bon usage في اللغة الفرنسية؛ بالرّغم من أنّها لا تعبّر عن "البيان" حق التعبير، لأنّ البيان مصطلح له هوية متجذرة في الثقافة العربية الإسلامية، بما تحمل من أصالة وتفرّد وتميّز، شأنها شأن المصطلحات التي استعملها عبد القاهر كما رأينا في الفصلين الثاني والثالث.

---

1)- محمد عبد المطلب: قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني، ص 206.

الاستحسان: ورد في قوله: "واعلم أنّ هذا – أعنى الفرق بين أن تكون المزية في اللفظ وبين أن تكون في النظم باب يكثر فيه الغلط، فلا تزال ترى مستحسنا قد أخطأ بالاستحسان وضعه".[1]

فالاستحسان هنا يتعلق بالقارئ أو المتلقي أو السّامع بلغة عبد القاهر، الذي يشتغل باللغة ويتذوقها ويستحسن منها ما حقّه الاستحسان وفق شروط يجب أن تتوفر في الخطاب، منها أنّ مصدر الاستحسان يكون في النظم، لا في اللفظ.

إنّ مفهوم الاستحسان عند عبد القاهر يقابل في الدراسات اللسانية والنقدية الحديثة مفهوم استجابة القارئ للنص، تلك الاستجابة لا تكمن في اللفظة منفردة، وإنّما تكمن في النّص ككل، وخير مثال على ذلك: ما تطرق إليه كل من "دوبوغراند ودريسلار" في تحديدهما **لمفهوم النصانية** إذ تُعَّدُ استجابة القارئ أو المتلقي عنصرًا أساسيا فيه. ونرى أنّ مصطلح الاستحسان مصطلح متجذّر في التراث اللغوي العربي من سيبويه إلى عبد القاهر الجرجاني وما بعده، وهو برأيي أكثر دلالة من ترجمات للمصطلح الأجنبي Acceptabilité مثل: القبول والقابلية والمقبولية، واستجابة القارئ وفقا للقاعدة العربية المشهورة في وضع المصطلح التي تقول بأسبقية المصطلح السابق على اللاحق، فإننا نقترح تعميم استعمال مصطلح الاستحسان فيما ننجزه من أبحاث ودراسات.

كما نجد مصطلحًا آخر استعمله عبد القاهر الجرجاني بمثل ما هو مستعمل في الدراسات الحديثة،وهو مصطلح **"النسق"** في قوله: "فلمّا جعل هذا في نفسه ونشب هذا الاعتقاد به خرج له من ذلك أنّ الحاكي إذا أدّى ألفاظ الشعر على النسق الذي سمعها عليه...".[2]

---

1)- عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص 77.

2)- الدلائل، ص 276.

إنّ النسق هنا يعني النظام Le système بمصطلح دوسوسير، إذ إنّ ألفاظ الشعر يؤديها الحاكي الذي يحاكيها بناءً على النسق الذي سمعها عليه، وبناء أيضا على النسق أو النظام اللساني الذي انتظمت فيه ألفاظ الشعر، وترتبت وتناسقت وترابطت في علاقات لغوية مختلفة تبهر العقول وتعجز الجمهور، أو كما قال عبد القاهر الجرجاني: "بل وجدوا اتساقا بهر العقول وأعجز الجمهور، ونظاما والتئاما واتقانا وإحكاماً لم يدع في نفس بليغ منهم –ولوحكّ بيافوخه السماء– موضع طمع حتى خرست الألسن عن أن تدعي وتقول".[1]

وما نلاحظه في هذا النّص أنّ عبد القاهر قد تطرق إلى جملة من اللطائف التي ميّزت دلائله منها: مصطلح" **الاتساق**"الذي –كما سبق وتطرقنا– يقابل المصطلح Cohésion، بالمفهوم نفسه تقريبا ولا بد من الملاحظة أنّ مصطلح اتساق في الدراسات الحديثة شاع استعماله منذ أن ألّف كل من "هاليداي"، و"رقية حسن" كتابهما: "الاتساق في اللغة الأنجليزية"، ويعنيان به الاتساق على مستوى الخطاب المتداول، ولكنّ الأمر يختلف في نظري عن مفهوم الاتساق عند عبد القاهر الجرجاني، فهو يتجاوز اللغة من حيث هي بنية شكلية مترابطة متسقة، إلى المرجعيات والأسس المعرفية التي انطلق منها في تأليف كتابه دلائل الإعجاز؛ "بمعنى أنّ مصطلح الاتساق عند عبد القاهر الجرجاني نشأ وترعرع في بيئة لغوية غرضها تبيان إعجاز القرآن الكريم باعتباره نصا لغويا متفردًا، وهو من هنا يُعدّ سبّاقا إلى وضع دلائل الدراسات النصية التي شاعت في عصرنا.

وجملة الحديث أنّ عبد القاهر قد أشار إلى عناصر النصانية وعناصر تحليل الخطاب وهي كما يلي:

1– عناصر النصانية:

عند عبد القاهر عند المحدثين المصطلح بالفرنسية

---

1)– الدلائل: ص 32.

1- النظم(*) الانسجام Cohérence

2- الاتساق [التعليق] الاتساق Cohésion

3- المقام المقام Situation

4- القصد/الغرض القصد Intention

5- التناص (**) Intertextualité

6- الإفادة/الإخبار الإخبارية Informativité

7- الاستحسان القبول/المقبولية Acceptabilité

عناصر تحليل الخطاب عند عبد القاهر:

عند عبد القاهر عند المحدثين المصطلح بالفرنسية

1- المتكلِم المتكلم Déstinateur/Locuteur

المخاطَب المخاطب

المخبِر الباث/المرسِل

2- السامع المخاطَب Déstinataire/interlocuteur

---

*)- يمكن أن نستشف مصطلح "تناص" عند عبد القاهر الجرجاني من خلال حديثه عن كثير من الظواهر اللغوية والفنية المتعلقة بالشعرمن ذلك مثلا: حضور معاني شاعر آخر، لاحق له، ولكن بأسلوب مختلف، ومنه أيضا ظاهرة التوازي الكامل بين شاعرين كقول لبيد:

وَاكذِبِ النَّفْسَ إِذَا حَدَّثَها إنَّ صِدقَ النّفسَ يُزْري بالأمل

مع قول الشاعر نافع بن لقيط:

وإذَا صَدَقْتَ النّفسَ لمْ تَتْرُك لها أَملاً ويأمَلُ ما اشتَهَى المَكْذُوبُ

بالإضافة إلى أنّ التناص عند عبد القاهر يمكن رصده في الأدوات البلاغية من تشبيه واستعارة وكناية، انظر: محمد عبد المطلب: قضايا الحداثة، ص176، وما بعدها.

**)- لقد وجدنا أن عبد القاهر يستعمل النظم، ويستعمل النسيج، فالنظم يقابله المصطلح الأجنبي Cohésion أي اتساق والنسيج يقابله Texture وليس كما هو شائع من أنّ مصطلح Texture يقابل نظم في الدراسات الحديثة.

السامع

المرسَل إليه/المتلقي

- خلاصة:

لقد استطاع عبد القاهر الجرجاني أن يقدم تصورًا متكاملا لعملية التخاطب من خلال حديثه عن المتكلم والسامع والخطاب والقصد والغرض وغيرها من المصطلحات والمفاهيم التي تتقاطع مع أحدث ما جاء به علماء تحليل الخطاب في العصر الحديث.

الخاتمة

حاولنا في هذا البحث إنجاز قراءة في دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني وهو يمثل مدونة لغوية متجذرة في التراث اللغوي العربي، وتمثل علامة مضيئة فيه، الأمر الذي جعل كتاب الدلائل مفتاحا من المفاتيح التي لا استغناء عنها في فتح مغاليق النظرية اللغوية العربية وفهمها وتحليلها وسبر أغوارها.

لقد كان هدفنا من انجاز هذه القراءة، محاولة الكشف عمّا تميّز به هذا الكتاب وما تميّز به صاحبه من فكر وقّاد وعقل نقّاد، وقد أمكننا أن نسجل جملة من النتائج نجملها فيما يلي:

- إنّ كتاب دلائل الإعجاز تميّز بمنظومة اصطلاحية مترابطة، منسجمة في عقد فريد من نوعه، أهمها مفهوم النظم الذي يعدُّ مفهوما مركزيا فيها، وصل به عبد القاهر إلى مستوى النظرية التي لها أساسها المعرفي النظري، وإجراؤها التطبيقي العملي؛ تجلى ذلك في الأمثلة التي كان يقدّمها في الدلائل من القرآن الكريم والشعر العربي؛ وبذلك تجاوز مفهوم النظم كما تناوله العلماء واللغويون قبله، بدءًا من بشر بن المعتمر [ت 120هـ] وصولا إلى القاضي عبد الجبّار [ت 415هـ].
- يتأسس مفهوم النظم على مرجعيات فكرية وأسس معرفية تتعلق بإعجاز القرآن الكريم، أهو باللفظ أم بالمعنى، وهي القضية التي مثلت إشكالية كبرى في النقد العربي القديم، وعند علماء الأصول والكلام والتفسير. ولذلك فإنّ الإعجاز كما هو معروف يكمن في الانسجام والترابط الذي يتحقق بين اللفظ والمعنى أو الذي يتحقق في النظم، حسب ما تسمح به معاني النحو وقوانينه.
- نؤكد في هذا المقام أن نظرية النظم نظرية لغوية إعجازية بيانية روحها النحو، وبخاصة في علاقته بعلم المعاني، فقد كان الجرجاني على وعي كبير بالعمليات الذهنية،والنفسية التي يقوم بها المتكلم قبل كلامه وأثناء كلامه، من ذلك ترتيب الألفاظ في جمل سليمة نحويا ودلاليا حسب مقاصده وأغراضه وترتيب المعاني في نفسه واشتغالها في ذهنه، فذلك هو الذي يتحكم في إنجازها وكيفية النطق بها وآدائها حسب ما يقتضيه المقام.
- تعدّ نظرية النظم مثالا حيّا لتكامل المعارف وتفاعل الأنساق، فهي القطب الذي تدور عليه الدراسات اللغوية العربية، بل إنّها تشكل بؤرة مركزية لها يلتقي فيها النحو بالبلاغة،

وعلم الدلالة وعلم الكلام وإعجاز القرآن،والنقد وعلوم اللسان بصفة عامة، وإذ نقول هذا لا لكي نطرحها بديلا، وإنّما لكي نمارس قراءة وننبّه على جهود مضنية بذلها العلماء العرب القدامى في مجال المعارف اللسانية بخاصة.

- والذي يقرأ دلائل الإعجاز، يجد عبد القاهر قد تجاوز في مفهومه للنظم ما يسمى في دراستنا اللسانية المعاصرة نحو الجملة أو لسانيات الجملة إلى نحو النص أو لسانيات النّص، وهذا الذّي لم يتحقق في البحث اللساني الغربي إلاّ مع هاريس Harris سنة 1952م؛ عندما جاء بمفهوم الخطاب وتحليل الخطاب واستطاع من الناحية النظرية، أن يتجاوز الجملة باعتبارها وحدة لغوية قابلة للتحليل، إلى وحدة لغوية أكبر منها.

- من يقرأ دلائل الإعجاز يجد عبد القاهر يخصص الجزء الأول من كتابه لدراسة التراكيب والبنى الشكلية، كيف تترابط على مستوى محوري الاختيار والتأليف، والجزء الثاني يخصّصه للجانب الإعلامي البلاغي الإفادي الذي يتعلق بمقاصد الخطاب والغرض منه، والشروط والملابسات التي تتعلق به باعتباره رسالة لغوية ووحدة تواصلية بين متكلم وسامع. ثم إنّ المصطلحات المستعملة بين الجزء الأول من الدلائل، والجزء الثاني منه، تذهب وتجيء بين الجزءين لعلاقة أحدهما بالآخر، إلى الدرجة التي يصعب أحيانا الفصل بينهما. وهو ما نلاحظه في الدراسات المعاصرة المتعلقة بلسانيات النص وتحليل الخطاب، إذ إنّ المفاهيم بينهما هي الأخرى تذهب وتجيء وكلاهما يستعير من الآخر حسب الحاجة للمصطلح والغرض من توظيفه.

- وما يمكن تسجيله أيضا أنّ مفاهيم المصطلحات التي حفل بها دلائل الإعجاز تكاد تكون هي نفسها المصطلحات المستعملة في لسانيات النّص وتحليل الخطاب، ويمكن أن نبين ذلك من خلال ما جاء به كل من "دريسلار، ودوبوغراند" في مفهوم النصانية Textualité ونقاط التشابه بينها وبين ما جاء به عبد القاهر في دلائله فيما يلي:

عناصر النصية

عند عبد القاهر	عند المحدثين	المصطلح بالفرنسية
1- النظم	الانسجام	Cohérence
2- الاتساق [التعليق]	الاتساق	Cohésion
3- المقام	المقام	Situation
4- القصد/الغرض	القصد	Intention
5 الإفادة/الأخبار	الإخبارية	Informativité
6- الاستحسان	الاستحسان	Acceptabilité

هذا ما يتعلق بلسانيات النّص، أمّا ما يتعلق بتحليل الخطاب فإننا نجد عناصر تحليل الخطاب كاملة في دلائل الإجاز، ويظهر ذلك من خلال مايلي:

عناصر تحليل الخطاب:

عند عبد القاهر	عند المحدثين	المصطلح بالفرنسية
1- المتكلم [المخاطب]	المخبر المتكلم المخاطِب المرسِل	Destinateur/Locuteur
2- السامع	المخاطَب السامع المرسَل إليه/المتلقي	Destinataire/interlocuteur
3- الخطاب/الخبر	الخطاب/الرسالة	Discours
4- مقام الخطاب/حال الخطاب	مقام الخطاب/حال الخطاب	Situation du discours
5- التواضع/الوضع	وضع الخطاب	Le code
6- اللغة والإشارة [بين المتكلم والسامع]	قناة الخطاب	Canal du discours

نلاحظ أن كثيرا من المفاهيم مستعملة بنفس المصطلحات عند عبد القاهر الجرجاني وعند المحدثين، وهناك مفاهيم هي نفسها لكن بمصطلحات أخرى.

ونلاحظ أن عناصر النصية وعناصر تحليل الخطاب موجودة كما هي عند عبد القاهر الجرجاني في دلائل الإعجاز، وكأنّ لسانيات النّص وتحليل الخطاب تأسستا على كتاب دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني.

- ونظيف إلى ما قلناه نتيجة أخرى نراها مهمة، وهي أنّ المنظومة الاصطلاحية في دلائل الإعجاز أكثر ثراءً وتنوعًا وأكثر أصالة وتميزًا، بحيث إذا أردنا ترجمتها إلى اللغة الأجنبية، نجد الترجمة لا تحيط بمعاني مفهوم المصطلح كلية وإنّما تقاربه أوتقابله، بل إنّ بعض المصطلحات لا نجد لها ما يقابلها مثل: البيان، والوشي، والتحبير...الخ.، فهي مصطلحات لها هويتها في تراثها، ونظرا لهذا فإنني أذهب إلى أنّ مفاهيم لسانيات النّص وتحليل الخطاب في المعرفة المعاصرة كأنّها مبنية على نظرية النظم، يتجلى ذلك في كثير من القراءات التي قدّمها اللسانيون المعاصرون فيما يتعلق بالانسجام والاتساق والترابط النّصي، وبخاصة كتاب "الاتساق في اللغة الأنجليزية" لهاليداي ورقية حسن، فكأن الجزء الأول الذي يخص الاتساق يشبه الجزء الأول في الدلائل، وكأن الجزء الثاني من الكتاب يتعلق بتحليل الخطاب.

- لهذا كلّه نرى كتاب دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني كتابا في لسانيات النص وتحليل الخطاب بالمفهوم المعاصر، لأنه احتوى على دلائل الدراسات النصيّة ونظّرلها، وأجرى تطبيقاته العملية، وهو يتقاطع مع أحدث النظريات اللسانية المعاصرة، كما بيّنا في فصول البحث. ويبقى منفتحا على القراءة والدراسة العلمية الواعية التي تعطيه حقّه وتضعه في مكانه بين الكتب الأخرى التي تعدّ من الكتب المؤسسة للدراسات النصيّة، سواء أتعلق الأمر بالتراث أم بالدراسات الحديثة، وحسبنا أنّنا اجتهدنا في إنجاز هذه القراءة وما توفيقنا إلا بالله.

-المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم، رواية حفص عن عاصم
- مدونة البحث: عبد القاهر الجرجاني: "دلائل الإعجاز في علم المعاني"، سلسلة الأنيس.
- عبد القاهر الجرجاني: "دلائل الإعجاز في علم المعاني"، وقف على تصحيحه وطبعه وعلّق على حواشيه، السيد محمد رشيد رضا، منشيء المنار، دار المعرفة، بيروت، لبنان، 1981.

المراجع:

1 - إبراهيم خليل: في اللسانيات ونحو النّص، عمّان، دار المسيرة، ط1، 2007.

2 - ابن جني: الخصائص، الج1، تحقيق محمد علي النجار، (د.ط).

3 - ابن منظور: لسان العرب، نسقه وعلق عليه ووضع فهارسه، علي راشد، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1408، 1988م.

4 - أبو هلال العسكري: كتاب الصناعتين، الكتابة والشعر، تحقيق مفيد قمحة، بيروت، دار الكتب العلمية،1981.

5 - أبوحيان علي بن محمد التوحيدي: رسالة في العلوم في: رسالتان لأبي حيّان: الأولى في الصداقة والصديق،والثانية في العلوم، القسنطينية، مطبعة الجوانب 1301هـ.

6 - إحسان عباس: تاريخ النقد الأدبي عند العرب، دار الثقافة، ط2، 1978.

7 - أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، تدقيق يوسف العميلي، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، 2000.

8 - أحمد درويش: دراسة الأسلوب بين المعاصرة والتراث، القاهرة، دار غريب، (دط)، 1998.

9 - أحمد عمايرة:المسافة بين التنظير النحوي والتعليق اللغوي عند العرب،عمّان، دار وائل،ط1، 2004.

10 -الأزهر الزنّاد: نسيج النّص، تونس، المركز الثقافي العربي، (دط)، 1991.

11 -باتريك شارودوا، دومينيك مانغونو: معجم تحليل الخطاب، ترجمة عبد القادر المهيري، وحمّادي صمود، دار سينا تراء، المركز الوطني للترجمة، تونس، (دط)، 2008.

12 -بشير إبرير وآخرون: مفاهيم التعليمية بين التراث والدراسات اللسانية الحديثة، قسم اللغة العربية وآدابها، مخبر اللسانيات واللغة العربية، ط1، 2009.
13 -بشير إبرير: دلائل اكتساب اللغة في التراث اللساني العربي، مخبر اللسانيات واللغة العربية، قسم اللغة العربية وآدابها، عنابة، الجزائر، 2007.
14 -بشير إبرير: رحلة البحث عن النّص في الدراسات اللسانية الغربية، إتحاد الكتّاب الجزائريين، ط 1، 2009.
15 -بشير إبرير: علم المصطلح وأثره في بناء المعرفة وممارسة البحث في اللغة والأدب، مجلة التواصل، عدد 25 مارس 2010، جامعة باجي مختار – عنابة.
16 -بشير إبرير:مرجعيات التفكير النقدي العربي الحديث، مجلة علامات في النقد، ج 49، 19 رجب 1424هـ، سبتمبر 2003.
17 -بشير إبرير:مفهوم النّص في التراث اللساني العربي،مجلة جامعة،دمشق،المجلد 23،العدد1 2007
18 -بن طالب عثمان: علم المصطلح بين المعجمية وعلم الدلالة، ضمن تأسيس القضية الاصطلاحية، بيت الحكمة، تونس، 1989.
19 -تامر سلّوم: نظرية اللغة والجمال في النقد العربي، دار الحوار، اللاذقية، سورية، 1983.
20 -تمّام حسان: مقالات في اللغة والأدب، القاهرة، عالم الكتب، ط1، ج2، 2006.
21 -جعفر دكّ الباب: الموجز في شرح دلائل الإعجاز في علم المعاني، نظرية الإمام الجرجاني اللغوية وموقعها في علم اللغة العام الحديث، مطبعة الجيل،دمشق، سورية،ط1، 1980.
22 -جميل عبد الحميد: بين البلاغة العربية واللسانيات النصية،مصر، الهيئة المصرية العامة، (دط)، 1998.
23 -حسين خمري: نظرية النّص من بنية المعنى إلى سيميائية الدال، منشورات الاختلاف، الدار العربية للعلوم،ط1، 1428هـ، 2007م، الجزائر العاصمة.
24 -حمّادي صمود: التفكير البلاغي عند العرب، أسسه وتطوره إلى القرن السادس،منشورات كلية الآداب، منوبة، تونس، ط2، 1994.
25 -درويش الجندي: نظرية عبد القاهر الجرجاني في النظم، مكتبة نهضة مصر، مصر (دط)،1960.
26 -دلخوش جار الله حسين دزة يي: الثنائيات المتغايرة، عمان، منشورات دجلة، ط1، 2008.

27 -روبرت دوبوغراند: النّص والخطاب والإجراء، ترجمة تمّام حسان، القاهرة، عالم الكتب، ط 1، 1998.
28 -رولان بارت، لذة النّص، ترجمة فؤاد الصفاء، الحسن سيحان، دار توبقال للنشر، ط 1، الدار البيضاء، 1988.
29 -سعيد حسن بحيري: علم لغة النّص، المفاهيم والاتجاهات،مكتبة لبنان، ناشرون، الشركة المصرية العالمية للنشر، لوفجمان، دار نوبار للطباعة،ط1، القاهرة، مصر، 1997.
30 -الشاهد البوشيخي: المعجم التاريخي للمصطلحات العلمية، سلسلة دراسات مصطلحية، ط 3، مطبعة آنفو، برانت، فاس، 2004.
31 -الشريف الجرجاني: كتاب التعريفات، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب، بيروت، ط 4، 1998.
32 -الشريف بوشحدان: المجاز طاقة توليدية ضافية للمصطلح العربي، مجلة اللسانيات واللغة العربية، قسم اللغة العربية وآدابها،جامعة عنابة، الجزائر، العدد السادس، جوان 2009.
33 -صالح بلعيد: نظرية النظم، دار هومة، بوزريعة، الجزائر، (دط)، 2002.
34 -طارق النعمان: اللفظ والمعنى، بين الإيديلوجيا والتأسيس المعرفي، الأنجلو مصرية، القاهرة، مصر، (دط)، ص 2004.
35 -عبد الرحمن الحاج صالح: أثر اللسانيات في النهوض بمستوى مدرسي اللغة العربية، مجلة اللسانيات، صدرت عن معهد اللسانيات والصوتيات (سابقا)، عدد 4، الجزائر، 1974.
36 -عبد الرحمن الحاج صالح: الأسس العلمية لتطوير تدريس اللغة العربية، ندوة اتحاد الجامعات العربية، الجزائر، 1984م. بحث موجود في كتابه، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، الجزء الأول، منشورات المجمع الجزائري للغة العربية، الجزائر، 2007.
37 -عبد السّلام المسدي: الاسلوبية والأسلوب، الدار العربية للكتاب، تونس،ط2، 1982.
38 -عبد السّلام المسدي: مباحث تأسيسية في اللسانيات (دت).
39 -عبد العاطي غريب علاّم: البلاغة العربية بين الناقدين الخالدين، عبد القاهر الجرجاني وابن سنان الخفاجي، دار الجيل، بيروت، ط1، 1993.
40 -عبد العزيز حمودة: المرايا المقعرة، نحو نظرية نقدية عربية، عالم المعرفة. عدد 272، أوت 2001.

41 عبد القادر الفاسي الفهري: عن أساسيات الخطاب العلمي والخطاب اللساني،ضمن المنهجية في العلوم الإنسانية، [د.ط]، [د.ت].
42 عبد القادر بن ظافر الشهري:استراتيجيات الخطاب،مقاربة لغوية تداولية، بيروت، دار الكتب الجديد، ط1، 2004.
43 العربي قلايلية: الأسس الفكرية للتراكيب اللغوية، كتاب إلكتروني.
44 عزالدين البوشيخي: المصطلح والمفهوم وأشكال التعالق بينها ضمن وقائع ندوة: قضية التعريف في الدراسات المصطلحية الحديثة، منشورات كلية الآداب بوجدة، سلسلة ندوات ومناظرات، المغرب 1998.
45 عمر أبو خرمة: نحو النّص، نقد النظرية وبناء أخرى،دار الأردن، عالم الكتب الحديث،ط1، 2004.
46 عمرو بن بحر الجاحظ: كتاب الحيوان، تحقيق عبد السلام هارون، القاهرة، ج3، 1945.
47 -فاتح زيوان: أسس تحليل الخطاب في التراث العربي من القرن الثاني الهجري إلى القرن الخامس الهجري، في ضوء الدراسات اللسانية، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، تخصص اللسانيات، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة باجي مختار عنابة، 2009/2008.
48 فانديك: النص والسياق، ترجمة عبد االقادر قنيني، المغرب، إفريقيا الشرق، (دط)، 2000.
49 لحمادي فطومة: التماسك النّصي بين النظرية والتطبيق،سورة الحجر أنموذجا، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في علوم اللسان، إشراف د/محمد خان، جامعة محمد خيضر بسكر، 2003-2004.
50 ماجد بن محمد الماجد: المتلقي عند عبد القاهر الجرجاني،جامعة الملك سعود، كتاب إلكتروني .
51 مازن الوعر: قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديث، مدخل، دمشق، دار طلاس، ط1، 1988.
52 محمد أحمد نحلة: في البلاغة العربية، علم المعاني، بيروت،ط1، 1990.
53 محمد الديداوي: الترجمة والتواصل، دراسة تحليلية عملية لإشكالية الاصطلاح ودور المترجم، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب،ط1، 2000.
54 محمد الصغير بناني: المدارس اللسانية في التراث العربي والدراسات الحديثة، سلسلة بيت الحكمة، الجزائر، (دط)، 2001.

55 محمد الهادي عيّاد: مصطلحية أم مصطلحيات، ضمن أبحاث المنتدى المصطلحي الدولي، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي والتكنولوجيا، سوسة، 27-28-29 نوفمبر 2008، الجمهورية التونسية.

56 محمد جنيد الوقفي: نظرية النقد عند عبد القاهر الجرجاني، كتاب إلكتروني.

www.ta5atub.com

57 محمد خطابي: لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2006.

58 محمد عابد الجابري: بنية العقل العربي، دراسة تحليلية نقدية لنظم المعرفة في الثقافة العربية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط5، ماي 1996.

59 محمد عبد المطلب: قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني: الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، القاهرة، مصر، ط1، 1990.

60 محمد مندور: في الميزان الجديد، مؤسسات ع. عبد الله، تونس، ط1، 1988.

61 محمد هيثم الخياط: علم المصطلح لطلبة كليات الطب والعلوم الصحية، أكاديميا، أنترناشيونال، الأردن 2007.

62 محمود توفيق محمد سعد: نظرية النظم وقراءة الشعر عند عبد القاهر الجرجاني، جامعة الأزهر، كتاب الكتروني .www.medipure.com

63 محمود درابسة: التلقي والإبداع، قراءات في النقد العربي القديم، مؤسسة محادة للدراسات والنشر والتوزيع، أربد، الأردن، 2003.

64 -محمود فهمي حجازي: الأسس اللغوية لعلم المصطلح، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، [د.ط]، [د.ت].

65 مسعود بودوخة: السيّاق عند البلاغين، ملامحه وتطبيقاته، مجلة التراث العربي، إتحاد الكتاب العرب، دمشق، سورية، العدد 111، أيلول، 2008.

66 مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب، بيروت، دار الطليعة، ط1، 2005.

67 مصطفى حميدة: نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية، الشركة المصرية العالمية للنشر، 1997.

68 المعجم الوسيط، قام بإخراج هذه الطبعة الدكتور إبراهيم أنيس وأخرون، مجمع اللغة العربية، مطابع دار المعارف، مصر، 1392هـ، 1972م، ج 2، ط 2.

69 مفتاح بن عروس: الاتساق والانسجام في القرآن،رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه الدولة في تخصص، لسانيات النّص، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الجزائر، سنة 2007–2008.

70 نصر حامد أبو زيد: مفهوم النظم عند عبد القاهر الجرجاني، قراءة في ضوء الأسلوبية، مجلة فصول، القاهرة، الهيئة المصرية العامة، المجلد 5، العدد 1، 1984.

71 نواري سعود أبو زيد: في تداولية الخطاب الأدبي، بيت الحكمة، سطيف، ط1، 2009.

72 هنري بيجوان، وفيليب تواورن:المعنى في علم المصطلحات،ترجمة ريتا خاطر، مراجعة سليم نكد، المنظمة العربية للترجمة، بدعم من مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم، ط1، بيروت، 2009.

73 وائل غالي: تاريخ العلوم العربية وتحديث تاريخ العلم، بحث في إسهام رشدي راشد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2005.

74 يوسف وغليسي: إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، الدار العربية للعلوم، ناشرون، ط1، 1429هـ، 2008م.

– المراجع باللغة الأجنبية:

1- Dominque Maingueneau ; les termes clés de l’analyse du discours, seuil, Février, Paris 1996.

2- Jean Dubois, Dictionnaire de linguistique et des sciences du langage, larousse, Paris, la 1ere Edition, 1994.

3- Patrick Charaudeux, Dominque Maingueneau, Dictionnaire d’analyse du discours, Edition di seuil,Paris, France, Février, 2002.

فهرس محتوى البحث

– مقدمة: ..... أ – و

الفصل الأول:

"الدرس اللساني العربي المعاصر وإشكالية المصطلح"

–توطئة الفصل: 9

–علم المصطلح: مفهومه وأهميته وتطور البحث فيه:

..... 10

–النص العلمي وموقع المصطلح منه:

..... 22

–المصطلح اللساني العربي وإشكالية التداخل المفهومي

بين لسانيات النص وتحليل الخطاب:

..... 26

–المصطلح التراثي والدرس اللساني الحديث:

..... 39

–خلاصة الفصل: 44

الفصل الثاني

"المنظومة المفهومية لمصطلحات لسانيات النص وتحليل الخطاب في دلائل الإعجاز"

–وصف مدونة البحث: 47

–التعريف بصاحب المدونة:

..... 49

–مفهوم النظم: 52

-النظم عند عبد القاهر الجرجاني:
58
-التعليق: 73
-معاني النحو:
80
-الوجوه والفروق والموضع: 87
-أدوات الربط والارتباط: 97
-الفصل والوصل: 100
-الحذف:
102
-خلاصة الفصل: 110

الفصل الثالث

"المنظومة المفهومية لمصطلحات تحليل الخطاب في دلائل الإعجاز"

-المتكلم:
116
-السامع: 121
-الخطاب:
127
-وضع الخطاب/السنن:
131
-السيّاق: 135
-القصد: 139
-الفصاحة/البيان: 142
-عناصر تحليل الخطاب:
149

-الخاتمة:
151
-قائمة المصادر والمراجع:
156
-الفهرس: 163